جامعة الجزائر02 –أبو القاسم سعد الله–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

المسيحية في عهد سلالة يوان المغوليَّة (1279–1368م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل. م. د) في التاريخ الوسيط

إعداد الطالبة

فاطمة زهرة ساعد

إشراف الأستاذ الدكتور

عبد العـــزيـــز بوكنة

أعضاء المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
رشيد تومي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر02	رئيسا
عبد العزيز بوكنة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر02	مشرفا ومقررا
أحمد شريفي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر02	عضوا مناقشا
زكية كربال	أستاذة محاضرة	جامعة الجزائر02	عضوا مناقشا
أم الخير عثماني	أستاذة التعليم العالي	جامعة خميس مليانة	عضوا مناقشا
محمد زرقوق	أستاذ محاضر	جامعة خميس مليانة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية

1442هـ الموافقة لـ 2020–2021

جامعة الجزائر02 –أبو القاسم سعد الله–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

المسيحية في عهد سلالة يوان المغوليَّة (1279–1368م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل. م. د) في التاريخ الوسيط

إعداد الطالبة

فاطمة زهرة ساعد

إشراف الأستاذ الدكتور

عبد العـــزيـــــز بوكنة

أعضاء المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
رشيد تومي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر02	رئيسا
عبد العزيز بوكنة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر02	مشرفا ومقررا
أحمد شريفي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر02	عضوا مناقشا
زكية كربال	أستاذة محاضرة	جامعة الجزائر02	عضوا مناقشا
أم الخير عثماني	أستاذة التعليم العالي	جامعة خميس مليانة	عضوا مناقشا
محمد زرقوق	أستاذ محاضر	جامعة خميس مليانة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية

1442هـ الموافقة لـ 2020–2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

"وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ"

الآية 135 من سورة البقرة

الإهداء

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله، أهدي هذا العمل المتواضع إلى والدّي، وإخوتي، وزوجاتهم، وأفراد عائلتي، وعائلة فليساوي.

الشّكر

عملا بقوله صلى الله عليه وسلم: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"، أشكر كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل المتواضع، من قريب أو بعيد، وأخص بالذكر الأستاذ المشرف عبد العزيز بوكنة، والأستاذة أم الخير عثماني، كما لا يفوتني أن أشكر أحمد رنيمة أستاذ بجامعة وهران، والأستاذ خالدي بجامعة أبو القاسم سعد الله.

قائمة المختصرات

E.B: The Encyclopedia Britannica.

C.M.H: The Cambridge Medieval History.

C.H.C: The Cambridge History of China.

مقدّمة

ارتكز قيام دولة المغول على الغزو وعلى ضم العديد من الأمصار إليهم، لكن ذلك لم يحل دون عنايتهم بالدين ورجاله والعلماء لغرض استخدامهم، والاستفادة منهم، ويدرك الدارس لتاريخهم أنّه على الرغم ممّا عُرفوا به من قساوة وشدة البأس، إلّا أنّهم أظهروا من الحكمة ما سمح لهم باستغلال هذا الجانب لصالح دولتهم.

لقد كان المغول أذكياء بما يكفي لإدراك ضرورة عدم إغفال الجانب الديني، لما يكتسبه من أهمية لدى الشعوب التي حكموها، وخلال فترة حكم سلالة "يوان" المغولية (1279-1368م)، التي شملت معظم أجزاء الصين، ومنغوليا الداخلية، شهدت هذه المناطق تمازجاً ثقافياً رائعاً ومثيرا للذهول، وفي ظلّها وجدت المسيحيّة وفق المذهب النسطوري طريقها مجددا إلى البروز في الصين خاصة، بعد أن تمَّ طمسها لزمن طويلٍ.

تزامن ظهور المغول مع الحروب الصليبيّة التي مثَّلت حَلقةً من حلَقات الصراع بين الديانة المسيحيّة والإسلام، وفي خِضّم هذا سعت البابوية في الغرب اللاتيني إلى محاربة المسلمين تحت غطاء الحروب الصليبيّة، متّخذة ستار الدين حُجّة لها، وعلى الرغم من أنّها حقَّقت الكثير في بدايتها، في ظِل غفلة المسلمين وتناحرهم فيما بينهم، لكنّ ظهور بعض القادة أمثال "عماد الدين زنكي" (1127-1146م) و"نور الدين محمود" (1118م-1174م) و"صلاح الدين الأيوبي" (1174-1193م)، وتمكّنهم من استرجاع أغلب المناطق، جعل البابوية تسعى إلى كسب حليف جديد يدعم جانبها ضد المسلمين.

وقد وقع الاختيار على قبائل المغول البدويّة، التي وحّدها جنكيز خان (1206-1227م) تحت لوائه، جاعلا منها امبراطوريّةً مترامية الأطراف مرهوبة الجانب، بعد أن سبّبت غزواتهم الكثير من الهلع في مختلف الأقطار، بسبب الآثار الجسيمة التي أفرزتها حملاتهم العسكرية، حتّى اقترن اسم المغول أو التتار بإمبراطوريّة الدم التي لم ينج منها أحد.

وقد سعت أوروبا إلى استمالة المغول والحصول على دعمهم، من خلال محاولة استغلال بعض الأساطير التي انتشرت منها أسطورة القديس "يوحنا"، تلك المحاولات التي قُصد بها النَّجاة من بطش المغول الذين اكتسحوا مناطق آسيا وأوروبا في فترة وجيزة، والاعتقاد أنّ تمكّن البابويّة من تنصيرهم، سيمكِّنهم من كسبِ حليفٍ قويٍ ضدَّ المسلمين.

وقع اختيار الكنيسة الكاثوليكية على أعضاء الهيئات الدينية ممثلة في "الفرنسيسكان" و"الدومنيكان"، وقد اصطدم هؤلاء المبعوثون إلى المغول بوجود العديد من معتنقي الديانات المختلفة يتعايشون فيما بينهم، في رحاب الإمبراطوريّة الجديدة التي أرهبت أوروبا بتحركاتها السريعة عبر قارتي آسيا وأوروبا.

ومن بين المذاهب المسيحيّة التي لاحظ هؤلاء الرهبان انتشارها في أرجاء الإمبراطوريّة المغوليّة، النسطورية التي تَوزّع أتباعها على العديد من مدن وولايات الصين، والذين سرعان ما عاودوا ممارسة شعائرهم في ظل سياسة التسامح التي اتّبعها الحكام المغول تجاه الأديان، بعد أن تمَّ حظْر ممارساتهم خلال عهد "سلالة تانغ" (618-907م)، ولم يوجد النساطرة وحدهم؛ بل عاصرهم العديد من أتباع الطوائف المسيحية الأخرى من شعب الأرمن والآلان، وقد نظر أتباع الرهبان الكاثوليك إلى هذه الكنائس المنشقّة على أنَّهم هراطقة أعاقوا عملهم ومنعوهم من نشر مذهبهم.

تولى النساطرة في رحاب خاقانية المغول المناصب العليا، وعلا شأنهم حتّى أنّهم سعوا إلى تدبير المؤامرات لأتباع الديانات الأخرى، بمن فيهم الرهبان الكاثوليك الذين دوّنوا ذلك في مراسلاتهم التي بعثوا بها إلى رفقائهم، والبابويّة في أوروبا.

وعلى الرغم من إخفاق المبعوثين الأوائل للبابوية في استمالة المغول مثل "يوحنا كاربيني" و"وليام روبروك"، إلّا أنّ ذهاب أحد الرهبان النساطرة "رابان صوما" إلى البلاطات الأوروبيّة وإبدائه رغبة أتباعه في معرفة المزيد عن المسيحية، دفع البابويّة إلى إرسال مبعوثٍ

آخر بعد أن توقّفت مساعيهم في محاولة تنصير المغول مدّة من الزمن. وقد أدّى النجاح الذي حقّقه "يوحنا مونتي كورينو" إلى إرسال الدعم له طوال السنوات التي زاول فيها نشاطه بالصين، واستمرّ الحال كذلك حتّى بعد وفاته، بناءً على طلب من "الآلان" الذين تقدّم ذكرهم، ومع ذلك ظلّ نجاحهم ضئيلاً بالمقارنة مع نجاح المسلمين، وسرعان ما زالت المسيحيّة برمّتها بزوال حكم أسرة يوان في بداية النصف الثاني من القرن الرابع عشر للميلاد.

وفي ضوء هذه المعطيات جاء هذا البحث على شكل محاولة لتغطية الديانة المسيحية خلال عهد سلالة يوان في المناطق الخاضعة لها تحت عنوان: **"المسيحية في عهد سلالة يوان المغولية (1279–1368م)"**.

دوافع اختيار الموضوع

في البداية كان اختياري للموضوع رغبةً في دراسة الإرساليات التنصيريّة إلى الإمبراطوريّة المغوليّة (1206–1260م)، ونظراً لكثرة الأبحاث العربيّة المتعلقة بمغول فارس (1256–1335م) والهند (1526–1858م) الذين تفرعوا عن الإمبراطورية الأم التي انطلقت من منغوليا، ووفرة المصادر والمراجع المتعّلقة بها، سواء العربيّة أو المترجمة، فقد اتّجهت أنظاري إلى "سلالة يوان" التي سرعان ما اتّخذت من الصين مقّراً لها، بعد أن غيرت مقّرها الأول، "قوراقورم" بمنغوليا، بسبب قلّة الأبحاث الخاصة بهم.

وسرعان ما اندمج هؤلاء المغول في الحضارة الصينيّة، وتأثّروا بها حتّى أنّ الخاقان "قوبيلاي" (1260–1294م) تبنّى المذهب البوذي مستغنيا عن الشامانية رغبة في إرضاء وامتصاص غضب الشعب الصيني، ذلك أنّه غلّب على مناصب القطاعات الإداريّة الأجانب الذين وثق فيهم هذا الحاكم أكثر من غيرهم، بمن فيهم المسلمين.

اقتضى عملي –حول الإرساليات التنصيريّة– البحث عن طريقة وتاريخ دخول المسيحيّة إلى المنطقة، التي مثّلها النساطرة، الذين كشفت الآثار التي خلّفوها، وعثر عليها العلماء خلال القرن العشرين، عن استقرارهم بمنطقة منغوليا الداخليّة، وعلى السواحل الجنوبيّة للصين، حيث يرجع أقدم تاريخٍ أثريٍ لهم إلى عهد سلالة تانغ (618–907م).

الإشكالية

مَثَّلت المسيحية خلال عهد سلالة يوان، أحد المعتقدات الممارسة في المناطق الخاضعة لنفوذها، فضلا عن المذاهب المسيحية الأخرى المنتشرة داخل حدودها، وعلى الرغم من حرص البابوية على إقامة علاقات ودّية مع المغول قصد تنصيرهم، إلّا أنّ جهودها فشلت في نهاية المطاف، ومن هذا المنطلق، **ما الجديد عن المسيحية ومذاهبها في عهد سلالة يوان المغولية (1279–1368م)؟**

الأسئلة الفرعية

*لماذا فشلت المسيحية على الرغم من نجاحها النسبي في تحقيق ما حقّقه البوذيون والمسلمون، حتى بالمقارنة مع النساطرة، على الرغم من محاولات البابوية لنشر مذهبها؟

*هل يتعلق نجاح وفشل المسيحية برفض المغول لها؟

*كيف أثَّرت سياسة التسامح الديني التي تبناها حكام المغول على المعتقدات السائدة في الخاقانية، ومنها الكاثوليكية والنسطورية من جهة، وعلى سير نشاط هؤلاء الرهبان المسيحيين من جهة أخرى؟

وفي إطار معالجة الإشكالية قسّمت موضوع الدراسة إلى مدخل وثلاثة فصول كما يلي: والمدخل هو بمثابة تعريف لتاريخ الأقوام المغولية وأهم قبائلهم، ثم ضمّنته بالحديث عن توحيد جنكيز خان لها، وتأسيسه للإمبراطورية المغولية التي سرعان ما تفكّكت على يد

خلفائه، وأتى الانقسام النهائي في عهد حفيده قوبيلاي الذي قرَّر تغيير عاصمة الحكم من "قوراقورم" إلى "خان باليق" مفتتحا بذلك مرحلة جديدة في تاريخ الأقوام البدوية؛ إذ انتقل من ظروف البداوة إلى حياة الاستقرار ببلاد الصين التي شدّته بحضارتها حيث أسّس في رحابها سلالة يوان.

أما الفصل الأول، فقد تحدّثت فيه عن تاريخ دخول الديانة المسيحيّة إلى الصين وانتشارها داخل القبائل المغوليّة، سواء في عهد سلالة يوان أو قبلها، وخلال هذه الحقبة الزمنية ومن أجل ذلك عرفت بالمسيحيّة الشرقيّة، مثَّلها في الغالب النساطرة خاصة.

أما الفصل الثاني، فتحدّثت فيه عن المسيحيّة الكاثوليكية، والتي مثَّلتها إرساليات البابوية، والتي سعت من خلالهم إلى كسب عنصر المغول ليكون حليفا قويا ضد المسلمين، فضلا عن مساعيها إلى نشر المسيحيّة بينهم.

أمّا الفصل الثالث، فقد تناولت فيه التجار ودورهم في نشر المسيحيّة من خلال التركيز على السياسة التجارية والحديث عن التجارة والطرق التجارية التي أمَّنها المغول، والتي ساهمت بنقل الأفكار والمعتقدات؛ إذ رافق التّجار الرهبان على طول الطريق أثناء بعثاتهم إلى الشرق، وساعدوهم في مهماتهم بإمدادهم بالأموال، كما تحدّثت عن الرحلة التجارية لآل بولو التي مزجت بين الغرض الديني والتجاري.

وتحدّثت فيه أيضا عن السياسة الدينيّة لحكام يوان تجاه المسيحية وباقي الأديان التي كانت في الإمبراطورية عموما، تلك السياسة المستندة إلى قوانين "الياسا" (Yassa) التي وضعها جنكيز خان، بالإضافة إلى الحديث على علاقة المسيحين بالحكام وغيرهم في ظل حكم السلالة.

عرض لمصادر ومراجع البحث

للإلمام بأغلب جوانب الموضوع، اعتمدت على مجموعة هامة من المصادر والمراجع العربيّة والأجنبيّة، والتي يمكن القول أنّها تشكّل أساس هذه الدراسة.

المصادر العربية

اعتمدت في بحثي على مجموعة من المصادر في طليعتها كتاب رشيد الدين الهمذاني وعطا ملك الجويني الذين يُعدّان من أبرز من الكتاب الذين احتكّوا بالمغول، بعد أن أمْضَوا سنواتٍ في خدمتهم، وتمكنوا من الاطّلاع على أهم السجلّات والوثائق المتعلّقة بتاريخهم؛ إذ ترك المؤرخ رشيد الدين الهمذاني كتاباً رائعاً ضَمّن فيه تاريخ المغول، من بداية عهد دولتهم إلى غاية تأسيسهم للإيلخانية (1256-1335.م)، غير أنّي اعتمدت بالدرجة الأولى على جزءٍ لأحد أجزاء هذه الكتب تحت عنوان "**تاريخ خلفاء جنكيز من أوكتاي خان إلى تيمور خان**" الذي نقله من الفارسيّة إلى العربيّة فؤاد الصياد، ويتناول فيه الحديث عن الحُكّام المغول بمنغوليا إلى غاية انتقالهم إلى الصين، خلال عهد قوبيلاي خان، وخليفته تيمور أولجايتو(1294-1307م).

وثمة مصدر آخر يتعلق بتاريخ المغول "يوان شيه" **"Yuan Shih"** تمّ تأليفه خلال عهد "سلالة مينغ" (1368-1644م) التي أطاحت بحكم المغول في الصين، وتمّ كتابته بناءً على أمْر من حاكم مينغ تشو يوان تشانغ، حتّى يتمّ تخليد تاريخ القبائل البدوية ضمن الحضارة الصينية، وعلى الرغم من أنّني لم أعتمد عليه مباشرة نظرا لتدوينه باللغة الصينية، غير أنّي اقتبست بعض مقتطفات الكتاب من المراجع الأجنبية التي تناولت الموضوع.

وهناك مصدر لا يقل عنهما أهمية، وهو مخطوطة سريانية لمؤّلفٍ مجهولٍ تمّ ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية على يد "مونتغومري" ثمّ "واليز"، وعلى الرغم من أنّها ركّزت على رحلة راهبين نسطوريين من الصين إلى الغرب الأوروبي، إلّا أنّها سلّطت الضوء على النساطرة بالصين، وأكّدت على وجودهم، ومدى معرفتهم بمعتقداتهم، وعلى علاقتهم بالكنيسة الشرقيّة.

وكان لي الحظ في الاطلاع على الكنز الذي تركه "ماركو بولو"، في اطار رحلته إلى الشّرق إنّه رحّالة من البندقية، قَضى حوالي سبع عشرة سنة في بلاط قوبيلاي خان، ولّاه هذا الأخير العديد من المناصِب، لكنه عاد إلى بلاده برفقة عمه ووالده، وأملى رواياته الكثيرة والغريبة على أحد الكُّتاب يسمّى "روستيشيلو دا بيزا"، واعتمدت على ترجمة "عبد العزيز جاويد" للمُؤَّلف تحت عنوان "**رحلات ماركو بولو**" الذي أتى في ثلاثة أجزاء، يتعلّق الجزء الأول والثاني بتاريخ المغول، والمناطق والأماكن التي مرّ بها أفراد أسرة بولو (الأب والابن والعم) في طريق عودتهم إلى البندقيّة، في حين يتناول الجزء الأخير بشكل واسع الهند والجزر المجاورة لها.

اعتمدت كذلك على مصدر عربي هام وهو رحلة "ابن بطوطة" إلى الصين خلال عهد آخر حكّامها، "طوغان تيمور" بصفته مبعوثاً إليه من قِبل الحاكم الهندي.

المراجع

أمّا المراجع فقد اعتمدت على الأجنبية منها بكثرة، وأمّا المراجع العربية فهي قليلة، ومع ذلك برزت فمنها دراسة الدكتور المصري "عادل هلال"، والتي أفادتني كثيرا؛ إذ تناول بحثه، العلاقات الأوروبية بالمغول سواء الايلخانات بفارس، أو مغول الصين والتي جاءت تحت عنوان: "**العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي**".

من المراجع الأجنبية الهامة التي تناولت وعالجت المسيحية بين المغول، كتاب "لي تانغ" (Li Tang) من خلال بعثته إلى النمسا لإنجاز أطروحة الدكتوراه بعنوان " East Syriac in Yuan Mongol China" وعلى الرغم من تركيزه على تواجد النساطرة بالمنطقة، إلّا أنّه تحدث عن البعثات الكاثوليكية.

واعتمدت أيضا على أهمّ المراجع التي تناولت ترجمة رسائل الرهبان بالتحليل والنقد، ومن أبرزها مؤلفات السير "هنري يولي" (Henry Yule) و"مولي" (Moule) و"داوسون" (Dawson) و"م. لابي" (M L'Abbe)، وما ميَّز هذه المراجع أنَّها ركَّزت على الارساليات البابوية لتنصير المغول ونشر المسيحية وفق المذهب الكاثوليكي.

كما استفدت من الدراسات الأثرية التي قام بها العلماء خلال القرن العشرين، والدراسة الحديثة التي أجراها هالبرتسما (Halbertsma)، والتي تتميّز بالإضافة إلى كونها تتضمن أغلب الدراسات الأثريّة السابقة، المتعلقة بالنساطرة ومخلّفاتهم بالمناطق الخاضعة لنفوذ المغول خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، فإنّها تستعرض أبحاثاً أخرى جديدة واستنتاجات جديرة من شأنها أن تغيّر النظرية التقليديّة للتواجد المسيحي بالمنطقة، وقد ساعدني ذلك على فهم طبيعة تواجدهم بها، ومن أهمّ كتبه التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة: "آثار المسيحية في منغوليا الداخلية: اكتشاف، ترميم، تخصيص"

Early Christian Remains of Inner Mongolia : Discovery, Reconstruction and Appropriation.

استعنت أيضاً لفهم المصطلحات وأسماء الأماكن والشخصيات، على أهمّ الموسوعات والقواميس، والمصادر الجغرافية، من بينها كتاب "صبح الأعشى في صناعة الانشا" للمؤرخ القلقشندي، والموسوعة البريطانية.

وقد اعتمدت في بحثي على المقالات الأجنبية، التي عالج فحواها مواضيع هامّة وجديدة، لم ترد في بعض المراجع الحديثة لاعتمادها على الآثار المادية والحفريات، بالإضافة إلى أنّها سدّت النقص بسبب عدم توفّر بعض المراجع، أتى أغلبها على شكل تحليل للآثار التي عُثر عليها، منها مقالة الأب "رولو" عن البلاطة المسيحيّة، التي تعود إلى جالية إيطالية كاثوليكيّة بالصين، لكل من "كاترينا" وشقيقها "أنطونيو" اللّذين ورد أنّهما ابنا التاجر "دومنيك".

من المقالات الهامة أيضا، مقالة الدكتور "دريك" (Drake) أستاذ في معهد الدراسات الشرقية بهونغ كونغ عن الصلبان النسطورية التي تمّ العثور عليها بمنطقة منغوليا الداخلية بالصين، والتي جمعها نيكسون، ومقالة لأندريا تمثل دراسة مقارنة تستعرض من خلالها مختلف الآراء والأبحاث حول طبيعة هذه الصلبان.

وقد شَكَّلت هذه المقالات وحدةً تكاد تكون متكاملة، ذلك أنّ ظروف وأسباب تأليفها أتت بعد الاكتشافات الأثرية، ومن ذلك فإنّ هدف مؤلفيها هو وضع شروحات وتعليقات وفرضيات وحتّى استنتاجات عن التواجد المسيحي بالصين ومنغوليا الداخلية إبّان الفترة المدروسة.

صعوبات الدراسة

من بين الصعوبات التي واجهتني على سبيل المثال لا الحصر، أسماء المدن، فبالإضافة إلى صعوبة تحديد موقعها قديماً، والتشابه الكبير بين الأسماء، والخلط بينها حتّى من قِبل المراجع نفسها.

اعتماد القسم الأكبر من الدراسة على ترجمةِ المصادر والمراجع الأجنبيّة من جهة، والتي كانت في الغالب ترجمة عن الصينيّة واللاتينيّة والفارسيّة وحتّى السريانيّة، وقلّة المصادر المتعلّقة بالموضوع، والتي تناولت بالقدر اليسير أخبار المسيحيّين بالمنطقة. هذا ناهيك عن قلة

الدراسات العربية المتعلقة بسلالة يوان بالمقارنة مع الدراسات حول الايلخانية المغولية بفارس ومغول الهند.

ونسأل الله التوفيق لي، وللجنة قراءة وتقييم بحثي هذا، وصلّى الله على سيدنا محمّد، وعلى آله وصحبه وسلم.

فصل تمهيدي

تأسيس سلالة يوان المغولية

(1279–1368م)

مدخل: تأسيس سلالة يوان المغولية

I. لمحة عن التاريخ المبكر لشعوب الاستبس

II. تأسيس الخاقانية المغولية

III. تأسيس قوبيلاي لسلالة يوان المغولية

مدخل: تأسيس سلالة يوان المغولية (1279–1368م):

كان لظهور قبائل التّتار خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين الأثر البالغ في تغيير مسيرة العالم، بعد أن أحكمت سيطرتها على معظم قارة آسيا في فترة وجيزة، وسرعان ما انقسمت الإمبراطورية التي شكّلتها إلى عدة كيانات على مستوى أقاليمها، وهو ما يدفعنا إلى محاولة فهم طبيعة هذه الشعوب، وكيف تمكّنت من تأسيس امبراطورية مترامية الأطراف؟ وفي المقابل كيف أثّرت حضارات الشعوب التي احتلها المغول على هؤلاء الغزاة وجعلتهم ينتقلون من حياة البداوة إلى طور الاستقرار والتّحضّر؟

I.لمحة عن التاريخ المبكر لشعوب الاستبس :

إنّ محاولة فهم التاريخ السياسي لشعوب الاستبس يعتمد أساسا على توزّعهم الجغرافي، الذي يعد العامل الرئيسي في تكوين شخصيتهم. فعلى الحدود السيبيريّة المغوليّة شمال صحراء غوبي، نحو جبال "التاي" التي تعد السهوب جزءها الأكبر، في حين تمثل الصحاري الجزء الباقي، مما يجعل مناخ هذه المناطق البعيدة عن البحر مناخا قاريّا تتخلّله تغيّرات قاسية في درجات الحرارة [1]، استقرّت الكثير من القبائل البدوية التي تنتمي إلى الفروع الثلاثة من العرق التائي: الأتراك والمغول والتونغوز تجمعهم خصائص مشتركة كثيرة على الرغم من اختلاف لغاتهم [2].

ويعود ظهور الأتراك في القرن السادس الميلادي، إلى نقوش أرخون [3]، التي تم اكتشافها مع منتصف القرن 19م، والتي تعد أقدم أثر تاريخي لهم. وقد تمكنوا في فترة قصيرة من الاستيلاء على الأراضي الممتدة من حدود الصين إلى إيران والامبراطورية البيزنطية. ومن القبائل التي ورد ذكرها في

1- Giovanni Di Plano Carpini, The Story of The Mongols whom we call the Tartars, trns, Erik Hildinger, branden, boston, 1996, pp. 36-37.

2- René Grousset, L'Empire des Steppes Attila, Gengis-Khan, Tamerlan, edition payot, paris, 4 éd., 1965, p. 241.

3– هي نقوش عثر عليها قرب نهر أرخون، وتعد من أقدم الآثار عن تاريخ الأتراك، قام بترجمتها وفك رموزها "طومسون" وهو أستاذ دانماركي في فقه اللغة، للمزيد حول هذه الدراسة انظر:

Vilh. Thomsen, Inscriptions de l'Orkhon Déchiffrées, littérature, Finnoise, 1896

هذه النقوش أيضا، قبائل التّتار الذين تسمَّى المغول باسمهم لاحقا، وكان السبب الرئيسي لتمركز هذه القبائل البدوية في مناطق آسيا الوسطى، هو البحث عن مراع جديدة لقطعانها ممّا تسبّب في وقوع نزاعات كثيرة فيما بينها قصد اقتناء مصادر للعيش [1].

وحسب ما نقله المؤرخ "برتولد" (Bartold) عن المصادر الصينية، فإنَّ غارات المغول والأتراك المتكررة عليهم بهدف السّلب والنّهب، أدّت بالصينيين في نهاية المطاف إلى بناء السور العظيم[2] لوضع حدٍّ لتخريبهم[3]. وخلال القرنين السادس والسابع الميلاديين اندفع الأتراك صوب المناطق الغربية المسماة تركستان نسبة إليهم، وقد ساعدهم تأثّرهم بكل من الثقافة الصينية والإيرانية على تأسيس كيانات سياسية بارزة منها "كوك ترك" و"أوغور"، كما لها دور فعّال وبارز في تطور أوضاع آسيا الوسطى نظرا للسياسة الدينية التي اتّبعوها والنشاط التّجاري الذي مارسوه[4].

ممّا أدّى إلى بروز الأتراك كأول كيان بدوي، تمكّن من تأسيس امبراطورية موحّدة، حيث كانوا "أول من أنشأ دولة واسعة تضم كل من: الصين والهند وبلاد فارس وبيزنطة" [5]. وفي الوقت الذي توزّعت فيه جموعهم الأولى من نهر الفولجا إلى منطقة ما بين النهرين، ظلّ المغول في حالة ركود في موطنهم، وقد تمّت الإشارة إليهم غالبا باسم التتار [6].

---

[1]- السيد الباز العريني، المغول، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،1991م، ص ص.09-10.

[2]- تم في عهد أسرة تشين (Tshin) (209-255ق.م) وكانت بداية البناء حوالي 214 ق.م.، وانتهى حتى القرن 3م واستغرق حوالي 450 سنة طوله مع تشعباته بلغ أكثر من 4000كلم. للمزيد راجع:

Ferdinand Lot, les Invasion germaniques, fayot, paris, 1945.

[3]- برتولد، العالم الإسلامي في العصر المغولي، تر.: خالد عيسى، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، 1982م، ص. 19.

[4]- نفسه، ص ص.19-20.

[5]- Michael Burgan, Great Empires of the Past; Empire of The Mongols, facts on file, New York, 2007, pp. 15-16.

[6]- بارتولد، المرجع السابق، ص.20.

II. تأسيس الخاقانية المغولية :

1. القبائل المغولية والتركية التي شكّلت نواة الخاقانية المغولية:

تمكّنت الأقوام المغولية والتتارية والتركية بالتوغّل عبر إقليم منغوليا بطريقة سريعة. وفي محاولة للتعريف بهذه القبائل، يقول المؤرخ "الهمذاني" صاحب كتاب "جامع التواريخ" الذي يعد المصدر الوحيد الذي سَدَّ النقص الوارد في باقي المصادر التي أتت على ذكر بعضٍ من أخبارهم لاعتماده على وثائق وسجلّات تخص تاريخهم، أنَّه: "ورغم التشابه الكبير بين الأتراك والمغول ولغتهم في الأصل واحدة، إلّا أنَّ المغول صنف من الأتراك وبينهم اختلاف كثير" [1].

قبيلة التتار (Tartar):

على الرغم من صعوبة التمييز بين المغول [2] والتتار، بسبب الخلط بين التسميتين، والاعتقاد أنَّهما الأمر ذاته، إلَّا أنَّه بالرجوع إلى كتابات المؤرخين حول هذا الموضوع، يتّضح أنّ التتار قبائل متفرعة عن المغول استطاعوا في فترة ما السيطرة عليهم [3].

وبالعودة إلى نقوش أورخون فإنّ التتار قبائل غير تركية عاشت إلى جانب هذه الأخيرة شمالا باسم "طوقور تاتار"و"اوتوز تاتار" ويتّضح أنهم انقسموا آنذاك إلى فرعين: تكوّن أحدهما من تسع قبائل، في حين تكوّن ثانيهما من ثلاثين قبيلة [4].

---

[1]- فؤاد الصياد، المغول في التاريخ، ج.1، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م، ص ص.20-21.

[2]- يستمد المؤرخ "سانانغ ساتزن" (Sanang Setzen) كلمة مغول (Mongol) من كلمة مونغ (Mong) التي تحمل في اللغة الصينية دلالة على الشجاعة. راجع:

J.R.Tanner, Litt. D, and Others, The Cambridge Medieval History, the Eastern Roman Empire (717-1453), Cambridge at the Univ Press, London, 1923, p. 630.

[3]- إيناس البهجي، تاريخ المغول وغزو الدولة الإسلامية، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط.1، 2017، ص.28.

[4]- بارتولد، المرجع السابق، ص.50.

عاش هؤلاء التتار شمال وغرب الصين، وهم على ثلاثة أقسام، "التتار البيض" الذين تواجدوا خارج سور الصين ومع ذلك من الواضح أنّهم تأثروا بالحضارة الصينية، و"التّتار السود" في شمال صحراء غوبي، مارسوا حياة البداوة والتنقل، أمّا القسم الثالث، فهم "تتار الغابة"، اتخذوا من الروافد العليا لنهري "أونون" و"كيرولين" مقرا لهم، ومارسوا حياة الصيد، وأنكروا حالة الوهن والضعف التي كان عليها أقاربهم [1].

وعلى الرغم من أنَّ لفظة مغول، أُطلقت على الأقوام الذين دانوا بالولاء لجنكيز خان بعد إخضاعه لها، إلّا أنَّ لفظة تتار تغلبت عليها خصوصا في الجهات الغربية من الإمبراطورية المغولية، مع أنّ التتار قبيلة مستقلة عنهم، ومن هنا يتّضح، أنَّ اللفظتين تسميتان لقبيلتين تعيشان في الجزء الشرقي من آسيا الوسطى وفي الشمال الغربي من الصين [2]، ويعلّل المؤرخ رشيد الدين أنَّ السبب في اصطلاح الكلمة على نطاق واسع يرجع إلى قوة التتار الحقيقيين [3].

لقد عرفت قبائل التتار بالقوة والبأس، ومع ذلك فقد خضعت لملوك "الخطا"، على الرغم من الثورات التي قاموا بها في كثير من الأحيان، ويرجع سبب ذلك، إلى كثرة النِّزاعات فيما بينهم، والتي خمدت ببروز جنكيز، بعد أن قضى عليهم خلال الحرب التي دارت بين الطرفين، وأصدر أوامره بتتبّع آثارهم والتَّنكيل بهم، إلَّا أنَّ ذلك، لم يكن حائلا للكثير من المغول بخصوص الزواج من بناتهم، وظهور نسل جديد يضّم كِبار قُوَّادهم وزعمائهم [4].

---

[1]- الباز العريني، المرجع السابق، ص.33.

[2]- نفسه، ص ص. 33-34.

[3]- بارتولد شبولر، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، تر.: أحمد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1996م، ص.170.

[4]- الصياد، المرجع السابق، ص ص.26-27.

قبيلة الكرايت (kerait):

استوطنت قبيلة الكرايت الواحات الشرقية الداخلية لصحراء غوبي وجنوبي بحيرة بايكال حتى سور الصين العظيم، واعتنق أفرادها المسيحية منذ القرن الحادي عشر الميلادي (1007م)، اقتداءً بملكهم، وينقل المؤرخ الفرنسي "روني قروسي" (Grousset) رواية مفادها أنّ "القديس سارجيس" أنقذ خان القبيلة بعد أن فقد طريقه في السهوب، وبتشجيع من التُّجار المسيحيين المتواجدين هناك، طلب من مطران مدينة مرو (في خراسان)، أنْ يرسل إليه كاهنا لتعميده مع قبيلته، وفي رسالة مطران مرو إلى بطريرك النساطرة ببغداد، "يوحنا السادس" المؤرخة سنة (1009م) نقلا عن "ابن العبري"، أنَّ مائتي ألف من الأتراك عُمِّدوا مع خانهم[1].

وقد تغلَّب "طغرل" أشهر ملوكهم، على عمه "كورخان" بمساعدة "يسوكاي" والد "تيموجين" والذي كان يترأس إحدى العشائر المغولية، واستطاع أن يهزم التّتار بمساعدة من أهل "جين"، تلبية لرغبة إمبراطورهم الذي حكم الصين الشمالية، ومنحه إثر النَّصر الذي حقَّقه لقب وانج (Wang) أو أونج (Ong) تقديرا لأعماله، فعرف الملك طغرل بلقبيه الصيني والتركي "وانج خان" [2].

قبيلة النايمان (Naiman):

استوطنت هذه القبيلة التركية الحوض الأعلى لنهر أورخون ومنحدرات جبال التاي، وعلى الرغم من أنّ اسمها يبدو مغوليا (النايمان يعني ثمانية في اللغة المغولية)، إلّا أنّ ألقابهم تركية، ويرجِّح المؤرخ " قروسي" أنّهم من الأتراك المغوليين، مثّلت المسيحيّة على المذهب النسطوري دين الغالبية، إلّا أنّ ذلك لم يمنع ممارسة الكثير من الشامانيين نفوذهم بينهم، وأطلق على ملكهم "تايانك خان"

1- Grousset, op. cit., p .246.
2- Wilhelm Baum and Dietmar W. Winkler, The Church of The East: A Concise History, Routeldge, London, New York, 2003, p. 84.

لقب "كوشلوغ" خان، الملك القوي الذي قضى عليه "جنكيز" بعد حرب طاحنة [1]. ويعود السبب في تصنيفهم على أنّهم من المغول الأتراك إلى التشابه الكبير في العادات والتقاليد بين الاثنين [2].

قبيلة المركيت (Merkits):

استقرّت قبيلة "المركيت" أو "المكريت" التي تنتمي إلى البدو الرحل على الشمال من "النايمان"، على طول نهر سلنجا، وقد مارس بعض منهم الزراعة، حمل رئيسهم لقب "بيكي" والذي يعني رئيس الشامان باعتبار أنّ الشامانية هي المعتقد الغالب بينهم، تمّ تقسيمهم إلى العديد من العشائر التي سيطرت عليها في النهاية عشيرتا (Uduyid) و (U'as)، على أنّ أوّل ذكر للمركيت ورد في سجلات سلالة لياو شمال الصين، خلال مشاركتهم إلى جانب مرقس زعيم الكرايت بين سنتي (1297/1096م) في هجومه على الخطائيين، وفي المقابل ساهموا في تأسيس سلالة القراخطائيين بتركستان سنة 1129م[3].

لم تكن هذه العشائر على وفاق مع جنكيز خان وحاربت بقوة غزواته، وتعود طبيعة هذه العلاقة إلى عهد يسوكاي بهادر الذي خطف عروسا تنتمي إليهم واتخذها لنفسه، وسرعان ما ردّ بعض من زعمائهم الصاعة صاعين بخطف بورتي زوجة تيموجين، والذي تمكّن في نهاية المطاف بعد مساعدة كل من جاموكا وطغرل من استعادة زوجته، وبعد عدة معارك معهم ومع القبائل الأخرى تسنى للقائد المغولي أخيرا إخضاعهم سنة 1204م[4].

1- Grousset, op. cit., p.242.

2- الصياد، المرجع السابق، ص.29.

3- Christopher P. Atwood, Encyclopedia of Mongolia and the Mongol empire, facts on file, New York, 2004, p.347.

4- Christopher P. Atwood, op. cit., p.347.

قبيلة أويرات (Oirad):

تعدّ قبيلة أويرات (أويراد) ذات أصل مغولي، على الرغم من اختلاف لغتها قليلا عن القبائل الأخرى، وقد أقام أفرادها بين نهر أونون وبحيرة بايكال، كما سارعوا بتقديم الولاء لجنكيز خان فور مجيئه[1].

قبيلة قيات (Qiyat):

وهي القبيلة التي ينتمي إليها مؤسّس الإمبراطوريّة المغولية، وتعرف باسم "بورجقين" (Borjigin)[2] منطلق المغول ودعامتهم، واتّخذت من سفوح جبال "قراقورم" مركزا لها، بعد أن جعلها "جنكيز" قاعدة الانطلاق والاتحاد مع القبائل الأخرى، وسطع نجمها في عهد والده "يسوكاي بهادر" الذي استطاع تثبيت أركانها من خلال تحالفه مع القوى الكبرى، كتحالفه مع الكرايت ومساعدته لهم، ليخلفه عقب موته على زعامة القبيلة، ابنه الذي استطاع بدهائه تقوية علاقته مع زعيم قبيلة الكرايت "أونغ خان"، الأكثر تمرّسا في شؤون الحكم والسياسة بين قبائل المنطقة [3].

2. توحيد القبائل على يد جنكيز خان:

كان أونغ خان رئيس قبيلة الكرايت صديقاً لوالد "جنكيز" واستمرّ الأمر معه أيضا، وتوطّدت العلاقات بين الاثنين، غير أنَّ أبناء "أونغ" وأقرباءه أوغروا صدره ضدّ صديقه، فعزم على القضاء عليه والغدر به، لكن بعض الفارين من منطقة حُكمه، أطلعوا "جنكيز" على ما يدبِّره له

[1]- الصياد، المرجع السابق، ص. 29.

[2]- وتعرف هذه القبيلة أيضا باسم "قيان" وربما يرجع سبب الاختلاف في الحرف الأخير إلى الترجمة. انظر: رغد النجار، امبراطورية المغول، (دراسة تحليلية عن التاريخ المبكر للمغول وتكوين الإمبراطورية والصراعات السياسية على السلطة) 603-776هـ/ 1206-1365م، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط.1، الأردن، 2012م، ص.40.

[3]- غنيمات قاسم مزعل وآخرون، **قبائل المغول الأولى، النشأة والاندماج والتوحيد616هـ/1218م**، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، الأردن، مج.5، ع.3، 2011م، ص ص. 95-96.

فنجا من المؤامرة، وعندما هاجم جنود "أونك" منازل خصمه وجدوها خالية، وأسفرت الحرب التي دارت بين الطرفين عن انتصار تيموجين وقتل خصمه في سنة 1202م [1].

أدّت هذه الموقعة إلى تقديم العديد من القبائل ولاءها لجنكيز خان، ولم تتردّد كل من الأويرات والقنقورات في إعلان الولاء له لما أرسل إليها يطالبها به، في حين استنجد "تايانك" خان رئيس قبيلة النايمان الذي خاف نفس مصير أونك خان، بملك قبيلة الأونغوت، وطلب منه أن ينضّم إليه في حربه ضد جنكيز، غير أنّ هذا الحاكم أرسل إلى هذا الأخير رسولا يطلعه على عرض تايانك، نشبت على إثرها حرب بين الاثنين انتهت بتغلّب جنكيز على زعيم النايمان وقتله سنة 1203م [2].

بعد أن حالف النّصر جنكيز في كثير من الأحيان، شَرع في تحريض القبائل على بعضها البعض والتّحالف مع أقواها، حتى استطاع التّغلب على أقوام المغول، التي اتّخذت من التبت وشرقي تركستان مقراً لها، وبعد أن أَحْكم سيطرته على جميع القبائل المتواجدة بين حوضي نهر التاريم ونهر آمور، عقد مجلس القوريلتاي [3] سنة 1206م ليتم تعيينه خانا عليها، مفتَتِحا عهداً جديداً في تاريخ القبائل الرعوية وإعلان سيادته عليها، تحت مسمى "المغول"، وحتّى "التتار" أحيانا أخرى [4].

---

[1]- الصياد، المرجع السابق، ص ص.46-47.

[2]- نفسه، ص.47.

[3]- القوريلتاي: (Quriltai) مجلس يعقد بحضور وجهاء القبائل، وظيفته الأساسية هي انتخاب وتعيين الخان، ويتم من خلاله العديد من الأمور كمناقشة قضايا الحرب والسلم بما في ذلك الإستراتيجية العسكرية، كل هذا يتم وفقا للتقاليد المغولية القديمة. وهو نفس المجلس الذي تم تنصيب تيموجين على أساسه إمبراطوراً على المغول، بعد اتخاذه لقب "جنكيز خان". للمزيد انظر: Christopher P. Atwood, op. cit., p.462.

[4]- محمود سعيد عمران، المغول وأوروبا، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997م، ص.33.

3. تفكك امبراطورية جنكيز خان وتأسيس سلالة يوان:

قام جنكيز خان بتقسيم امبراطوريته التي حرص سنوات طوال على توسيعها بين أبنائه الأربعة من زوجته بورتي، وطبقا لقانون الياسا [1]حاز ابنه الأكبر جوجي على البلاد الواقعة بين نهر ارتش والسواحل الجنوبية لبحر قزوين وتعرف تلك البلاد عامة بالقفجاق[2] وبموته آلت أملاكه إلى ابنه باتو، أمّا جغتاي فقد أصاب بلاد الأويغور وأقاليم ما وراء النهر وكاشغر وبلخ وغزنة، في حين حظي أوكتاي ولي العهد بمناطق جبال تار باجاي، أما تولوي الذي كان أصغرهم فقد آلت إليه منغوليا الموطن الأصلي لأبيه[3]. وبموت جنكيز خلفه على الحكم أوكتاي عن طريق مجلس القوريلتاي الذي عقد سنة 1229م، وعلى الرغم من اختلافه عن والده إلّا أنّه اهتم هو الآخر بتوسيع أراضي إمبراطوريته وسمح لإخوته بامتلاك حصصهم من الأملاك المقطعة لهم [4].

تولى غيوك الحكم بعد موت أوكتاي، بعد أن بذلت أمه "توراكينا خاتون" قصارى جهدها طيلة أربع سنوات، في سبيل اجتذاب الأقارب والأمراء بأنواع الهدايا حتى استطاعت كسب أغلبهم إلى صفها، ولما تأكّد لها أنّ الظروف أصبحت مهيأة لنجاح خطتها، بَعثت إلى كبار الشخصيات

---

[1]- الياسا: مجموعة من القوانين التي وضعها جنكيز خان استنادا إلى عادات وتقاليد تلك الشعوب، فحذف وأضاف إليها ما رآه جيداً حسب ظنه، ليسهل عليه تنظيم وحكم تلك الشعوب وفق تلك النصوص بعد أن أمر بتدوينها في كتاب تحت مسمى "الياسا الأكبر" للمزيد انظر:

عطا ملك الجويني، تاريخ فاتح العالم جهانكشاي، تر.: السباعي السباعي، تح.: محمد القزويني، ج.1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط.1، ص ص.64-74.

[2]- أدى موت جوجي إلى تقسيم جنكيز أملاكه بين ولديه "أوردا" و"باتو"، فحصل الأول على الجزء الشرقي أي الأراضي الممتدة من نهر ايرتش إلى بحر آرال، وعرفت باسم اق أوردا بمعنى "القبيلة البيضاء"، أما الثاني فقد حصل على الجزء الغربي من الخاقانية وعرف باسم "كوك أوردا" بمعنى القبيلة الزرقاء، وفي عهد بركة خان الذي اعتنق الإسلام وخلف باتو، خضعت الأولى لرئاسة مغول القفجاق شكليا، ثم أصبح رسميا في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي. للمزيد من التفاصيل انظر: سارة مسعود، عصر بركة خان سلطان مغول القفجاق (655-665/1257-1266م)، دار الخليج للنشر والتوزيع، ط.1، عمان، الأردن، 2020م، ص ص.26-27.

[3]- الصياد، المرجع السابق، ص.164،165؛ الجويني، المصدر السابق، ص ص. 78-80.

[4]- بارتولد، العالم الإسلامي، المرجع السابق، ص.35.

المغولية في كل المناطق لحضور قوريلتاي تنصيب "غيوك" خانا أعظم للمغول، ليتّم تأكيد حكمه بعد انعقاد قوريلتاي آخر سنة 1246م، ولم يمضِ الكثير من الوقت على حكمه، حتى مات هو الآخر سنة 1249م، لتباشر زوجته "أوغول غايمش" مهام الحكم إلى أن يتّم انتخاب خان جديد طبقا لعادات المغول، فاضطربت أحوال الإمبراطوريّة من جديد، ومع حرصها على تولي "شيرامون" ابن الخان السابق بناءً على وصيّته، إلّا أنّ رأي أغلب الأمراء استقر على اختيار مونكو خانا، وعلى رأسهم "باتو" الذي يعد أبرز شخصية مغولية في ذلك الوقت، وأسهمت أمه "سورقيتي بيكي" بدور مهم في عقد مجلس سنة 1250م، بقوراقورم وانتخابه رسميا سنة 1250م [1].

خلال هذه الفترة، التي لم تخل من وجود بعض النّزاعات على تولي السلطة، استمرّت توسّعات المغول نحو بلدان العالم، وفي سنة 1258م هاجم المغول بقيادة هولاكو مدينة بغداد، واحتلوا دار الخلافة، وأَسروا الخليفة وأعدموه، بعد أن أجبروه على اطلاعهم على أسراره، بسقوط المدينة زالت الخلافة العباسيّة التي كانت لا تزال لها بعض الهيبة، ونتج عن هذا الحدث الكثير من الخراب في بلاد ما بين النهرين، بعد أن أطلق "هولاكو" العنان لجنوده بنهبها وتدميرها والتنكيل بأهلها، باستثناء الشيعة، الذين مثّلهم "نصير الدين الطوسي"، والمسيحيين الشرقيين الذين لاقوا تعاطفا من هولاكو نفسه، بسبب زوجته النسطورية، حتى إنّهم ساعدوه على إسقاط العديد من المعاقل بسرعة كبيرة [2].

زادت الانتصارات المتتابعة التي حقّقها المغول، والهزائم التي ألحقوها بأعدائهم من غرورهم، وغاب عنهم أنّه من الممكن أن يقف أي أحدٍ سداً منيعاً نحو تقدمهم إلى باقي المناطق، فبعد سنتين من سقوط الخلافة أرسل هولاكو مبعوثين إلى مصر، يطالب حاكمها سيف الدين قطز (657-658هـ/1259-1260م) بالخضوع له، فما كان منه إلّا أنَّ قتل الرسل ردا عليه، مما

[1]- الصياد، المرجع السابق، ص ص.196-197، 206-208.

[2]- بارتولد، العالم الإسلامي، المرجع السابق، ص ص.47-48.

يعني حتمية الحرب، التي دارت في موقعة عين جالوت سنة 1260م، استمات خلالها المسلمون بقيادة قطز في قتال قوات المغول وألحقوا بهم هزيمة نكراء [1].

في الواقع ما حدث في عين جالوت يعد أكثر من مجرد معركة؛ إذ مثَّلت هذه الموقعة نقطة تحول في مسار توسعات المغول على العالم الإسلامي والعالم الغربي من جهة، وتلاشي أسطورة الجيش الذي لا يهزم والحاكم العالمي تدريجيا من جهة أخرى.

تزامنت الحروب الطاحنة التي دارت رحاها بين المسلمين والمغول في الشرق مع موت مونكو خان، وحدوث خلافات عنيفة بين شقيقيه "أريك بوكا" و"قوبيلاي"، فبينما نَصَّب الأول نفسه على قوراقورم، وعقد مجلسا تم الاعتراف به في منغوليا التي ولاه عليها مونكو خان لتأمين مقاطعته الوسطى وتحصين العاصمة، ويبدو أنّه حظي بدعم واسع نظرا إلى القيمة التقليدية، نَصَّب الثاني نفسه حاكما على الصين، بعد أن عقد هو الآخر قوريلتايا مستعجلا في "دولان نور" (Dolon Nor)، يضم المؤيدين له، دون انتظار ممثلين عن أجزاء أخرى من العالم المغولي، ولم يعترف به سوى هولاكو وبعض أمراء جغتاي[2].

نَجَم عن هذه الأحداث حرب أهلية، أدّت إلى انقطاع منغوليا عن العالم الخارجي، وانتهى النزاع الذي دام أربع سنوات بين الأخوين باستسلام أريك بوكا [3]سنة 1264م، وما لبث أن مات بعدها بسنتين، واستقرّت أمور الحكم والسلطة لقوبيلاي وأصبح الخاقان الأعظم [4]، بينما

---

[1]– بارتولد، العالم الإسلامي، المرجع السابق، ص. 48.

[2]- Michael P Rawdin, The Mongol Empire its Rise and Legacy, tran.: Eden and Cedar Paul, London, 3.imp., 1953, pp. 317-319.

[3]– يذكر المؤرخ الهمذاني أنّه لما يئس أريك بوكا، أرسل إلى أخيه قوبيلاي يعتذر ويقول: " إننا نحن الاخوة الصغار قد ارتكبنا ذنبا مدفوعين بدافع الجهل، وأخطأنا. وأنت أخي الأكبر تعرف الجزاء الذي نستحقه، وحيثما تأمر سوف أجيء ولن أتجاوز فرمان أخي الأكبر. وسوف أشبع الدواب وأُسمنها ثم أتوجه إلى الحضرة". انظر: رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ تاريخ خلفاء جنكيز خان من أوكتاي قاآن إلى تيمور قاآن، تر.: فؤاد الصياد، دار النهضة العربية، بيروت، 1983م، ص.251.

[4]- Paul D. Buell, Historical Dictionary of the Mongol world empire, the scarecrow press, U.S.A, 2003, p.54.

دخل "بركة خان" [1] الذي خلف باتو، في عزلة سياسية تامة جعلته يقطع جميع علاقاته مع الصين، في حين بقيت العلاقات ودية بين الخاقان الجديد وهولاكو بعد قبوله حاكما للبلاد التي غزاها، واتخاذه لقب ايلخان (نائب الملك) كإعلان لخضوعه التام لسلطة شقيقه [2].

وجدير بالذكر أنَّ الايلخانية وإن صارت تابعة اسميا فقط للإمبراطورية الأم، إلاّ أنّه وعلى مدى عقود، تقلّد حكامها مناصبهم بناءً على المرسوم الذي كان يرسله الحاكم المغولي من مقرّه الجديد بالصين، وهو ما فعله قوبيلاي مع الذين تعاقبوا على الحكم بعد موت هولاكو[3].

أمَّا المنطقة الواقعة بين نهر جيحون ومنغوليا بسكانها ذوي الغالبية التركية، فقد مثَّل القطاع التابع لجغتاي، ولأنّ جنكيز لم يضع أي حدود فاصلة بين إقطاع جغتاي وأوكتاي، لم يخل عهدهما من النّزاعات [4].

بالرجوع إلى القوريلتاي الذي عقد في "دولان نور" فقد مثَّل هذا المجلس أكبر نقاط التحول في تاريخ الإمبراطورية المغولية لأنّه أعطاها اتجاها جديدا، وبالتالي تغيير مصير آسيا، فقوبيلاي الذي لم يكن راضيا عن الانتخابات لأنّه يعلم قابلية شرعيتها للتنافس، تَوَّج نفسه من قبل الأمراء الصينيين ونَقل عاصمته من السهول المغولية إلى الصين، في حين قام بتحويل العاصمة السابقة إلى منطقة عسكرية، وتم تدوين التاريخ المغولي بالمحاذاة مع الصيني حين تم تسجيل الخانات على أنّهم أباطرة صينيين ضمن تاريخ الأسر الصينية [5].

---

[1]– أدى انتشار الإسلام في بلاد القفجاق التي كانت أول قبيلة مغولية تعتنق الإسلام، إلى ظهور العداء بينه وبين بقية القبائل، في المقابل توطدت العلاقات بين بركة خان والمماليك، وتبادل السفارات من أجل دحض مغول فارس. انظر: سعيد عمران، المرجع السابق، ص ص.74-75.

[2]– برتولد، العالم الإسلامي، المرجع السابق، ص.51.

[3]– رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ، الايلخانيون، تاريخ أبناء هولاكو من آباقا خان إلى كيخاتو خان، تر.: محمد نشأت، فؤاد الصياد، م.2، ج.2، الجمهورية العربية المتحدة، الإدارة العامة للثقافة، ص.134.

[4]– بارتولد، العالم الإسلامي، المرجع السابق، ص.58.

[5]- Michael P Rawdin, op. cit., pp.318-319.

III. تأسيس الخان قوبيلاي لسلالة يوان :

استمر غزو المغول للصين حوالي عشرون عاما، واستقرت لهم الأمور فيها بعد أن اعتلى قوبيلاي سدة العرش، وأسّس بها سلالة يوان بعد أن تسنى له اخضاع كامل الصين وتوحيدها.

1. غزو شمال الصين:

كانت التانغوت (مملكة هسيا) الواقعة في الغرب، أول مناطق الصين التي هاجمها جنكيز خان سنة 1205م، والتي أسفرت عن العديد من الغنائم، ليتجدّد النزاع من جديد، وتحت وطأة الهزيمة سنة 1210م، منح ملكها ابنته زوجة لجنكيز، ومع ذلك لم يتسن للمغول إخضاعها نهائيا، إلّا في الفترة الأخيرة من حياة جنكيز[1]. وقد مثّلت هذه المنطقة مفتاح عبور ودخول جنكيز لباقي المناطق الصينية وغزوها[2].

بخضوع مملكة هسيا (شيا الغربية) للخان المغولي، أصبحت الصين خلال هذه الفترة منقسمة على نفسها بين أسرتين، فبينما سيطرت مملكة الجورشين على القسم الشمالي، خضع الجنوبي لحكم أسرة سونغ ومقرها هانغزو، وقد انشغل الاثنان بمحاربة بعضهما البعض، وبحلول سنة 1210م أرسل الامبراطور الجورشي الذي مضى على اعتلائه العرش مدة قصيرة وفدا إلى منغوليا يطالب جنكيز بدفع الجزية، غير أنّ هذا الأخير أعلن الحرب واستطاع هزيمته باستخدام الحيلة والحرب النفسية، من خلال استغلال السكان وثقافتهم ضد جيشهم، وقد تم له القضاء عليها نهائيا بعد أن حاصرها مدة ثلاث سنوات[3].

---

[1]- الباز العريني، المرجع السابق، ص.64.

[2]- ايناس البهجي، المرجع السابق، ص.28.

[3]- إيمي شوا، عصر الإمبراطورية كيف تتربع القوى المطلقة على عرش العالم وأسباب سقوطها، تر.: منذر محمد، ط.1، العبيكان، المملكة العربية السعودية، 2011م، ص ص.157-158.

وبحلول سنة 1215م تمكّن المغول من السيطرة على بكين، وتوسّع حكمهم إلى معظم شمال الصين ومنشوريا، وقد استمرت الحروب التي بدأها جنكيز على الشمال الصيني في سنة 1211م، زهاء عشرين سنة تخللتها انقطاعات قصيرة[1].

في البداية لم يُظهر المغول أي اهتمام بحكم شمال الصين، ولولا تنبّه المستشارين الصينيين والجورشن إلى ضرورة استغلال الأراضي الزراعية، عن طريق فرض ضرائب على سكانها مع استمرارهم بالعمل فيها، لتمة تحويل معظمها إلى مراع[2] والعيش في القرى، ولكن لا جنكيز خان ولا خليفته أوكتاي من بعده، وضع أهدافا سياسية محددة لمنطقة جين[3].

ظلّت الحاجة إلى القوات العسكرية والموارد في العقود الأولى من حكم المغول ملحّة؛ إذ قام هؤلاء بتولية القادة العسكريين الصينيين في مناطقهم لصالح الغازين الجدد، ولإمداد القوى العاملة في الحملات العسكرية حسب الحاجة[4].

سعى الخان أوكتاي (1186-1241م) إلى استغلال السكان المحليين، من خلال اتّباع نظام الضرائب الذي طبّقته أسرة جين من قبل، ومع أنّه لم يُقم دولة دائمة، إلّا أنّه سمح بالانتقال الدائم للعديد من موظفي وسط وغرب آسيا للعمل بها، وتوظيفهم في مختلف مراتب الدولة وأرقاها، وبحلول سنة 1230م كانت منطقة جين متصلة بسهول المغول التي حكمها "تولوي"

---

[1] – الصياد، المرجع السابق، ص ص.52-53.

[2]– من اللافت للنظر أنّ هذا النظام هو الذي سيؤدي فيما بعد إلى سقوط سلالة يوان على يد الفلاحين بعد أن أثقلت الضرائب كواهلهم؛ إذ فرضت حكومة يوان على الفلاحين ضرائب باهظة، كما استولى النبلاء من قوميتي "المغول" و"الهان" وغيرهما وكبار الموظفين وملاك الأراضي وأصحاب المعابد على مساحات شاسعة من الحقول المزروعة. إضافة إلى ذلك، وَجَب على الفلاحين المستأجرين أن يدفعوا أجورا إضافية بصورة متتالية وعلى أبنائهم لخدمة مواليهم، أدّى هذا في نهاية المطاف إلى انتفاضة الفلاحين وسقوط يوان النهائي سنة 1368م، ليصبح "تشو يوان تشانغ" الفلاح الأجير سابقا أول أباطرة سلالة مينغ. انظر: جياو جيان، **التناقضات الاجتماعية وسقوط أسرة يوان**، مجلة بناء الصين، تاريخ الصين، ج.2، ط.1، دار بناء الصين، الصين، 1987م، ص ص.37-38.

[3]- Michael C. Brose, China Imperial : Yuan Dynasty Period 1279-1368, the Encyclopedia of Empire, U.S.A, 2016, p.01.

[4]- Ibid.

وجزء من خاناته، ليبدأ ابنه الأكبر "مونكو" الخان الرابع للإمبراطورية الناشئة، المرحلة الأخيرة لغزو الجنوب الصيني بعد انتخابه حاكما سنة 1251م، ومع ذلك فقد تمّ الغزو النهائي للمنطقة على يد شقيقه الأصغر قوبيلاي [1].

2. غزو قوبيلاي لجنوب الصين وتتويجه خاقانا:

يعود اهتمام قوبيلاي بسونغ إلى نشأته وفق الثقافة الصينية منذ أن كان في العشرينيات من عمره، بعد أن حصل على إقطاعاته في شمال الصين مثل العديد من الأمراء المغول، ولم يساعده مستشاروه الصينيون في إدارة شؤونه وحسب؛ بل عرَّفوه على طبيعة ثقافة وتقاليد البلاد، لتمكّنه هذه التجربة من إدراك المشاكل الكامنة في تقاليد شعبه البدوي، المتمثلة في السماح لقواتهم بالنهب، وممارسة منح المقاطعات الكبيرة للقادة كغنيمة، وعلى هذا الأساس قرَّر تبني نظامٍ مختلفٍ في حكمه لمناطق الجنوب[2].

حمل مجتمع الجنوب الصيني مختلف ثقافات العالم، بما في ذلك اقتصاد وتجارة وصناعة لا مثيل لها، وانعكس ذلك على الثقافة العالمية لعاصمته التي تعرف حاليا بـ"هانغتشو"، وأدرك قوبيلاي أنّ المصلحة لا تقتضي تدميرها أو تدمير اقتصادها مثلما حدث في الشمال، وبدلا من ذلك سعى إلى تعيين المغول بمثابة حكّام دائمين لا غزاة، في محاولة منه لاستمالة سكان المنطقة، وبمجرد حصوله على منصب الخان الأعظم في سنة 1260م، حتى سعى جاهدا إلى تقليد وتبني الأنظمة الصينية، وتجلى ذلك في مظاهر حكمه الذي دام أكثر من ثلاثين سنة[3].

وكَّل مونكو خان إلى قوبيلاي في سنة 1256م مهمة غزو المنطقة، والتي عرفت أيضا باسم مانزي، وظلّ منشغلا بغزو ممالكها حتى موت أخيه سنة 1258م، وبعد تخلّصه من منافسة شقيقه أريك بوكا، واصل غزواته ونجح في القضاء على آخر بقايا سونغ بعد أن ساعدته الأوضاع

1- Michael C. Brose,op. cit., pp. 1-2.
2- Ibid.
3- Ibid.

التي كانت تمر بها، وتسنّى له ذلك في معركة يايشان (Yaishan) البحرية سنة 1279م، صحبت محاولات إخضاعها توجيه حملات نحو ما يعرف حاليا بـ اليابان والفيتنام وبورما وجاوا[1].

بلغت الإمبراطورية المغولية في عهد هذا الخان أوج قوتها واتّساعها، فضمَّت كلاً من المناطق التي تعرف حاليا باسم الصين وكوريا والهند الصينية والتبت، بالإضافة إلى المقاطعات الأخرى التي يحكمها خلفاء جنكيز، والتي كانت تابعة له اسميا [2].

3. تاريخ بداية السلالة واصطلاح يوان عليها :

اختلف المؤرخون حول تحديد التاريخ الفعلي لتأسيس سلالة يوان، وبناءً على كريستوفر الذي اطلع على الحوليات الصينية فقد تم تسجيل الخانات المغول على أنّهم صينيون، وتأريخ بداية سلالة يوان إلى سنة 1206م على يد جنكيز خان المؤسس الحقيقي والأول للإمبراطورية، ورأي آخر يرجعها إلى سنة 1260م عند تولي قوبيلاي الحكم عقب موت مونكو، ورأي ثالث يرجعه إلى سنة 1271م حين أطلق عليها "يوان"، في حين من يراه سنة 1279م خلال نجاح المغول في اجتياح سونغ، والذي جعل كامل الصين تحت حكم واحد، ومنذ ذلك الوقت، ظلت دائمًا دولة موحدة[3].

وبالنسبة لي فقد اعتمدت على تاريخ غزو الجنوب الصيني سنة 1279م بداية لحكم السلالة المغولية بالمنطقة، ذلك أن حملة قوبيلاي على جنوب الصين أو مانزي، عزّزت موقفه كإمبراطور شرعي في نظر الصينيين، فحتّى مناطقها الشمالية التي بلغت أوجها لم تسيطر على كل أراضي المملكة الوسطى، لأنّ بعضا منها ظلَّ تحت سيطرة الخطا [4].

1- Paul D. Buell, op. cit., p.55.

2- الصياد، المرجع السابق، ص.218.

3- Christopher P. Atwood, op. cit., p. 603.

4- Ariunaa Batbold, Globalization During the Yuan Dynasty under Khublai Khan's Rule and Lessons for Modern Globalization Effort, the Fletcher School of Law and Diplomacy, 2000, p. 37.

4. اصطلاح يوان:

خلال سنة 1271م حين أطلق قوبيلاي (Shih-tsu) على سلالته اسم يوان (Yoo Wahn) المأخوذ من الكلمات الصينية (Da Yuan) والذي يعني "بدايات عظيمة" أو "الأصول العظيمة" وحسب دافيد دريار (David Dreier) فإنّ اصطلاح الحاكم المغولي لهذه التسمية، هو رغبته في ترك انطباع لدى الشعب الصيني عن بداية جديدة خلال حكم المغول[1].

أمّا المؤرخ بول (Paul) فيفترض أنّ مصدر الاسم مأخوذ من الكتاب الصيني الذي يحمل اسم "التغييرات" (Book of Changes)، ومع أنّ اللغة صينية إلّا أنّه يحمل دلالة واضحة عن السلطة المركزية للغزاة الجدد[2].

5. بناء العاصمة خان باليق:

يعد إخضاع قوبيلاي كامل الصين لحكمه وتغيير مقره من قوراقورم بمنغوليا إلى خان باليق، ثورة على الطابع البدوي الذي ميّز حياة المغول، حيث لم يلبث هؤلاء الغزاة بعد هذا الفوز الكاسح أن أخذوا بأسباب الاستقرار وبناء الحضارة، وقد وقع اختياره على هذه المدينة لتصبح عاصمة لإمبراطوريته، والتي سميت في اللغة الخطائية "جونكدو" وكانت عاصمة لهم، والواقع أنّه ليس أول من اختارها، فتاريخ تأسيسها قديم جدا بناءً على اختيار المنجّمين لاقترانها بالسعادة [3].

تعود أصول المدينة والتي تمثل حاليا "بكين" إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة، ففي وقت مبكر من عهد أسرة شانغ (Shang)، بدأ ظهور المجتمعات في المنطقة التّي شكّلت نواة تلك المدينة. وفي عهد أسرة تشو (Zhou)، كانت مقرًا لعاصمة ولاية يان (Yan)، وسميت بـ جي (Ji)،

[1]- David l. Dreier, The Mongols, Yuan Dynasty, Rosen publishing, New York, 1ed., 2017, p. 18.
[2]- Paul D. Buell, op. cit., p. 54.
[3]– الهمذاني، المصدر السابق، ص.271.

خلال فترتي الربيع والخريف وفترة حرب الدويلات، اشتهرت جي بأنّها واحدة من "العواصم المشهورة تحت السماء"، بعد أن جمعت مختلف الصناعات والتجارة والفن والثقافة [1].

لقد سعى قوبيلاي إلى إعادة إحياء المدينة التّي دمّرها جده جنكيز خان، فبنى وفقا لما قاله الهمذاني "بجوارها مدينة أخرى اسمها "داي دو" فاتصلت المدينتان ببعضهما وهي معمورة بحيث إنَّه قد أقيمت أيضا عمارات غير محدودة وقد بنى قصره في وسط المدينة وقد اتّخذه للإقامة الشتوية، وتم ربط المدينة بعدة مدن كزيتون وخينكساي عن طريق حفر نهر كبير" [2].

أبهرت المدينة زائريها؛ إذ حوت كلّ ثقافات العالم على اختلافها وجمعت في بلاط الخان العلماء والوزراء وكبار الشخصيات على اختلاف مذاهبهم ودياناتهم وحتى البلدان التي أتوا منها كما هو معروف، فالرحالة الإيطالي "ماركو بولو" يسميها بـ كامبالو (Cambalu) واصفا إياها بالمدينة العظيمة التي جمعت كلاً من الإسلام والمسيحية واليهودية، وقد اتّخذها الخان مقراً له فترة الشتاء [3].

في الحقيقة إنّ تاريخ المغول بالصين مثير للاهتمام، ويحتاج دراسة أكبر للإلمام بمختلف جوانبه، وذلك أنّه لم يستوف الاهتمام الكافي من الدراسة وبالتحديد من العالم الإسلامي. وبالعودة إلى "سلالة يوان" فهي نموذج فعلي عن تبنّي القبائل الرعوية لحضارات الشعوب التي احتلّتها وخروجها مع مرور الوقت من طور البداوة إلى الحضارة.

---

[1]- Chen Gaohuo, The Capital of the Yuan Dynasty, tran.: Phoebe Poon, Enrich Professional Publishing, China, 2015, p. 2.

[2]- الهمذاني، المصدر السابق، ص.271.

[3]- ماركو بولو، رحلات ماركو بولو، تر.: عبد العزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1996م، ط.2، ج.2، ص ص. 18-28.

استمرّ حكم سلالة يوان زهاء قرن بالصين، متأثّرة في ذلك بحضارتها العريقة أكثر ممّا أثّرت فيها، ومع ذلك فقد فسح حكم المغول للصين الآفاق للأجانب للوفود إلى المنطقة أكثر من أي وقت مضى.

في المقابل، لم يكن المغول وحدهم من تأثَّر بالحضارة الصينية؛ إذ أنّ سياستهم السلسة بشأن الأديان ستفسح المجال لزيادة ظهور وانتشار مختلف المذاهب في المناطق الخاضعة لها، وبالأخص الصين، بعد أن كانت ممارسة أغلبها محظورة قبل مجيء المغول كما سنبينه في الفصل الموالي.

الفصل الأول

النساطرة في الخاقانية المغولية

الفصل الأول: النساطرة في الخاقانية المغولية

I. الديانة المسيحية بين قبائل المغول

II. أسطورة الراهب يوحنا

III. المسيحية في الصين

V. المسيحية في الصين خلال الفترة المغولية

VI. الآثار المادية الدالة على وجود المسيحيين خلال عهد سلالة يوان

VII. زوال النسطورية في الصين وآسيا الوسطى

الفصل الأول: النساطرة في الخاقانية المغولية:

كان من الصعب دراسة المذهب المسيحي النسطوري في ربوع الخاقانية المغولية، وتتبّع آثارها، حتّى بالنسبة للمختصين، إلاّ أنّ الآثار التي اكتشفها الباحثون ساهمت في الكشف عن بعض خباياها، وعلى هذا كيف دخلت المسيحية إلى المنطقة؟ وهل استمرّ انتشارها خلال هذه الفترة أم توقف؟

I.الديانة المسيحية بين قبائل المغول:

تم الحديث في المدخل عن أبرز القبائل التي شكَّلت الإمبراطورية المغولية أثناء بداية تأسيسها، وفي هذا الفصل سنتطرق إلى أربع منها بشيء من التّفصيل، وهي قبيلة الكرايت، وقبيلة النايمان، وقبيلة المركيت، وقبيلة الأونغوت على اعتبار أنّ غالبية أفرادها دانوا بالمسيحية على المذهب النسطوري، وهي الموضوع الأساس في هذه الدراسة، مع التركيز على الأونغوت بسبب توفّر المصادر التاريخية عنها نسبيا بالمقارنة مع باقي القبائل.

1. قبيلة الكرايت:

برزت قبيلة الكرايت على أنقاض سلالة لياو التي أسّسها الخطائيون في القرن العاشر واستمر وجودها إلى القرن الثاني عشر ميلادي (907-1125م)، بعد أن تحالفوا مع خصوم لياو، الجورشن الذين أسَّسوا سلالة جين (1115-1234م)، ونتج عن تحالف الكرايت مع جين، أنْ منح امبراطور سلالة "جين" لقب "وانغ خان" أو "أونغ خان" لطغرل الذي ستجمعه علاقة مع جنكيز خان، استوطن هو وشعبه المنطقة الواقعة شمال الصين ومنغوليا، وانتهى المطاف بهم إلى الخضوع لحكم تيموجين بعد هزيمة أونغ خان سنة 1203م [1].

[1]- Tjalling H. F. Halbertsma, Early Christian Remains of Inner Mongolia Discovery, Reconstruction and Appropriation. Publisher, Leiden, Boston, Brill, 2008, pp.31-32.

على مدار قرنين من الزمن (الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين)، بسطت هذه القبيلة سلطتها على باقي القبائل المجاورة لها، واستطاعت بفضل المكانة والقوة التي وصلت إليها أن تمدّ يد العون لوالد تيموجين؛ إذ تمكّن قائدها طغرل من القضاء على عم وخصم "يسوكاي بهادر" الذي نازعه على الحكم، كما استطاع القضاء على التتار تلبية لرغبة حاكم سلالة "جين" الذي ثَمَّن مجهوداته وأطلق عليه لقب أونغ خان (Ong Khan) كما ذكرنا سابقا [1].

اعتنقت هذه القبيلة التي يرجّح أنّها من أصل تركي المسيحية سنة 1007م، وبمناسبة هذا الحدث أرسل مطران مرو رسالة في سنة 1009م إلى بطريرك بغداد يخبره فيها عن اعتناق مائتي ألف من أتباعه من أفراد القبيلة للمسيحية، بسبب معجزة حدثت لخانهم –كما ذكر سابقا في المدخل– طالبا منه نصيحة بشأن الصوم على اعتبار أنّ طعام شعوب السهوب مكون من اللحم والحليب، وجاء رد البطريك أنه ينبغي على القبائل حديثة العهد بالمسيحية التخلي عن اللحم في وجباتها خلال الصوم، واستبدال الحليب الحامض [2]بالحليب الحلو فقط، وهو ما يتنافى وعادات وتقاليد تلك الأقوام؛ إذ كان ذلك صعبا جدا وشاقا عليهم [3].

ربما لم تتقيّد أقوام السهوب التي اعتنقت المسيحية حديثا بما ورد من تعاليمها، أو ما حثَّ عليه رجال الدين في الشرق، وحتّى أنّها تبنّتها إلى جانب ممارسة معتقداتها السابقة، لكن تَنَصُّر هذه القبيلة يظهر جليا في التسميات التي اتخذها حكامها والتي توحي أنّها مسيحية [4].

---

[1]– الباز العريني، المرجع السابق، ص.34.

[2] – عُرف حليب الفرس المخمَّر، باسم "الكوميس" (Qumis) لدى الغرب الأوروبي، وكان المغول على علم تام بصرامة الدين المسيحي فيما يتعلق بالأكل، مؤكدا أنّ الروس واليونانيين والآلان الذين يعيشون هناك ويُبدون التزاما بالدين، لا يشربون الكوميس لأن شربه بمثابة ارتداد عن معتقدهم. للمزيد انظر: Halbertsma, op. cit., p.31.

[3]- Ibid.

[4]– العريني، المرجع السابق، ص.34.

ومن الممكن أنَّ شهرة هذه القبيلة أكثر من غيرها يرجع إلى حاكمها "أونغ خان"، الذي وردت تسميته بالملك "يوحنا" في بعض المصادر الغربية، وسيتم الحديث لاحقا عن هذه الأسطورة وكيف تطورت ليصل صداها إلى الغرب المسيحي.

2. قبيلة النايمان:

لم تكن هذه القبيلة على وفاق مع سابقتها، وغير معلوم متى أو كيف دخلت المسيحية بين سكّانها، غير أنّ المؤرخين يعتقدون أنّها انتقلت إليها عن طريق الكِرايت السالفة الذكر، وقد استوطنت هذه القبيلة التركية الحوض الأعلى لنهر أرخون ومنحدرات جبال التاي ومع أنّ اسمها يبدو مغوليا إلا أنّه يعني ثمانية في اللغة المغولية، وإذا عُرف النايمان بألقابهم التركية، إلّا أنّ المؤرخ "قروسي" يرجّح انتماءهم إلى الأتراك المغوليين، وكان دين غالبية النايمان هو المسيحية وفق المذهب النسطوري، إلّا أنّ ذلك لم يمنع تأثرهم بالمعتقدات الشامانية [1]، وأطلق على ملكهم لقب "كوشلوغ خان" الذي غيّر معتقده من المسيحية إلى الوثنية تحت تأثير زوجته، وسرعان ما قضى عليه جنكيز بعد حرب داخلية طاحنة إثر استنجاد المسلمين به بسبب الظلم الذي لحقهم من هذا الملك [2].

وحسب ما ذكره المستشرق الروسي "بارتولد"، فقد ورد في كِتاب أرسله قِس نسطوري من آسيا الوسطى إلى الجاثليق ببغداد، يخبره عن هجوم قام به قوم منقسمون إلى ثمان قبائل، ولعل المقصود هم النايمان [3]. وقد عرف أفرادها بحضارتهم وتقدّمهم بالمقارنة مع القبائل المغولية الأخرى

1- Grousset, op. cit., p.242.

2- للاطلاع على أحوال كوشلوغ مع المسلمين راجع: الجويني، المصدر السابق، ج.1، ص ص. 94-97.

3- بارتولد، تاريخ الترك، المرجع السابق، ص.139.

نظرا لتأثرهم بالحضارة الأويغورية[1]، حتّى أنّه جرى تصنيفهم ضمن المغول الأتراك نظراً للتشابه الكبير السائد بينهم في العادات والتقاليد[2].

وتتّفق أغلب المصادر سواء الإسلامية أو الأجنبية، أنّ النسطورية انتشرت بين أفراد هذه القبيلة قبل ظهور جنكيز خان. وكوشلوغ خان نفسه كان مسيحيا، لكنه اعتنق البوذية بعد أن اعتلى عرش الكورخانيين، تحت تأثير زوجته البوذية كما سبق ذكره[3]، على أنّ أفرادها الذين اتّخذوا ألقابا تركية استخدموا أيضا الحروف الأويغورية في كتاباتهم [4].

3. قبيلة المركيت:

تكاد تنعدم المعلومات حول هذه القبيلة التي عرفت أيضا باسم "المكريت"، وليس لدينا الكثير عنها سوى أنَّها سكنت عند شمال منطقة النايمان، وعلى الرغم من أنَّهم يُعَدّون من جنس المغول، إلّا أنَّهم أظهروا العداء لهم وحاربوا قائدهم أونغ خان[5].

وصلت إليها المسيحية مثل العديد من العشائر المغولية قبل وقت من ظهور جنكيز خان، ويعتقد "راشويلتز" أنّ النسطورية ساهمت ولو بنسبة قليلة في جعل القبائل المتنصرة متحضرة بالمقارنة مع غيرهم، بحكم احتكاكهم بشعوب وسط آسيا التركية وفي مقدمتهم الأويغور الذين كانت عاصمتهم بالقرب من طورفان، مما ساعد على احتكاكهم بجيرانهم ونقل ثقافتهم إليهم[6].

---

[1]– ساهرة عبد علي، **قبيلة النايمان المغولية**، مجلة ديالى، ع.54، 2012م، ص.269.

[2] – الصياد، المرجع السابق، ص.29.

[3]– ساهرة عبد علي، المرجع السابق، ص.268.

[4]- I. De Rachiewiltz, Papal Envoys to The Great Khans, Stanford univ press, California, 1971, p.46.

[5]– الصياد، المرجع السابق، ص.28.

[6]- loc. cit., pp .45-46.

4. قبيلة الأونغوت (Ongut):

تكتسي هذه القبيلة أهمية تاريخية زائدة نظراً لتعاملها المباشر مع الأسرة الحاكمة، وعليه سيتم التركيز عليها على خلاف القبائل الأخرى، سيتواصل بروز دور شخصيات هذه القبيلة حتى بعد تفكك إمبراطورية المغول، وتأسيس سلالة يوان كما سيتم توضيحه.

شكَّلت قبيلة الأونغوت ذات الأصل التركي، والتي يدين غالبية أفرادها بالمسيحية على المذهب النسطوري، أحد العناصر الأساسية المكونة للإمبراطورية، انتشرت عبر منطقتين مختلفتين الأولى "تندوك" (Tenduk)، المعروفة اليوم باسم أولون سوم (Olune Sume) الواقعة في منطقة منغوليا الداخلية، أما المنطقة الثانيةفهي قانسو، والتي سجّلت انتشاراً أقل لأفراد هذه القبيلة [1].

مع نهاية القرن العاشر للميلاد، هاجر الأونغوت من آسيا الوسطى إلى شمال الصين، وفي القرن الثاني عشر الميلادي، تجسَّد دور أفرادها خلال حكم كل من جين ويوان الذي هو موضوع الدراسة، فخلال عهد السلالة الأولى تولوا حماية سور الصين العظيم ضد غارات البدو الشماليين، وعرفوا وقتها بـ التتار البيض[2].

وردت بعض التفاصيل عن هذه القبيلة ودخولها تحت تبعية جنكيز في التاريخ الرسمي لسلالة يوان، الذي تم تدوينه خلال عهد سلالة مينغ التي خلّفتها، بناءً على طلب من الحاكم نفسه حسب ما كان متداولا في عرف الدول في تلك الفترة [3].

استخدم هؤلاء الأتراك الذين سرعان ما انصهروا في الإمبراطورية، اللغة التركية وفق الكتابة الأويغورية حسب ما أملته قوانين الياسا، في حين ظلّت اللغة السريانية لغة الممارسات الدينية

1- Christopher P. Atwood, Historiography and Transformation of Ethnic Identity in The Mongol Empire, Asian Ethnicity, vol. 15, n. 4, 2014, p .515.

2- Ibid.

3– نعمان جبران، محمد العمادي، **دراسة في المصادر الرسمية لتاريخ أسرة يوان المغولية**، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، ع.9، قطر، 1997م، ص.324.

(الطقوس)، تم العثور على بقايا منها بشكل ملحوظ لكلا الخطين، وتظهر نسخ تعود إلى عهد يوان وجود اختلاف واضح في تركية الأونغوت عن الأويغور التركي، والذي من شأنه أن يعطي "هوية منفصلة عن المغول وحتى الأتراك" على حد سواء [1].

ليس معلوما بالضبط متى اعتنق أفراد قبيلة الأونغوت المسيحية، ولكن المؤكد أنّه يعود إلى تاريخ أبكر من تأسيس الإمبراطورية المغولية، يربطه العلماء بالقبائل المذكورة أعلاه؛ إذ أنّ احتكاكها ببعضها جعلها تؤثر وتتأثر[2]، وعلى الرغم من تركيز العلماء على الجوانب المسيحيَّة لهذه القبيلة ولحكامها–حتّى يكاد يغلب الظن أنَّها مسيحية كليا–، إلّا أنَّه ينبغي الإشارة إلى أنَّ المنطقة أو كما يسميها بولو "تندوك" كان بها أقليات وثنية ومسلمة [3].

يذكر "كريستوفر وود" أنّ قصة اعتناق المسيحية وحليب الفرس التي نسبت إلى قبيلة الكرايت تمت سرقتها بالأساس من التاريخ الأونغوتي، وبالرجوع إلى الرواية ففي الوقت ذاته تقريبا أرسل عبد إيشوع (Abdichou) مطران مرو إلى الجاثليق رسالة يخبره فيها عن تحول ملك قبيلة إلى المسيحية، والتي يطلب منه خلالها إن كان بإمكانه زيارته أو ارسال كاهن لتعميده، بناءً على ذلك طلب منه الجاثليق أن يرسل إلى الملك قسيسا وشمَّاسا لتعميد المسيحيين الجدد [4].

وحسب كتاب "عبد إيشوع" مطران مرو: " وإن ملكا من ملوك الأتراك تنصّر ونحو مايتي ألف إنسان معه. وعلّة ذلك أنه ضل عن طريقه عند خروجه إلى متصيد، وعند حيرته رأى شخصا يعده بالخلاص، فسأله عن اسمه، فقال أنا مار سرجسان، وأمره بالتنصر وقال له غم عينيك، فغمضها وفتحها فرأى نفسه في معسكره. فتحير بذلك. وسأل عن دين النصارى والصلاة وكتاب الشريعة فعلم ... (أبانا الذي في السماوات) ... (وإلى هناك رب الكل وقدوس الله). وحكى المطران أنه راسله في المصير أنه. فقال إن عادتهم أكل اللحم واللبن. وجعل هذا الملك لنفسه حركاه

1- Christopher P. Atwood, Historiography, op. cit., p. 515.
2- Halbertsma, op. cit., p. 35.
3– ماركو بولو، المصدر السابق، ج.1، ص ص.154–155.
4- Christopher P. Atwood, op. cit., p. 517.

يجري مجرى المذبح، وفيها الصليب والانجيل، ورسمها باسم مار سرجسان. وربط حجارا يأخذ لبنها ويضعه بين يدي الانجيل والصليب، ويصلي عليه ما تلقنه، ويرسمه بالصليب، ويأخذ منه جرعة وساير الجماعة، واستأذنه المطران فيما يفعله معهم، إذا كان لا حنطة لهم. فأمره أن يجتهد في تجهيز ما يكفيهم من الحنطة يوم الفصح والشراب أيضا. ويكون امساكهم في الصوم عن اللحم، ويقنعون باللبن وحسب. وإن كانت عادتهم الحامض منه يتناولون الحلو لتغيير العادة" [1].

الأمر المهم هنا حسب كريستوفر أنّ كتاب "**المجدل**"، والذي لازال مؤلفه محل خلاف بين من ينسبه إلى "عمرو الطيرهاني"، وبين من ينسبه إلى "ماري بن سليمان"، أورد القصة نفسها التي ذكرها ابن العبري دون أن يذكر الكرايت، وهذا أمر مهم [2].

يواصل النِقاش على أنّ الرواية تنطبق على شعب الأونغوت، مُستدلا في ذلك على أنّ القديس الذي ظهر للملك يسمى "المار سيرجيس"، وهو الاسم الشائع بين أفراد الأونغوت على عكس الكرايت، والذي يوحي بارتباطهم الروحي بهذا الاسم، هو ما يؤكد أنّهم الرواة الأصليون للأسطورة [3]، ومع ذلك يبدو استنتاج كريستوفر غير منطقي نسبيا؛ إذ ينسب رواية مبنية على أسطورة إلى شعب آخر لم يرد ذكره صراحة.

يذهب كريستوفر إلى أبعد من ذلك، معتبرا أنّ الطعام –حليب الفرس المخمر واللحوم الآسيوية المذبوحة وغيرها– والممارسات "الليتورجية" المتعارضة وحياة البدو في المقام الأول سبب مهم في عزل أو جذب هذه الأقوام غير المسيحيّة إليها، ومع أنّه محق نسبيا إلّا أنّ ذلك لم يكن العائق الوحيد والرئيسي في أغلب الأحيان [4].

---

[1]– عمرو الطيرهاني، ماري بن سليمان: من المجدل للاستبصار والجدل وفيه أخبار بطاركة كرسي المشرق، تح.: لويس صليبا، النساطرة والإسلام: جدلية علاقة وتأثر، دار بيبليون، لبنان، ط.ج.، 2012م، ص ص.354-355.

[2]- Christopher P. Atwood, Historiography, op. cit., p.517.

[3]- Ibid., p .518.

[4]- Ibid., p.517.

انتشار المسيحية بين أفراد القبيلة بشكل ملفت غير مشكوك فيه، نظرا للعديد من الإثباتات الأثرية والتاريخية، بما في ذلك شواهد القبور التي تم العثور عليها في منطقة منغوليا الداخلية، بالإضافة إلى ملوكها أنفسهم، وقد أثار ذلك اهتمام العديد من العلماء أمثال بيليو (Pelliot) الذي كتب عن إحدى عشائرها البارزة وهي عشيرة "ما" (Ma) [1].

العلاقة بين حكام قبيلة الأونغوت والمغول:

حقيقة العلاقة الوثيقة بين قبيلة الأونغوت والحكام المغول، تبدأ حين واجه تيموجين خلال الحرب التي خاضها ضد القبائل المجاورة العديد من المؤامرات للإطاحة به، إلّا أنّ زعيم الأونغوت "آلاكوش تيقين كوري" (Alaqus Tigin Qori) رفض عرض زعيم النايمان "تايان خان" (Tayan Khan) بخصوص التحالف معه ضدّ القوة الجديدة الناشئة، وعوض ذلك قرَّر الوقوف إلى جانب خصمه بعد أن أسر مبعوث النايمان وأرسله إلى الحليف الجديد، أثمرت نتائج هذا التعاون عن إطاحة جنكيز بالقبيلة سنة 1204م، وموت زعيمها وهروب ابنه كوشلوغ إلى المركيت والقراخطاي [2].

في وقت لاحق تم قتل آلاكوش وبعض من أفراد عائلته، على يد مجموعة من المعارضين في قبيلته لرفضه التحالف مع القبائل الأخرى ضد تيموجين وانصياعه لهذا الأخير، الذي بحث عن الناجين الباقين من أسرته وعيَّن ابنه بوياوهاي (Boyaohai) زعيما على قبيلته الأونغوت، بعد أن أثبت استحقاقه في إحدى المعارك على الرغم من صغر سنه [3].

وعلى هذا الأساس بُنيت العلاقة بين حكام المغول وأسرة الأونغوت الملكية، بزواج بنات الخانات من ملوك هذه الأخيرة، والتي تم ذكرها في العديد من مصادر العصور الوسطى، سواء المغولية المدوَّنة باللغة الصينية –وحتى الأدبية منها–، أو الغربية التي مثَّلتها روايات الرهبان وغيرهم،

1- Halbertsma, op. cit., p.35.
2- Ibid., p.36.
3- Namio Egami, Olon-Sume: the Remains of the Royal Capital of Yuan-Period Ongut Tribe, Orient, 1995, vol.30, p.2

وتم اصطلاح تسمية (Fumawang) أو "أصهار الملوك" على هذه العلاقة، التي استمرت بين الطرفين لأجيال لاحقة إلى غاية سقوط حكم سلالة يوان بالصين [1].

نَصَّب جنكيز خان، بوياهاي (Boyaohai) ابن آلاكوش، اللاجئ إليه، ملكا على قبيلة الأونغوت، وزوَّجه من ابنته ألآقاياقي (Alagaibagi)، لتصبح هذه العلاقة أكثر من مجرد مصاهرة؛ إذ مثَّلت بداية انصهار القبيلة مع الإمبراطورية الناشئة، وقد حصل هؤلاء الأمراء خلال حكمهم تحت نفوذ الخانات، على لقب "أمير تشاو" (Zhao Wang)، وحاز أغلبهم على لقب تشريفي آخر "قاوتانغ" (Gaotang) [2].

كان لـ "ألاقاياقي" زوجة "بوياهاي" –مِثل كثير من نساء الإمبراطورية المغولية–، دور بارز في الحكم، ومع أنّها لم ترزق بأبناء، إلّا أنّ زوجها رزق بثلاثة أطفال من محظية، اثنان منهما "كينبوغا" و"آيبوغا"، اللذان استقبلا صوما ورفيقه ودعماهما كما سيتم ذكره لاحقا، تزوج الأول من ابنة غيوك الكبرى، في حين تزوج الآخر من الابنة الصغرى لقوبيلاي [3].

تم تثمين جهودهم ومنحهم الألقاب بسبب التضحيات التي قدّموها؛ إذ تولى هؤلاء الأمراء حماية الحدود الإمبراطورية، وتوفير الأمن فيها، من خلال مشاركتهم في حروب المغول على مدار السنوات التي بسطوا فيها نفوذهم، و"آيبوغا" مات هو الآخر في إحدى هذه الحروب خلال حملة على الشمال الغربي، تاركا أربعة أبناء وثلاث بنات، أبرزهم الملك المسيحي جورج (كورغوز) كما سيتم توضيحه [4].

1- Namio Egami, op. cit., p.2.
2- Halbertsma, op. cit., p.37.
3- Namio, op. cit., p . 5.
4- loc. cit., p.37.

الملك جورج (كورغوز):

يَعُد المؤرخون "جورج"[1]أحد أهم وأبرز الشخصيات في تاريخ الكنيسة السريانية بالشرق الأقصى، ملك قوم الأونغوت التركي، الذي ينتمي إلى قبائل الكرايت، وعلى الرغم من أنّ جورج هذا كان نسطوريا، إلّا أنّه وبتأثير من المنصّر "يوحنا مونتي كورفينو" غَيَّر مذهبه إلى الكاثوليكية، وربما هذا ما يفسر اهتمام الباحثين-الأوروبيين بالأخص- بتاريخه إلى حد ما، منهم بول بوليو (Paul Polliot)، وشان يان (Chen Yuan)، اللَّذان قاما بإعادة بحث حول شخصيته، وخلال مؤتمر عقد في النمسا بمدينة سالزبورج سنة 2006م، استعرض موريزوا باوليلو (Maurizoi Paolillo) بطاقة بحثية عنه بما في ذلك أحدث المعلومات حول مكان دفنه الذي لايزال موضع خلاف وسيأتي ذكره، مات في حرب قوبيلاي مع قايدو تاركا ابنه ذو شوان (Chou-ngan) الذي لم يتجاوز التسع سنوات وقتها [2].

وعليه فإن جورج يعد أحد مظاهر نجاح البعثة الكاثوليكية- وإن كان نسبيا- في تنصير المغول. وبالرجوع إلى إحدى رسائل الراهب الفرنسيسكاني إلى الصين يوحنا مونتي كورفينو التي سيتم ذكر بعثته، وكتاب ماركو بولو، نجد أنّ كليهما يصفه على أنّه سليل الراهب يوحنا المذكور سابقا، الذي شاع ذكره في أوروبا وارتبط اسمه بالدور الصليبي الذي لعبه ضد المسلمين.

"أما تندوك (Tenduc) فهي تابعة لأملاك بريستر جون (القديس يوحنا) الخاضع للإمبراطور والملك الذي يجلس على العرش من سلالة بريستر جون ولا يزال محتفظا بهذا اللقب واسمه جورج وهو مسيحي وقسيس في آن واحد وكذلك غالبية السكان فإنّهم من المسيحيين ويتولى

[1]- أطلق عليه الملك جورج (George) من قبل المصادر الغربية، أما بالسريانية فيسمى (Giwargis) أما بالصينية (kuolijisi)، في حين ورد اسمه بـ كورغوز لدى رشيد الدين الهمذاني. انظر: رشيد الدين الهمذاني، تاريخ خلفاء جنكيز، المصدر السابق، ص.282؛ وانظر أيضا: Halbertsma, op. cit., p. 40.

[2]- Li Tang, Rediscovery The Ongut King George : Remarks on Newly Excavated Archeological Site, Dietmar W. Winkler, From The Oxus River to The Chinese Shores, Studies on East Syriac Christianity in China and Central Asia, vol.5, Verlag Munster, 2013, pp. 225-226.

جورج حكم بلاده إقطاعا من الخان الأعظم... يكسب السكان معاشهم عن طريق الزراعة والتجارة، وحكومة البلاد في أيدي المسيحيين كون الملك مسيحي رغم وجود بعض المسلمين والوثنيين وهناك طبقة أخرى تعرف بـ الارجون نتجت عن اختلاط جنسين (أهالي تندوك الوثنيون والمسلمون) والملك جورج هو الرابع في الانحدار من سلالته" [1].

إنّ الاهتمام بشخصية هذا الملك بالإضافة إلى ما ذكر أعلاه، راجع أيضا إلى وفرة المعلومات عنه بالمقارنة مع أقرانه في مختلف المصادر، سواء الصينية أو الغربية، والذي يؤكّد على مكانته المرموقة، فبالإضافة إلى التاريخ الرسمي للسلالة (Yuan Shih) التي تعتمد على "النّقش الجنائزي" للملك جورج الذي ألّفه المسؤول يان فو (Yan Fu)، والذي تم الاحتفاظ به في (Yuan Wenlei) الأدب المصنف للأسرة [2].

شهرة جورج الواسعة لم تأت من فراغ، وإنّما ترجع إلى إنجازاته في مختلف المجالات؛ إذ يثني الأدب المصنَّف على نتاجه في مجال الآداب والفنون، ولم يكتف بذلك؛ بل تعدّاه إلى أنْ يصبح راعيا لها؛ إذ حوى بيته قاعة كبيرة مليئة بالكتب والمجلدات، ناقش فيها مع العلماء مختلف القضايا التاريخية والفلسفية والتنجيم والرياضيات [3].

وحسب النّقش الجنائزي، بنى هذا الملك العديد من المدارس والمعابد، ويعتبر شخصية مثقفة ومُلِمّة بمختلف العلوم والمجالات، ومع أنّ المصادر تشير إلى أنّه كان مسيحيا على المذهب النسطوري، إلّا أنّ ذلك لم يمنعه من تعلم الكونفوشيوسية، والحسابات السحرية، و"اليين يانغ"[4].

[1]– ماركو بولو، المصدر السابق، ج.1، ص.155.

[2]- Halbertsma, op. cit., p. 38.

[3]- Ibid.

[4]- Ibid.

وكغيره من شخصيات الأونغوت البارزة، تزوج كورغوز من حفيدة قوبيلاي (Hutatimishih)، وبعد موتها تزوج ابنة تيمور خان (Aiyashihli)، وقد منحه والد هذه الأخيرة بعد توليه الحكم سنة 1294م، لقب أمير قاوتانغ (Gaotang) [1].

وَوِفق ما جرت عليه عادة كل خان جديد عند تنصيبه، من تنظيم لأمور دولته والمناطق الخاضعة له وأحوال الجيش وتعيين الأمراء في مختلف الولايات على الحدود، اتجه الملك جورج وأمير آخر بناءً على طلبٍ من صهره تيمور خان بجيشه إلى حدود الإمبراطورية المغولية حيث قوات "قايدو" و"دوا"، وفي سنة 1298م على غفلة من الجيش المتاخم هاجمهم "دوا بن براق"، وأسفرت ردة فعل كورغوز الذي حاول التصدي له عن أسره، وعلى الرغم من محاولات الخان لتحريره إلّا أنّه لقى حتفه على يد خاطفيه [2].

بعض من تفاصيل اختطافه وقتله يرويها المؤرخ رشيد الدين الهمذاني كما يلي: "... سار دوا بن براق قاصدا مهاجمة الأمراء الأنجال والأمراء المذكورين الذين يحرسون حدود ممالك تيمور قاآن. وجريا على العادة المتبعة في الجيوش، كان يرابط في كل قاعدة فوج للاستطلاع والمراقبة. وقد نظموا البريد، وأقاموا السعاة ما بين قاعدة اجيقي وجوثاي التي تقع في نهاية التخوم الغربية ... وفي ذلك أخبر الواحد منهم الآخر أنه يبدو له سواد جيش. وبالمصادفة كان قد اجتمع الأمراء الأنجال كوكجو وجونكقور وتيكتاداي، وأقاموا مأدبة، وعكفوا على الأنس والشراب وليلا وصل الخبر باقتراب الجيش المغير. وكانوا قد وقعوا سكارى وفقدوا وعيهم، فلم يستطيعوا السير. غير أنّ كوركوز كوركان صهر تيمور قاآن سار بجيشه. ... وفي ذلك الوقت هجم دوا بن براق بجيشه على كوركوز، ولم يكن معه أكثر من ستة آلاف رجل ... فلحقت به الهزيمة، وفر هاربا إلى جبل،

[1]- George Qingzhi Zhao, Marriage as Political Strategy and Cultural Expression, Mongolian Royal Marriages From World Empire to Yuan Dynasty, Peter Lang, New York, 2008, pp.156-157.

[2]- الهمذاني، تاريخ خلفاء جنكيز، المصدر السابق، ص ص.314-319.

فتعقبه الأعداء، وقبضوا عليه، وأرادوا قتله. فقال لهم: "أنا كوركوز صهر القاآن". فأمر قائد جيش دوا بألا يقتلوه، ويحتفظوا به" [1].

"... بعد ذلك فكر الأمراء في أن يطلقوا سراح صهر دوا إذ يجوز أنه هو أيضا يعيد صهر القاآن. وفي أيام معدودات قدم الرسل من قبل دوا، وأحضروا رسالة مضمونها: "إننا أقدمنا على عمل لقينا جزاءه. وكوركوز عندنا الآن. كما أن صهرنا عندكم". كذلك أرسل كوركوز إليهم تابعا وسلمه رسالة مضمونها: "إنني في صحة جيدة. ولكن ليس لي خادم، ..." فسيروا إليه أربعة أمراء من خاصته مع أموال ونعم كثيرة، واصطحبوا معهم صهر دوا. ولكن ما إن وصلوا إلى هناك، حتى كان أتباع "دوا" قد قتلوا كوركوز، وانتحلوا عذرا، فقالوا: "لقد قمنا بإرساله إلى قايدو. ولكنه قضى نحبه في الطريق" [2].

لا يذكر رشيد الدين الكثير عن الملك جورج بشيء من التفصيل باستثناء طريقة اختطافه، وعموما حسب النّص المقتبس من الممكن أنّه قتل قبل وقت من وصول الرسل لإنقاذه، ورسالة التابع قد تكون ملفّقة من قبل أتباع قايدو ودوا لإنقاذ صهر دوا.

ترك الملك بعد موته ابنا صغيرا يدعى شوان (Zhuan)، وبسبب صغر سنه، فقد تولى الحكم نيابة عنه، عمه الأصغر جوهانون (Shuhunan)، وهو الذي طلب من "يان فو" تخليد ذكرى شقيقه الراحل، بالنّقش الجنائزي [3].

بعد أكثر من عشر سنوات على رحيل الملك جورج، تم تنصيب ابنه في سنة 1310م، أميرا لـ تشاو (Zhao)، الذي سعى بإذن من الخان على استعادة رفاة والده من "الصحراء البعيدة"، بعد أن تم إرفاقه في البحث بنحو خمسمائة جندي، كلّلت المهمة بالنجاح، واسترجعت

[1]- الهمذاني، المصدر السابق، ص.319.

[2]- نفسه، ص.321.

[3]- Halbertsma, op. cit., p. 38.

الجثة التي حسبهم "أنّ صاحبها بدا كما لو أنّه على قيد الحياة"[1]، ومع أنّ المصادر التاريخية سكتت عن مكان إعادة الدفن، إلّا أنَّ بعض الاكتشافات الأثرية الحديثة المتعلق أغلبها بقبيلة الأونغوت، جعل العلماء يتوقّعون مكان الدفن الجديد للملك كما سيتم توضيحه[2].

بالرجوع إلى "شوان"، فالمعلومات الواردة عنه قليلة جدا بالمقارنة مع أبيه، مع أنّها هي الأخرى تستند إلى النّقش الجنائزي لجورج، وحسب شين يان (Chen Yuan) فإنّ الاكتشاف المثير للاهتمام والذي يعود إلى سنة 1929م، من قبل عالم الآثار الصيني هوانغ ويني (Huang Wenbi) في مدينة أولون سوم أحد أهم المواقع الأثرية المتعلّقة بمخلّفات القبيلة النسطورية، يقدّم الاكتشاف المتمثّل في شاهدة وانقفو (Wangfustele) التي تعود إلى القرن الرابع عشر للميلاد، تم تشييدها من قبل سليل لآلاكوش يسمى (Huai Du)، المزيد من المعلومات عن أفراد الأسرة الحاكمة وعن ابن جورج، بالإضافة إلى تدعيم حقيقة المعتقدات المسيحيّة للقبيلة وبالتحديد نسل آلاكوش [3].

أدّى موت شوان صغيرا دون ترك وريث له إلى انتقال الحكم إلى أبناء وأحفاد عمه (Shuhunan)، وحسب شين يان فإن زواج ابنه (Alahutu)، مثَّل بداية تخلي القبيلة عن معتقداتها النسطورية تدريجيا، واتباع كل من البوذية والطاوية والكونفوشيوسية التي استحوذت على اهتمام كورغوز، يضيف "شين" بالاستناد دائما إلى ما ورد في النّقش، أنّ تبني هذه المعتقدات أمر عادي، فعشيرة "ما" على سبيل المثال مزجت نسطوريتها بمعتقدات طاوية أو كونفوشيوسية [4].

على الجانب الخلفي من الشاهدة المكتشفة، ذكر مسؤول لليلكوين، والذي من شأنه إثبات استمرار المسيحيين في القبيلة، ورغم أنَّ هالبرتسما يرى أنّ هذا ليس دليلا كافيا، إلّا أنَّ المخلَّفات الأثرية حول القطعة تشير إلى وجود مجتمعات مسيحية على نطاق واسع، والذي قد

1- Halbertsma, op. cit., p.39..
2- Li Tang, Rediscovery, op. cit., p. 257.
3- Namio, op. cit., p.19.
4- loc. cit.

يعني أنّ مصطلح يلكوين المذكور في النّقش يقصد به فرد مسيحي، أو مكتب يتعامل مع السكان المسيحيين ويرعى شؤونهم وأحوالهم [1].

من الجدير بالذكر أنّ السجلات الرسمية لتاريخ المغول في الصين لا تلقي بالا إلى معتقدات الملك جورج المتعلّقة بانتمائه المسيحي، وإنّما يمكن استنتاج ذلك من خلال اسمه (Kuolijisi)، والذي يحتمل أنّه النسخة الصينية للاسم السرياني (Giwargis) أو (George)، فالقبيلة استخدمت اللّغة السريانية في طقوسها، وكتاباتها في بعض الأحيان [2].

ومن الشخصيات المسيحية التي ذكرت في اليان شي تحت اسم يليكوين شقيقة الملك جورج، سارة (Sara Araol) (Chin-Ye-Li-Wan) وهي من أصل ثلاث شقيقات، تزوّجت من حفيد قوبيلاي ألتان بوكا (Altan Buqa)، الذي عاش في مدينة كايشانغ (غانسو حاليا) ومات بها قبل سنة 1314م[3].

المثير للاهتمام حول الأميرة التي غيّرت اسمها التركي منذ ولادتها إلى سارة بعد تعميدها، هو وجود نسخة سريانية للإنجيل بمكتبة الفاتيكان تمت كتابتها في بلاد ما بين النهرين خصيصا لها، وعثر عليها بـ "غانسو" يعود تاريخها إلى سنة 1298م، وهذا يعني قدرتها على قراءة الإنجيل باللغة السريانيّة، كتبت المخطوطة النادرة بالحبر الذهبي على يد شخص نسطوري يدعى بولس (Paul)، والذي يشير إلى لقب أمير "قاوتانغ" الذي منحه الخان تيمور لجورج سنة 1294م، ولكنه لا يشير إلى اعتناقه للكاثوليكيّة والذي حسب كورفينو تم في نفس الفترة [4].

يناقش العديد من العلماء بناءً على المخطوطة السريانيّة، قضية اعتناق جورج للكاثوليكية والذي تم الحديث عنه في الفصل الثاني بمزيد من التفصيل ضمن بعثة كورفينو، كما نالت الروايات

1- Halbertsma, op. cit., pp.39-40.
2- Ibid, pp.43-44.
3- Maurizio paolillo, In Search of King George, Dietmar W. Winkler, Li Tang, Hidden Treasures and Intercultural Encounters Studies on East Syriac Christianity in China and Central Asia, vol.1, lit Verlag Munster, 2009, p. 249 ; Wilhelm Baum, p.86.
4- loc. cit., p.44.

المرتبطة به، على اعتبار أنّه حاكم مسيحي حيزاً هاماً وواسعاً في كتابات وأبحاث المؤرخين، نظرا لانتمائه المسيحي، وارتباط اسمه بأسطورة الراهب يوحنا كما سيتم توضيحه.

II. أسطورة الراهب يوحنا:

مع مطلع القرن الثاني عشر سادت أوروبا إشاعات مفادها وجود مملكة مسيحية قوية في آسيا الوسطى يقودها الكاهن أو الراهب يوحنا، ونقلا عن "عادل هلال" حسب ما ورد في حوليات الأسقف "أوتو الفريزي" (Otto) [1] في سنة 1145م، فإن أسقف جبلة بسوريا، أخبر البابا "يوجينيوس الثالث" (Eugnuis III) عن ملك نسطوري اسمه "يوحنا" ينحدر من سلالة أحد الملوك الثلاثة، تغَّلب على المسلمين في معركة كبيرة، ويخضع له حوالي سبعين ملكا عن طريق دفع الجزية، وقد شكَّلت قبائل إسرائيل العشر إحدى رعاياه، تجمع مائدته يوميا رجال الدين من الأساقفة وغيرهم، وأنّ مملكته تفيض حليباً وعسلا [2].

وقد حاول هذا الملك مساعدة الصليبيين في استعادة القدس، غير أنَّ نهر دجلة أعاق مهمته، ويبقى السبب الذي دفع أسقف جبلة "هيو" للكتابة عن القديس يوحنا دون أن يعرف

---

[1] – تعد حوليات"أوتو" التي وردت باسم تاريخ المدينتين (Historia De Duabus Civitatibus)، تسجيلا لأحداث التاريخ المسيحي وترتكز بشكل رئيسي على مقارنة بين مملكة القدس السماوية ومملكة بابل الأرضية. وقد ورد في الحوليات ما ترجمته: "وأنه (أي أسقف جبلة) يروي أيضا أنه منذ سنين كثيرة فإن ملكا وكاهنا يدعى يوحنا الذي يعيش فيما وراء فارس وأرمينيا في الشرق البعيد (الأقصى) مع كل شعبه يعتنقون المسيحية، ولكنه نسطوري وأنه (الملك) قد شن حربا ضد الأخوين ملكي فارس وميديا الذي يدعى ساميرادي (Samiardi) ودمر اكباتانا (Ekbatana) وعندما تقابل مع الملكين المذكورين بجيش مُكون من الفرس والميديين والاشوريين (Assyrians) فإن المعركة استمرت ثلاثة أيام لأن كلا الفريقين فضل الموت على الهروب من الميدان، وأخيرا فان يوحنا أجبر الفرس على الفرار بعد مذبحة بشعة توجت بانتصاره النهائي عليهم... وقال أيضا إنه بعد الانتصار فإن يوحنا نقل جيشه لمساعدة كنيسة بيت المقدس ولكنه عندما وصل إلى نهر دجلة لم يستطع نقل جيشه عبر ذلك بأية وسيلة، ومن ثَم فإنه تراجع ناحية الشمال..." انظر: عادل هلال، العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي، كلية الآداب، جامعة الزقازيق،1997م، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط.1، ص.18.

Christopher Eric Taylor, B.A; Waiting for Prester John: The Legend, the Fifth Crusade, and Medieval Christian Holy War, These Doctorate, U.v Texas at Austin, 2011, p. 14.

[2]- Philip Schaff, History of The Christian Church, vol.5: The Middle Ages, 1049-1294, Grand Rapids, 1882, p. 232.

شيئا عنه، أمرا غريباً ومجهولاً؛ إذ من غير المنطقي الاعتقاد بمساعدته في استعادة القدس، على اعتبار أنّه مسيحي يتبع مذهب نسطور الذي تم إدانته بالهرطقة وفق الكنيسة اللاتينية [1].

من المثير للاهتمام أنّ ظهور هذه الأسطورة تزامن مع حدثين مهمين، تمثَّل أولهما في هزيمة السلطان السلجوقي "سنجر بن ملكشاه" (1096-1157م)[2]سنة 1141م على يد "يه-لو-تا-شي" (Ye-Lu-Ta-Shih)، مؤسس امبراطورية القراخطاي (1124-1218م)، ويُرجِّح المؤرخ راشيويلتز (Rachewiltz) أنّ هذا الملك كان بوذيا، وقد تمتّع النساطرة بحرية ممارسة معتقداتهم في ظِل حكمه، وقد عزَّزت ثيابه التي تشبه إلى حد بعيد تلك التي يرتدونها، تَوهُم أوروبا بعد أن شاع نَصْره، أنّ كل من حارب المسلمين ينبغي أن يكون مسيحيا، أمّا الحدث الثاني فهو استرجاع عماد الدين زنكي (1127-1146م) لإمارة الرها[3](Edessa) في سنة 1144م [4].

ومع أنَّ أول إشارة للقديس يوحنا تبقى مجرد احتمالات، لكن راشيويلتز يفترض أنَّها اعتمدت على الروايات المتعلقة بالحروب التي دارت في الشرق بين المسلمين وغيرهم، والتي أوردها النساطرة المتواجدون في بلاد فارس وما بين النهرين [5]. ولكن الأرجح أنَّ إثارتها والبحث عن تلك

1- Christopher Taylor, op. cit., pp. 11-12.

2- يرى كريستوفر أنّ الرواية التي أوردها "هيو" بخصوص الهزيمة التي ألحقها يوحنا بالمسلمين، هي نفسها المعركة التي دارت بين السلطان السلجوقي سنجر والملك يه لو داشي (Yeh-Lu-Dashi) الذي أسس مملكة القراخطائيين بآسيا الوسطى عقب سقوط سلالته لياو (الخطاي) بمنشوريا، وقد ضمّ جيشه النساطرة والمسلمين على حد السواء، وانتهت بهزيمة السلطان سنجر. انظر: Ibid., p. 11

3- إمارة الرها (حاليا أورفا بتركيا)، وهي أول إمارة صليبية أسسها الصليبيون، بالإضافة إلى إمارتي أنطاكية وطرابلس ومملكة بيت المقدس، وصادف أن كانت الرها أول إمارة استرجعها المسلمون بقيادة الأتابك عماد الدين زنكي سنة 1144م، وهو ما أشعل الحماس في قلوب المسلمين وبث فيهم روح الجهاد من جديد. انظر: جوناثان سميث، تر.: قاسم قاسم، تاريخ الحروب الصليبية، ط.1، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2008م، ج.1، ص ص.76-79.

4- I. De Rachewiltz, Prester John and Europe's Discovery of East Asia, Australian National, Univ. Press., 1972, pp. 4-5.

5- I. De Rachiewiltz, Papal Envoys op. cit., p. 31.

المملكة، تمّ من طرف الأوروبيين أنفسهم، بهدف تقوية الروح الصليبية أملا في الاستيلاء على المعاقل التي استرجعها المسلمون من أيدي الصليبيين، وإيجاد حليف قوي ضدهم [1].

بعد مرور عقدين من الزمن على الأسطورة تحديدا في سنة 1165م، والتي لم تلق رواجا، ظهرت رسالة تفيد أنّها كتبت من قبل القديس يوحنا في القسطنطينية، موجّهة إلى صديقه الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول كومينين (1143-1180م)، ومع أنّ أقدم نسخ للرسالة المرسلة إليه، كُتبت باللّغة اللاتينية، لم يتم العثور على أي نسخة باللغة اليونانية مع أنَّها موجّهة ظاهريًا إلى الإمبراطور البيزنطي المذكور [2].

ونقلا عن "عادل هلال" حسب ما ذكره المؤرخ "ألكسندر فازيلييف" فإنّ الرسالة ذات أصل إغريقي، وتمّت صياغتها باللغة اليونانية لتترجم إلى اللغة اللاتينية التي تم تداولها بها في نهاية المطاف [3].

كثرة نسخ الرسالة التي تجاوز عددها المائة، يزيد من احتمالية أنّ الغرض الرئيسي هو انتشارها في أوروبا، وليس الإمبراطورية اليونانية، تاريخ ومكان وأهداف المرسل ولغة الرسالة كلها أمور لا تزال محل جدل، فضلا عن حقيقة أنّ الإشارات الأولى للرسالة وكل ما يتعلق بها، ورد بعد سبعين عاما على ظهورها، في حولية المؤرخ "البريكوس" حسبما ما ذكره عادل هلال، الذي بدأ في تدوين مؤلفه سنة 1232م، بغضّ النظر عن أمانته المشكوك فيها [4].

وفي سنة 1177م أرسل البابا "ألكسندر الثالث" طبيبه الشخصي "فيليب" إلى الشرق، وكل ما نعرفه عن هذه البعثة، الرسالة التي أعطاها له البابا ليسلمها للملك يوحنا، والتي من بين

---

[1]- عادل هلال، المرجع السابق، ص.20.

[2]- Christopher, op. cit., p. 14.

[3]- عادل هلال، المرجع السابق، ص.21.

[4]- نفسه.

مضامينها أنّه علم برغبة الملك يوحنا باعتناق المذهب الكاثوليكي، كما يطلب منه التواضع وعدم التباهي المستمر بمملكته [1].

بِغضّ النظر عن طريقة الرد التي تنّم عن عجرفة البابوية، فإنَّ حرصها على تغيير معتقد الملك يوحنا المزعوم إلى الكاثوليكية يؤكّد على مدى تحجُّر فِكرها، وعدم قبول اختلاف الآخر، وإن ساد الاعتقاد أنَّه حليف.

وفي سنة 1217م تزامنا مع الحملة الصليبية الخامسة (1213-1221م)، تكرّر ذكر الملك يوحنا إثر انتشار خبر في القدس يفيد بأنّه كان على وشك الانضمام إلى الحملة ضد المسلمين، وبعدها بسنتين وصل إلى الصليبين بمصر شخص غريب ذكر تقدم ملك الهند المسيحي داود إلى بلاد فارس لدحر المسلمين، وقد رافق ذلك العديد من الشائعات، منها انضمام ملك إثيوبيا إلى الصليبيين وقد أوشك على الاستيلاء على مكة [2].

من جديد، تزامن ذكر "يوحنا" مع غزوات المغول، بعد أن تم الاستلاء على القراخطاي سنة 1211م على يد الحاكم النايماني "كوشلوغ خان" الذي دخل في صراع مع المسلمين بسبب سوء سياسته تجاههم، وسرعان ما لقى مصرعه على يد جنكيز خان، وما صاحب ذلك من حملات امتدت إلى أوروبا [3].

سرعان ما فنَّد الراهب "وليام روبروك" الذي زار قوراقورم عاصمة المغول في سنة 1253م الأسطورة؛ إذ كتب إلى أوروبا من المنطقة التي قيل إنّ الراهب يوحنا حكم فيها، أنّه من غير الممكن العثور على قلة ممن يعرفون أي شيء عن يوحنا، وأنَّ كل ما ذكر مجرد قصص مبالغ فيها، وأضاف أنّ هذا القديس كان سيدا على قبائل النايمان التي دان أفرادها بالمسيحية وفق مذهب النساطرة، وعند وفاة ملكهم أقام هذا النسطوري نفسه مكانه ودعاه قومه بالملك يوحنا، وهم

[1]- عادل هلال، المرجع السابق، ص.22.

[2]- I. De Rachewiltz, Prester John, p .7.

[3]- Ibid.

ينشرون شائعات عظيمة وكونهم يولون احترامًا أكبر للمسيحيين أكثر من الآخرين لا يعني أنّهم كذلك، وهكذا بهذه الطريقة انتشرت أسطورة الملك خارج حدودهم [1].

استمرّت هذه الأسطورة لعقود في روايات مبعوثي البابوية والرحالة أمثال "ماركو بولو" الذي يذكر أنّ ملك القبيلة هو نفسه أون خان، زعيم قبائل التتار الملك القوي، كانت له طريقة غريبة في قيادة شعبه، فكلما زاد عدد أفراد قبيلته إلى الحد الذي يخشى على نفسه منهم، كان يرسل بناءً على الاختيار العشوائي اثنين أو ثلاثة من أقواهم في الحملات العسكرية، وكانت هذه عادته لكسر شوكتهم وكبح جماحهم، ولما استمرّ على هذه الحال مدة من الزمن قرَّر قومه القضاء عليه ولما فشلوا في ذلك انتقلوا إلى مكان آخر [2].

وحسب "ماركو بولو"، بعد تمكّن جنكيز خان الذي اختارته القبائل التي فرّت من ظلم هذا الراهب، من القضاء عليه خلال المعركة التي جمعت بينهما، فقد أصبحت ممتلكاته تابعة له، على أنّ الأمراء الذين تعاقبوا بعده احتفظوا بنفس اللقب "الكاهن يوحنا"، وخلال الفترة التي تولّى فيها قوبيلاي الحكم كان الملك عليهم جورج، الرابع في الانحدار، من سلالة الكاهن، علما أنّ ديانة غالبية السكان هي الديانة المسيحية [3].

بناءً على مختلف الروايات وما تقدم يتّضح أنّ لقب القديس يوحنا (الراهب يوحنا) لقب سياسي مثله مثل الملك والخان، أكثر منه لقب ديني، أمّا بالنسبة لشخصيته فتجمع الآراء على أنَّها مجرد أسطورة، ومن خلال فهمها وتوضيح الظروف التي أحاطت بها، يتّضح لنا الدافع من وراء ذلك، وهو الذي أدى بالبابوية إلى إرسال البعثات إلى الشرق الأقصى والمغول، رغبة في إيجاد حليف قوي ضد المسلمين، ودَرْء خطر المغول الذين قضوا على كل شيء داسته أقدامهم.

---

[1]- Christopher Dawson, Mission to Asia: Narratives and letters of the Franciscan missionaries in Mongolia and China in the thirteenth and fourteenth centuries,trns : nun of stanbrook Abbey, Haper, New York, 1966, p .79.

[2]- ماركو بولو، المصدر السابق، ج.1، ص ص. 131-133.

[3]- نفسه، ج.1، ص ص. 154-156.

III. المسيحية في الصين:

1. تاريخ دخول المسيحية إلى الصين:

يرجع تاريخ دخول المسيحية إلى الصين[1] إلى القرن السابع الميلادي، عن طريق النساطرة [2] المتواجدين بالعراق وفارس، وفي العصر العباسي ساعدهم انتشارهم على اختراق حدود الصين. ويعود الفضل في إظهار أقدم مخلّفاتهم إلى بعثات اليسوعية [3]في العصر الحديث، ففي سنة 1625م، تم الكشف عن كنيسة نسطورية مزدهرة تعود إلى فترة حكم أسرة تانغ[4].

---

[1]– بغضّ النظر عن الأدلة التاريخية، فالراجح أنّ دخول المسيحية إلى الصين يعود إلى تاريخ أبكر من ذلك بكثير؛ إذ تفيد (Hodoiporia) وهي نص جغرافي يوناني قصير يعود للقرن الرابع الميلادي أنّها انتشرت حتى أرض الهون والهند الكبرى والصغرى وافريقية، ومن المعروف أنّه في سنة 552م قام راهبان سريانيان بتهريب دود القز إلى بيزانز (Byzanz) لصناعة الحرير بعد اكتشاف سره. انظر: Baum and Winkler, op. cit., p. 47.

[2]– نشأ هذا المذهب داخل حدود الإمبراطورية البيزنطية، وصاحبه هو نسطور السوري (381–452م)، وبطريرك القسطنطينية (431–428م). والذي يعتقد بوجود طبيعتين منفصلتين للمسيح الأولى إلهية والثانية إنسانية، المتعارض مع المفهوم الأرثودوكسي، بالإضافة إلى تصريحه أن مريم عليها السلام هي أم لإنسان وليس إله، أدى هذا إلى انعقاد المجلس العام للأساقفة للفصل في المسألة في مجمع أفسيس في 431م من طرف "كيريل" أسقف الإسكندرية، والذي كان معارضا بشدة للنسطورية، وقرّر المجلس إدانة نسطور قبل وصول الأساقفة الشرقيين المحبين لنسطور، وبسبب القرارات الناتجة عنه تم نفي نسطور إلى مصر إلى أن مات بها. ويقول عبد يشوع (Abdisho) في كتابه اللؤلؤة الذي ألفه سنة 1298م، أنّ المسيحيين السريانيين الشرقيين لم يغيّروا معتقدهم وأنهم دعوا بنساطرة ظلما خاصة وأن نسطور لم يكن بطريركا عليهم ولم يفهموا لغته واستمر استخدام المصطلح الى اليوم. انظر: Ibid., p. 23-24-103.

[3]– بعثات اليسوعية، مثلتها رهبانية الجزويت (Societas Lesu)، تأسّست سنة 1540م، وفق مرسوم بابوي على يد مجموعة من الرهبان وقد سعت مثلها مثل الرهبانيات التي سبقتها إلى التجديد والإصلاح الديني، كان لإرسالياتهم خلال الفترة الحديثة والمعاصرة إلى الصين في عهد سلالة مينغ دور كبير في الكشف عن بعض الآثار المادية للمسيحيين خلال عهد "تانغ" و"يوان". للمزيد عن هذه البعثات راجع:

Ann Louise Cole, Becoming All Things to All Men: The Role of Jesuit Missions in Early Modern Globalization, University of Arkansas, Fayetteville, 2015.

[4]– لمزيد من التفصيل عن المسيحية خلال عهد سلالة تانغ راجع:

A.C. Moule, Christians in China before 1550, Society for Promoting Christian Knowledge, London, 1930, pp. 1-166.

صَاحَب هذا الاكتشاف أيضا شاهدة[1] لنفس العقيدة المسيحية بالقرب من "هسيان فو" (Hsian-Fu) العاصمة السابقة لسلالة تانغ، توضح النقوش الموجودة عليها التي تمثل مزيجا من اللغتين الصينية والسريانية، أنَّها شُيِّدت في عام 781م، مع وصف موجز للراهب ألوبين (A-Lo-Pen) [2] من مدينة تاشين (Ta-Chin) التي من الممكن أنها تقع في سوريا، ويبدو أنّ امبراطور سلالة تانغ "تايتسونغ (Tai-Tsung) سُرَّ به كثيرا إلى الحد الذي سمح له ببناء كنيسة ودير في العاصمة خان باليق، كما أصدر أوامره يطلب منه ترجمة مصنفاته المتعلقة بالدين والعقيدة إلى اللغة الصينية، وهو بمثابة فرصة لا تعوض لنشر معتقدات المذهب النسطورية[3].

خلال الوقت الذي شُيِّدت فيه الشاهدة، تزايد عدد أتباع العقيدة الجديدة في الصين، وضَمّت أصحاب النفوذ في الدولة، من بين هؤلاء، "كو تسو الأول" (kuo-tzu-i) القائد الأعلى للجيش ورئيس الوزراء، الذي أنفق مبالغ كبيرة لترميم الكنائس ودعم الرهبان ورجال الدين، ونعمت المسيحية بأبهى فتراتها في المنطقة، وأُطلق عليها اسم "الدين المتألق" (Ching-Chiao) [4]. وقد شهد عهد خليفة الامبراطور السالف الذكر وابنه "كاو تسونغ" (kao-tsung) بناءَ الكنائس في كل المدن، مما يوحي بانتشارها وازدهارها في جميع أنحاء الإمبراطورية، ويُبرّر المؤرخ "هوارد سميث" (Howard Smith) أنّ سبب النجاح الذي حقَّقته، يعود إلى وجود علاقات وثيقة وتعاون كبيرين في الأيام الأولى بين البوذيين والنساطرة [5].

---

[1]– "اللوحة النسطورية" مصطنعة في صورها يعلوها صليب مالطي يستريح على سحابة طاولة مع زهرة لوتس بوذية تحتها والجانب الأكثر خطورة للمبشر هو نقشه ذو ثلاثة أضعاف: عقائدي وتاريخي ومدحي يقدم الجزء الأول نبذة موجزة عن تعاليم الدين، وعن طرق وممارسات وزرائه، والجزء الثاني عن دخوله الأول إلى الصين وعن رعايته طيلة 150 سنة من مختلف الاباطرة أما الجزء الثالث يعبر المسيحيون عن ثنائهم على الله وعن الاباطرة الذين تسامحوا معهم وحموهم." انظر:

Frances Wood, The Silk Road, Two Thousand Years in Heart of Asia, Berkeley, UN. of California, Press, 2004, p.118 .

[2]– وصل هذا الراهب إلى بلاط امبراطور سلالة تانغ الصيني في سنة 635م، ويعتقد "ويلهيلم" أنه من الصغد، لأنّ رجال الدين في البلاط الصيني كانوا قادرين على التحدث معه بلغته الأم. انظر: Baum and winkler, op. cit, p.47

[3]- Howard Smith, Chinese Religions, History of Religions Series, Holt, Rinehart and Winston, New York, 1971, p. 151,152.

[4]- Ibid.

[5]- Ibid., p.152

تمّت الإشارة إلى المسيحيّة في هذه الفترة بالعديد من التسميات، أبرزها ما ورد في النصوص الصينية باسم "الدين الفارسي"، كما ورد في الشاهدة مصطلح "جينغجياو" (Jingjiao)، وهو الاسم الذي أطلقه المنصّرون الفارسيون عليها وتعني "الدين المنير"، ليظلّ نجاحها مؤقتا وسرعان ما تم اقصاؤها في عهد امبراطورة تانغ "وو" (Wu) (690-705م) باعتبارها دينا منافسا للبوذية [1].

وبحلول سنة 845م، تمّ إقصاء جميع الديانات الدخيلة بما فيها النسطورية واضطهادها، ولم يسمح لرجال الدين بمزاولة معتقداتهم إلّا بحلول القرن الثالث عشر الميلادي، حيث نجحوا خلاله في نشر أفكارهم ومذاهبهم بين عدد من القبائل التي استقرّت بآسيا الوسطى من الكرايت والنايمان والقرغيز والخطا، وهي نفسها التي شكّلت نواة امبراطورية المغول لاحقا. وباعتلاء قوبيلاي العرش أدّت تنقّلات السكان في جميع أنحاء الامبراطورية المغولية إلى توطين العديد من المسيحيين على اختلاف مذاهبهم في الصين [2]. ومن المحتمل أنّ اضطهاد المسيحيين لم يؤد إلى زوال ديانتهم نهائيا؛ بل ومن الممكن أنّ معتنقوها أخفوا معتقداتهم ولم يتمكّنوا من آداء شعائرهم بحرية إلّا مع حلول القرن الثالث عشر الميلادي.

2. دلالة المصطلحات الخاصة بالمسيحيين:

قبل الحديث عن تسمية المسيحيين، والنساطرة على وجه الخصوص في النطاق الجغرافي الخاضع لسلالة يوان، ينبغي الرجوع إلى نقطة جوهرية متعلّقة بهم، تتعلق بصحة إسقاط هذا الاسم عليهم باعتبار أنّ بعض المؤرخين يعتبره ظلما للكنيسة الشرقية، فطبيعة العلاقة بين نسطور وكنيسة المشرق غير جيدة، والاستمرار في تسميتهم بذلك من وجهة نظر تاريخية غير صحيح تماما [3].

1- Baum and Winkler, op. cit, p. 47.
2- Howard Smith, op. cit., pp.151-152.
3- Halbertsma, op. cit., pp. 3-5.

حيث قرَّر الباحثون المختصون استخدام التسميات التي عرف بها المسيحيون خلال فترة سلالة يوان، وهما تسميتان تم استعمالهما في بعض الأحيان للدلالة على عرق من المجتمع لا فئة دينية، وقد كان أغلب المسيحيين إما من الأتراك أو الأجانب[1].

مصطلح تارسا (Tarsa):

يعد مصطلح تارسا الترجمة الصوتية للكلمة الفارسية (Diexie) والمقصود بها طائفة دينية أو بمعنى رجل الدين، تمّ استخدام هذا المصطلح على كل من المسيحيين من طرف المسلمين وعلى الوثنيين من قبل المسيحيين، على أنّ استخدامه لم يكن من باب الازدراء في أغلب الأحيان، وعلى الرغم من عدم شيوع استخدامه في هذه الفترة في الصين إلّا أنّ استعماله استمر من قبل المسلمين لاحقا. وينقل مولي عن ريتشي (Ricci): "أنّ المسلمين يطلقون إلى جانب اسم عيسى الذي يعني المسيح، اسم تارسا، وقد سمعت أرمنيا يقول إنّهم في بلاد فارس يطلقونه على الأرمن " [2].

مصطلح يليكوين (Yelikewen):

وهي ترجمة صوتية للكلمة التركية المغولية (Arkagun) التي لا تزال أصولها محل خلاف، فقد أطلقت هي الأخرى على رجال الدين المتواجدين بالأديرة، وإلى عرق "الهان" غير الصينيين، بالإضافة إلى استخدامها دون تمييز بين مختلف الفرق سواء النساطرة أو الكاثوليك [3].

وقد أطلق الجويني عليهم نفس الاسم تقريبا أي "أركون"؛ إذ يقول: ".... عدا من تم اعفاؤهم من المشاق والمؤن بناءً على المرسوم الصادر زمن جنكيز خان قاآن، ويعني بذلك السادات الكبار والأئمة الأخيار من المسلمين، ومن النصارى ممن يقال لهم أركون والرهبان والأحبار ..." [4].

1- Halbertsma, op. cit., pp. 3-5.
2- A.C. Moule, op. cit., p. 217; Ibid., p. 13.
3- Ibid., pp. 10-11.
4- الجويني، المصدر السابق، ج.3، ص.83.

وحسب العالم الياباني سايكي (Saeki) فإن الكلمة (Arkagun) أو (Erkehun) ليست سوى تحريف للكلمة الفارسية (Arkhun)، التي تعني "الزعيم" و"الكاهن الأكبر" و"البطريق"، بينما تدل الكلمة المغولية (Erkud) على صيغة الجمع[1].

أمّا هالبرتسما الذي يرى أنّ العهد المغولي وبالتحديد خلال فترة سلالة يوان، هو المرحلة الثانية التي أتيح فيها للمسيحيّة النسطورية من تحقيق نجاح نسبي بعد أن انتشرت بين العديد من القبائل، فيعتقد أنّ المصطلح غير مرتبط بقوة المسيحية استنادا على وصف وليام روبروك: "المغول يعتبرون مصطلح المسيحية اسما لشعب، وعلى الرغم من تمسكهم بمعتقداتهم الدينية، إلّا أنّهم يفضلون اسم المغول" مما ينفي وجود كلمة خاصة بالمسيحيين لدى المغول [2]. ويبدو أنّ تفضيل المغول لهذا الاسم دون غيره، راجع إلى غرورهم نظرا للمكانة والقوة التي وصلوا إليها آنذاك، بالإضافة إلى عدم اهتمامهم بالجانب الديني.

وعلى الرغم من التطور الذي آلت إليه دراسة المسيحية في الصين، إلّا أنّ دراسة هذه التسميات بدأت في وقت متأخر مع الباحث كيانزهي (Qianzhi Zhu) الذي حرّر مؤلفا بعنوان "النساطرة في الصين"، (The Nestorianism in China) معتمدا في دراسة النصوص على منهجية تقليدية بناء على الفرضيات التاريخية، والتي يؤكد هالبرتسما على ضرورة دعمها من خلال توظيف المنهجيات المختلفة؛ إذ أنّ الطبيعة المعقدة للآثار النسطورية، والتي تزيد الأمر غموضاً، تتطلب تضافرا لمختلف التخصصات بما في ذلك علوم التاريخ والفنون واللاهوت والدراسات السريانية وغيرها من المجالات المساعدة على فهم هذا التراث، هذا التضافر ضروري من شأنه أن يكشف عن الجوانب المختلفة للمادة، نتيجة تمازج الثقافات المتعدّدة لكنيسة الشرق بين كل من الثقافتين الصينية والمغولية، بالإضافة إلى قيمتها اللاهوتية [3].

1- P.Y. Saeki, The Nestorian Documents and Relics in China, the Maruzen Company LTD, Tokyo, Japan, 2. e, 1951, p .426.
2- Halbertsma, op. cit., pp. 13-15.
3- Chen Jian Andrea, Investigation of The Idea of Nestorian Crosses Based on F.A. Nixon's Collection, Quest : Studies on Religion and Culture in Asia, vol.2, 2017, pp. 4-5.

تُعلِّق شين أنّ رأي هالبرتسما راجع إلى كونه درس آثار منغوليا الداخلية التي يُعتقد أنّها ذات أصل نسطوري لحوالي12 عاما، بما في ذلك مواقع لقبور ونقوش على شواهد القبور ولوحات، ولا تقتصر هذه الآثار على النصوص لأنّها غير كافية، وفي ظل هذه الظروف يواجه العلماء معضلة أخرى، وهي النقص النسبي للمادة التاريخية الخاصة بالدين الفارسي[1].

3. لغة المسيحيين بالمنطقة:

يرتبط الحديث عن اللغة في هذا المضمار باللغة المستعملة في الطقوس الدينية، وعلى الرغم من أنّهم أتراك إلّا أنّهم استخدموا اللغة السريانية في بعض الأحيان.

ركّزت المحاولات الأولى لفك الرموز على نقش "وانغ موليانغ"، وأثبت كل من "سايكي" (Saeki) و"قرونبيش"(Gronbech) أن النقوش كتبت بالخط السرياني واللهجة التركية، التي تم ربطها باللهجات الشرقية مثل الايغورية، عوض اللغات التركية، كما أن استعمالهم لـ اللغة التركية في تعاملاتهم لا يعني بالضرورة استخدامها في النقوش؛ بل على العكس من ذلك سيلجؤون إلى السريانية، إنَّ هذا الاستنتاج يربط قبائل الأونغوت بآسيا الوسطى بدلا من الصين، ويدعم قرونيش استنتاجه أنَّ نقوش شواهد قبورهم مماثلة إلى حد بعيد لتلك الموجودة في (Semericye) وتحتوي على نفس الصيغة: "هذا القبر هو" [2].

تُظهر القطع الليتورجية والوثائق السريانية المكتشفة في دونهوانغ وبكين بوضوح تلاوة المسيحيين في الصين خلال فترة يوان للمزامير باللغة السريانية، وقد تم العثور على بعض المخطوطات السريانية بكهوف دونهوانغ الشهيرة، والتي يحتمل أنها تعود إلى نفس الفترة أو حتى قبل ذلك، وتؤكد هذه الاكتشافات على أنّ السريانية، مثّلت لغة الطقوس الأساس، ناهيك عن

[1]- Chen Jian Andrea, op. cit., pp. 2-4.
[2]- Halbertsma and Dickens, Inner Mongolian Syro-Turcica, Monumenta Serica, vol.66, n.2, 2018, pp. 280-282.

أنّ المكان الذي عثر عليها به وفق تاريخ صوما ورفيقه مرقس كما سيأتي ذكره، جمع العديد من المسيحيين المحافظين[1].

وحسب لي تانغ فإنّ " النقوش الجنائزية للمسيحيين في الصين تمثل نوعا معينا من النصوص الأدبية والتي تبدأ في الغالب بالصيغة الثالوثية وباللغة السريانية (باسم الآب والابن والروح القدس)، هذا ما يؤكد استخدام الصيغة السريانية الثالوثية في الشعائر الدينية المكتوبة على النقوش" [2]. وعموما فإن محتوى النقوش الأثرية التي تم العثور عليها بخان باليق "بكين" و"منغوليا الداخلية"، يسلط الضوء على مدى أهمية السريانية باعتبارها لغة دينية قوية لليلكوين خلال العهد المغولي [3].

V. المسيحية في الصين خلال الفترة المغولية:

1. النساطرة في الصين خلال فترة حكم سلالة يوان:

يفتقر تاريخ النساطرة بالمنطقة في هذه الفترة إلى المصادر المكتوبة عن هذه الطائفة، فهي ضئيلة جدا بالمقارنة مع الأدلة الأثرية، وهذه النقطة تحديدا أثارت استفهاما لدى المؤرخين، فعلى الرغم من أنّ أسرة تانغ أسبق من يوان إلّا أنّ مصادر المسيحية في الأولى أوفر من الثانية، ومن غير المستبعد أنّ يكون السبب في ذلك راجع إلى كره الصينيين لحكم الأجانب، ممّا دفعهم إلى إتلاف الآثار التي خلَّفها المغول، ويدل على ذلك، أنّه بعد تربُّع سلالة مينغ على سدة الحكم تم استبعاد أغلب الديانات وحظرها.

1- Li Tang, The Liturgical Language of the Church of the East in China, Artifact, Text, Context Studies on Syriac Christianity in China and Central Asia by Winkler, Tang, lit verlag munster, v.17, 2020, pp.129-130.
2- Ibid.
3- Ibid., p.131.

ومع ذلك فإنّ الصين ضمَّت أكثر الطوائف الدينية بالمقارنة مع باقي أجزاء الإمبراطورية، وقد حظيت الجماعات المسيحية هي الأخرى بمكانة ملحوظة ضمن هذا التنوع، حيث مثّلها كل من الأرثوذوكسيين واليعاقبة فضلاً عن النساطرة محور هذا الفصل [1].

ومهما يكن من أمر فقد ساهمت روايات الرحَّالة ومبعوثي البابوية إلى المغول، بالإضافة إلى الآثار المادية التي تم العثور عليها في المناطق الخاضعة لنفوذ المغول، في إعطاء بعض المعلومات عنها وعن أهم معتقداتهم، يقول الراهب "وليام روبروك"، إلى الخان المغولي والذي زاره في عاصمته قوراقورم سنة 1254م، أنّ النساطرة يتوزّعون على 15 مدينة صينية، وعلى الرغم من امتلاكهم "للكتاب المقدس" إلّا أنّهم لم يستوعبوا مضمونه، بسبب تدوينه باللغة السريانية التي لا يفهمها حتى رجال الدين أنفسهم، وبالتالي الجهل حتى بتعاليمه ممّا جعلهم موضع سخرية حسب نظره، مضيفا أنَّ تأثرهم بتعاليم الديانة الإسلامية دفعهم إلى إدخال بعض منها على طقوسهم، ومن ذلك تشبهوا بهم في اتخاذ أكثر من زوجة [2].

ويظهر "روبروك" بأنه متحامل جدا عليهم من خلال وصفهم بأقبح الصفات، ممّا دفعه وكذا العديد من المؤرخين والمستشرقين إلى الادّعاء بوجود علاقة بين النسطورية والإسلام، وأنّ هذا الأخير أخذ عن الأولى[3]. ومع ذلك، يرى هالبرتسما أنّ المؤرخ "جاكسون" (Jackson) يتعارض مع تفسير روبروك، حول اتّباع النساطرة للمسلمين في العديد من الأمور، موضحا أنه أخطأ في تفسيره للمعتقدات الإسلامية [4].

1- Peter Jackson, The Mongols and The West 1221-1410, Routledge, U.S.A, 2014, p. 257.
2- Halbertsma, op. cit., p. 5.
3– من أهم الدراسات المسيحية في العصر الوسيط التي تطرقت إلى جدلية العلاقة بين النسطورية والإسلام، كتاب "المجدل" لعمرو بن متى الطيرهاني، والذي يسعى محقق الكتاب من خلاله إلى إثبات أن الإسلام مستنبط من المذهب النسطوري. للمزيد، راجع: عمرو الطيرهاني، المصدر السابق.
4- Halbertsma, op. cit., p.9.

ماركو بولو والذي سيجري الحديث عن دوره لاحقا، أتى بعد مبعوث الملك الفرنسي ومكث بالصين أزيد من عشرين سنة، يروي عن تواجد المسيحيين في العديد من المدن، وينوه إلى أمر آخر متعلق بمظهرهم وطريقة تمييزهم عن بقية الناس؛ إذ يذكر أنّهم يرخون لحاهم: "وكان معنى التمييز فيما يتعلق باللحى هو التالي، أنّه بينما الكاثانيون أنفسهم عديمو اللحى بالطبيعة فإنّ التتار والمسلمين والمسيحيين يرخون لحاهم"[1].

وعلى خلاف أغلب الرهبان والأوروبيين الذين زاروا المناطق الخاضعة لنفوذ المغول والتي تضم النساطرة، وفي الوقت الذي نظر هؤلاء الأوروبيون إلى هذه الفئة من المسيحيين على أنّهم هراطقة ومنشقين؛ بل هم أعداء لهم، ذكرهم ماركو على أنّهم إخوة له في الدين، لكنه في المقابل هو متحامل على المسلمين.

يصفهم الراهب "يوحنا دي كوري" رئيس أسقفية السلطانية هو الآخر بالمنشقين، كما أنهم يتوافقون مع اليونانيين إلى حد بعيد في طقوسهم وعاداتهم، ويؤكد على غرار كورفينو قبله مخالفتهم وكرههم للكاثوليك، وقد بلغ عددهم في امبراطورية الخان نحو ثلاثين ألفا، وهم على الرغم من كثرتهم أغنياء جدا، امتلكوا الكنائس الجميلة والمنظمة التي حوت صلبانا وصُوراً لمقدساتهم، ويذهب هذا الراهب إلى أبعد من ذلك آملا في أن يتحقق اتحاد وتعاون معهم، والذي من شأنه أن يجعل امبراطورية الخان تحت سلطة الكنيسة الكاثوليكية [2].

على أنَّ القاسم المشترك بين أغلب روايات الرهبان في وصف هؤلاء النساطرة، هو عقدة الاستعلاء التي ترفع من شأن الكنيسة الرومانية دون غيرها، والاستخفاف بهذه الطائفة باعتبارهم مشقين وهراطقة.

[1]- ماركو بولو، المصدر السابق، ج.2، ص ص.39-41.

[2]- John De Cori, The Estate of The Great Kaan in Moule, pp.250-251.

وقد جمع "يو شيلو" (Yu Xilu) ضمن حوليات مدينة داروغا أو زينجيانغ (Zhenjiang) الواقعة في إحدى مقاطعات الشرق الصيني، خلال فترة (Zhishun)، أي بين سنتي (1330-1332م)، سجلا مفصلا عن المسيحيين وأحوالهم، "ووفقا للإحصاء الذي أجري سنة 1331م، حوت المدينة 215 مسيحيا أي بنسبة 8.8% من السكان الأجانب، و0.033% من إجمالي السكان، وتم توكيل نيابة حكمها إلى "مار سرجيس"، أحد النساطرة الذين ترجع أصولهم إلى مدينة سمرقند" [1].

قام هذا الأخير ببناء نحو سبعة أديرة لأتباع طائفته، ستة في "زينجيانغ" وواحد في "هانغتشو"، وقد تم تأكيد وجود كنائس نسطورية في "تشنجيانغ فو" في كتاب ماركو بولو، الذي يذكر كنيستين بالمنطقة أسّسها "المار سرجيس" الذي حكم المدينة من 1278م إلى سنة 1281م [2].

من الصعب معرفة العدد الإجمالي للنساطرة الذين عاشوا بالصين خلال فترة سلالة يوان، إلّا أنَّ المعلومات المتوفرة تظهر انتشارا واسعا لهم داخل نطاقها، مما يدل على أنّ عددهم كبير، وهو ما دفع السلطة الحاكمة في سنة 1289م إلى إنشاء مكتب خاص بهم أو ما يعرف بـ (Chongfusi) وهو قسم من الدرجة الثانية، مهمته الرئيسية تولي شؤون وقضايا أتباع المسيحية، وقد بلغ عدد المكاتب منذ سنة افتتاحه إلى سنة 1315م، حوالي 72 مكتبا محليا تحت إشراف رجال الدين أنفسهم [3].

وعلى الرغم من الانتشار النسبي الذي حقَّقته المسيحيّة، فقد ظلَّ النساطرة في وسط وشرق آسيا مجرد أقلية دينية، تشكل رجال الدين في الغالب من السريان والإيرانيين، حتى بعد مرور أكثر من مائة عام على وصولهم إلى الصين. وقد ظلت علاقتهم مع الكنيسة الأم والجاثليق

1- Li Tang, Mongol Responses to Christianity in China, a Yuan Dynasty Phenomenon, Asia Research Institute, No.63, 2006, Austria, p.10.
2- Ibid., pp.10-11.
3-Idem., Le Christianisme Syriaque op. cit., p.79.

المتمركز في بغداد في بلاد ما بين النهرين ضعيفا، وهو ما أثَّر على الحياة اللاهوتية للنساطرة في الشرق الأقصى، مما جعل الحياة الدينية للقبائل المغولية والأتراك تمتزج بطقوسهم ومعتقداتهم الأولى[1].

كان للتمازج الثقافي الهائل نتيجة سياسة التسامح الديني التي اتّبعها المغول في منغوليا والصين أثره على مختلف الأديان والمعتقدات، كما نجم عن زاوج الأتراك والمغول اختلاط معتقدات المذهب النسطوري بالمعتقدات الشامانية، ونظرا لوضعها كأقلية فإن حالها في ذلك حال العديد من الأديان في الشرق وتعايشها معها، وأمّا النسطورية فإنّها ظلّت على اتصال مستمر مع الأفكار والممارسات غير المسيحية والوثنية بدرجة كبيرة [2].

وقد "أدّى التفاعل بين مختلف المعتقدات إلى أخذ الكنيسة السريانية، مفاهيم من البوذية "ماهايانا" التي انتشرت في الصين، وهي أحد المذهبين الرئيسيين للبوذية والأوسع انتشارا بين دول شرق آسيا حتى اليوم، بالاعتماد على اللغة المتأصلة في الماهايانا، قام المسيح بتجديف "قارب الرحمة إلى السماء" ووصف صلبه بأنّه "تعليق الشمس المضيئة في السماء"، وهذا يوضح لنا دمج عقيدتين أساسيتين من البوذية "ماهايانا" في نظام المعتقدات النسطورية" [3].

توصل المعطيات المتوفرة، بالإضافة إلى استمرارية استخدام بعض المصطلحات ومنها كلمة تينغر (Tenger)، والموجودة في العديد من نقوش شواهد القبور النسطورية التي تم العثور عليها في مدينة قوانزو، إلى حقيقة مفادها أنَّ المسيحيين في المنطقة، وعلى رأسهم النساطرة لم يتخلوا تماما عن معتقداتهم التقليدية؛ بل مارسوها إلى جانب النسطورية [4].

1- Ian Gillman, Hans-Joachim Klimkeit, Christians in Asia Before 1500, Routledge, London, New York, 2006, p. 287.
2- Ibid., p. 266.
3- Ibid., p. 287.
4- Halbertsma, op. cit., p. 34.

2. تبعية كنيسة الصين إلى كنيسة المشرق:

وردت الإشارة إلى كنائس الشرق الأقصى بما في ذلك الصين وكشغر وتبعيتها إلى الكنيسة الشرقية في المشرق العربي، في العديد من كتب المؤرخين المسيحيين البارزين، منهم المجدل لعمرو بن متى الطيرهاني، والتاريخ الكنسي لابن العبري الذي أخذ عن عمرو، بالإضافة إلى أنّ الاثنين تم إكمال تاريخهما من طرف العديد من رجال الدين

وضم المؤرخ المسيحي "عمرو الطيرهاني" بطاركة الصين (خان باليق وكشغر) إلى بطاركة المشرق، وهذا دليل على الأعداد الكبيرة للمسيحيين، ممّا استلزم ضرورة وجود أبرشية تعزّز العلاقات بين الكنائس الشرقية في مختلف مناطق آسيا، وأفضل مثال على ذلك رحلة الراهبين بار "صوما" و"مرقس" إلى القدس[1].

3. رحلة الراهبين بار "صوما" وبار "مرقس":

من أهم الشواهد النادرة والتي تكاد تكون منعدمة عن النساطرة بالصين خلال العهد المغولي تاريخ بار "صوما" ورفيقه بار "مرقس"، وعلى الرغم من تركيز الكِتاب على المناطق التي زارها الاثنان، إلّا أنّه يسلّط في ثناياه الضوء على بعض طقوس وحياة المسيحيين بالشرق الأقصى، فضلا عن المساعي الرامية إلى فتح جبهة مضادة ضد المسلمين من قبل المغول أنفسهم- مغول إيران- لإقامة علاقات مع الغرب الأوروبي كما سيتم ذكره.

[1]- عمرو بن متى، أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل، رومية الكبرى، 1896م، ص.126.

إنّ المعلومات عن حياة الراهب بار صوما (Bar Sawma) [1] قليلة جدا؛ إذ تفيد بأنّه ولد ونشأ بالعاصمة "خان باليق"، وهو وحيد أبويه، ويعد والده أحد الرجال الأثرياء والمعروفين في أسرته، اسمه شيبان (Sheban) سكن في المدينة المذكورة، أمّا والدته فتسمى قيامتا (Kyamata)، وقد ظلّ الزوجان فترة طويلة من الزمن دون أبناء وبعد دعاء وصوم طويل منَّ الله عليهما بـ صوما، ويفترض "واليز" أنّ مولده كان ما بين سنتي 1220م و1230م [2].

تلقى صوما تعليما كنسيا خاصا منذ الصغر؛ إذ حرص والداه على تربيته تربية مسيحية من خلال احاطته برجال الدين وتخصيص معلم يتولى تلقينه العقائد الكنسية حتّى صار مؤهلا للحصول على "وسام الكهنوت"، وأصبح بفضل والده شماسا [3] في الكنيسة الكبيرة بمدينته، وهو لم يتجاوز العشرين من عمره[4].

ومع بلوغه هذا السن، خطب له والداه إحدى الفتيات التي لم ترد أي تفاصيل عنها، لكنه أبدى رفضه للزواج ورغبته في الانفصال عنهما مختارا لنفسه سلك الرهبنة، وتحت إصرارهما الشديد اضطر للبقاء معهما مجبرا ثلاث سنوات، غير أنّه سرعان ما أنكر طريقة عيشهما التي لا تتناسب مع ميوله، واختار حياة الرهبنة والعزلة وانضم إلى الخدمة الدينية بعد أن منح جميع ممتلكاته للفقراء متخذا من ثياب الرهبان زيا له، حلق له "المار جورج" شعر رأسه، ليدخل صومعة منفصلة مكث فيها مدة سبع سنوات، ليقرّر بعدها الانزواء مكان يترهب فيه، على مسافة مسيرة يوم من

---

[1]– ترك الراهب صوما حوليات لرحلته التي قام بها، إلا أنّها فُقدت، ووردت قصة حياته ورفيقه مار ياهبلاها في العديد من النصوص السريانية، أحدها من قبل مؤرخ معاصر له اسمه مجهول، يَحْتمل البعض أن يكون صوما نفسه هو من دوَّنها، وقد نشرت الحوليات لأول مرة في أوروبا من قبل "بول بينيامين" Paul Bedjan سنة 1888م، ثم توالت الترجمات للنسخة السريانية المنشورة على يد كل من واليز ومونتقومري. انظر:

Wallis Budge, the Monks of Kublai Khan, Emperor of China, london, religious tracht society, 1928, pp .6-9.

[2]- Ibid., P. 17.

[3]– الشماس، من "الشماسة" وهي كلمة سريانية تعني خادم الكنيسة، وهو من يقوم بمساعدة الكاهن في أداء الخدمات الدينية. انظر: تادرس يعقوب ملطى، قاموس المصطلحات الكنسية، مشروع الكنوز القبطية، مصر، ص.18.

[4]- James Montgomery, The History of Yaballaha III Nestorian Patriarch and of His Vicar Bar Sauma Mongol Ambassador to The Frankish Courts At The End of The Thirteenth Century, Columbia Univ Press, New York, 1927, p .28.

صومعته، وحسب الرواية فقد ذهب في رحلة ليوم واحد من المدينة متخذا من أحد كهوف الجبل مقراً له [1].

أدى اعتزاله بإحدى مغارات المنطقة التي اختارها، إلى التحاق الراهب "مرقس" به فيما بعد لشهرته بسبب المواعظ التي كان يلقيها على زائريه، ومرقس هو أحد سكان مدينة كوشانج [2] (Koshang)، ولد سنة 1245م ومع أنّه أصغر إخوته إلّا أنّه تلقى تعليما كنسيا أكثر منهم، شغل والده باينيل (Bainiel) منصب رئيس شمامسة في المدينة، ويبدو أنه هو الآخر وجد اعتراضا على قراره في أن يصبح راهبا مثلما حدث مع صوما من قبل، وتحت إصراره الشديد توجه إلى مكان تواجد صوما، وبعد 15 يوما من "التعب والاجهاد" وصل إليه، وعلى الرغم من اعتراض الأخير على قبول رفقته، إلّا أنّ إلحاح مرقس دفعه إلى الموافقة، وبعد ثلاث سنوات مُنح ثياب الراهب وحُلق شعره على يد المار "نسطور" البطريرك[3].

بالنظر إلى التفاصيل الدقيقة الخاصة بحياة الراهبين والمرتبطة بالفترة التي قضياها في موطنهما الأم، بدءًا من نشأتهما في عائلتين مسيحيتين-والتي يتضح أنّهما محافظتان- إلى غاية اختيارهما لحياة الرهبنة والخطوات التي اتّبعاها، يتّضح أنّ المجتمع النسطوري في الصين كان على وعي تام وإيمان بما تقتضيه معتقداته، ناهيك عن وجود العديد من الكنائس والمناطق التي يؤمن سكانها بالديانة المسيحية.

1- James Montgomery, op. cit., p .29.

2- تقع مدينة كوشانج (koshang)، بين كل من "خان باليق" و"التانغوت" أي في "منغوليا الداخلية"، وحسب تحديد علماء الآثار لموقعها، فإنّها فيما يعرف اليوم بـ "أولون سوم" (Olun Sum) أحد أهم المواقع الأثرية للنساطرة كما سيتبين لاحقا. انظر: Ibid.

3- Ibid., p. 31.

الذهاب إلى القدس:

خلال رحلة السفر الطويلة إلى القدس–والتي لم تكتمل– بدءا من التفكير في السفر إلى موعد الاقلاع، كان على مرقس اقناع صوما بالذهاب معه إلى زيارة القدس التي يعتبرها المسيحيون حجًّا مكفّراً للذنوب، فضلا عن زيارة أضرحة الشهداء المبثوثة في المنطقة حسب اعتقادهم، إن محاولات صوما تضخيم مخاطر ومشاق الطريق لم تثن من عزيمة رفيقه؛ بل أدت في الأخير إلى قرار الاثنين بالمغادرة قاصدين مبتغاهم، بعد أن وزّعوا ممتلكاتهم على الفقراء[1].

وفي سبيل بدء الرحلة وإتمامها، دخل الاثنان إلى احدى المدن المجاورة للانضمام إلى قافلة (رفاق الرحلة) والتزود بالمؤونة اللازمة للسفر، غير أنّ المسيحيين هناك عارضوهم دون جدوى، وفي مدينة كوشانج استقبل والد مرقس ورفاقه الراهبين وأحضروهما إلى الكنيسة، وبناءً على أخبار وصولهما تم أخذهما إلى معسكر الأميرين وصهري الخان "كينبوغا" و"آيبوغا" الذين تقدم ذكرهما، والذين لم تنفع محاولاتهما في ثنيهما عن السفر، فما كان من الأميرين إلّا أنْ زوّداهما ببعض المؤن، رغبة في إنشاء علاقات طيبة مع الكنائس الأخرى، "فقرّروا تزويدهما ببعض الهدايا والنفقات لتوزيعها على الأديرة والرهبان في الغرب حتى يكون لدينا علاقة زمالة معهم"، وفي مدينة التانغوت التي يبدو أنَّ بها بعض المسيحيين، استقبلهم أيضا سكانها بحفاوة لما علموا بسفرهم إلى القدس[2].

انطلق الاثنان نحو وجهتهما في حوالي سنة 1275–1276م، من أرض التانغوت (غانسو حاليا)، وعبر صحراء غوبي مرورا بكشغر، المركز التجاري في أقصى غرب الصين، ومَقر الكرسي الأسقفي الذي دمرته الحرب، وخلال رحلتهما زار الراهبان العديد من المدن، غير أنّهما لم يتمكّنا من بلوغ القدس الخاضعة آنذاك لسيطرة السلطان المملوكي "الظاهر بيبرس" (659هـ–

1- James Montgomery, op. cit., p. 32.
2- Ibid., pp. 33-34.

1266م/676هـ-1277م)، كما أنَّ جثالقة المشرق أثنوهم عن السفر إليها، واضطرتهم حرب قوبيلاي وقايدو في آسيا الوسطى إلى البقاء في دير بالقرب من الموصل حوالي سنتين [1].

تعيين مرقس بطريركا:

خلال فترة السنتين التقى الراهبان بالجاثليق "دينحا" (Denha) بـ مراغة، وأخبراه أنّهما من العاصمة المغولية خان باليق، وقدما إليه للحصول على بركته وبركة رهبان المنطقة، وعن رغبتهما في الحجّ إلى القدس، ليقوم بإرسالهما إلى الإيلخان آبقا (1265-1282م)، وخلال عودتهما إليه أوضح لهما أنّ الظروف غير مواتية قائلا لهما: "ليس وقت الذهاب إلى القدس، لأن الطرق مقطوعة غير أنّي قرّرت تنصيب "مرقس" مطرانا [2]، وأنت يا "ربان صوما"، سأعيّنك سفيرا عاما وسأرسلك إلى أماكن متعدّدة" [3].

وافق الاثنان دون تردد ثم أبديا رغبتهما في عدم العودة إلى الصين بسبب مشاق الطريق، ويدفع رضوخ الاثنين لرغبة الجاثليق "دينحا" إلى افتراض أنّ سلطة بطريرك النساطرة بالمشرق العربي بلغت حتى النساطرة بالشرق الأقصى، أو أنّ الراهبين كان لهما رغبة مسبقة في البقاء وعدم العودة إلى الأراضي المغولية [4].

وبموت دينحا سنة 1281م، انتخب أساقفة الشرق السريان "مرقس" خليفة له تحت لقب "ياهبلاها الثالث" (Yahbalaha III)، جاثليقا[5]على كنيسة الشرق، وعمره لا يتجاوز الخامسة والثلاثين آنذاك، لكنه تمتّع بدراية واسعة وفهم عميق بطبيعة العلاقات مع المغول، وبحضور

1- Baum and Winkler, op. cit., pp. 94-96.

2- المطران (Metropolitan)، رتبة كنسية تعني رئيس المدينة، يقابلها رئيس الأساقفة في الكنيسة الكاثوليكية. انظر: تادرس يعقوب ملطى، المرجع السابق، ص.33.

3- Wallis Budge, op. cit., p.22.

4-Baum and Winkler, op. cit., p. 95.

5- الجاثليق (Catholicus)، كلمة أصلها يوناني تعني سيد الكل، وفي الكنيسة السريانية معادلة لرتبة البابا في الكنيسة الرومانية. انظر: عمرو الطيرهاني، المصدر السابق، ص.69.

كل من بطاركة الموصل وأربيلا والقدس وسمرقند والتانغوت تمّت رئاسته في كنيسة كوخي (Kokhe) من نفس السنة، بعد أن حصل على الختم[1] الذي أعطاه مونكو خان لسلفه، واستمر في منصبه إلى سنة 1317م، حيث دامت عهدته حوالي 36 سنة[2].

تعيين صوما سفيرا للايلخان لأرغون:

وما إن تم تعيين مرقس على كرسي البطريرك الجديد، قرّر أرغون بن آبقا (1285-1291م)، ارسال صوما ممثلا عنه وعن المغول كافة إلى روما مقر البابوية، آملا في تشكيل اتحاد معهم ضد المسلمين قصد استرجاع الأراضي المقدسة منهم. وفي سنة 1287م وصلت البعثة إلى روما وكان البابا هونوريوس الرابع قد وافته المنية، وعلى إثر ذلك مكث في أوروبا الغربية قرابة السنة، حيث زار خلالها "فليب الرابع" و"ادوارد الأول" و"نيقولا الرابع"[3] الذي انتخب لاحقا خلفا لهونوريوس [4].

خلال زيارته لهم أدرك الجميع وبخاصة رجال الدين مدى التشابه الكبير بين الكنيستين الشرقية والغربية، وقد اتيحت له فرصة الاحتفال بالقداس السرياني الشرقي بحضور جمع من الكرادلة، أثناءه صرّح صوما أن العديد من المغول مسيحيون، وأنّ الملكات والأطفال أبناء الملوك قد جرى تعميدهم ووفق العقيدة المسيحية، كما كشف عن وجود كنائس في معسكرات الخان، ثم عرض عليهم رغبة الحاكم المغولي في تحقيق الاتحاد مع البابوية لاسترجاع بيت المقدس [5].

---

[1]- هذا الختم هو الذي مكن الأساقفة والرهبان وباقي الشخصيات من الاقتراب من الخان، ومن غير الممكن الاقتراب منه دون رسالة تحمل هذا الختم، ويبدو أن مونكو خان قرب المسلمين إليه، على غرار سلفه غيوك الذي حبا المسيحيين وقربهم إليه. انظر: Baum and winkler, op. cit., pp.95-96

[2]- Ibid., p. 96.

[3]- أدرك "جيروم الاسكولي"، الذي تقلد منصب البابا تحت اسم "نيقولا الرابع" أهمية الشرق؛ إذ سبق وأن كان رئيسا لهيئة الفرنسيسكان، فأرسل مع مبعوثه يوحنا كورفينو رسائل إلى كل من مرقس (هبلاها الثالث)، وقوبيلاي، فور توليه منصبه في سنة 1285م. انظر: Jackson, op. cit., p. 258.

[4]- Baum and winkler, op. cit., p.97.

[5]- اسحق ارمله السرياني، الحروب الصليبية في الآثار السريانية، المطبعة السريانية، بيروت، 1962م، ص.242.

وبغضّ النظر عمّا تمخّض عن هذا الاحتفال بحضور رجال الدين اللاتين وهي السبب الأساسي لبعثته من التعريف بمعتقدات النساطرة، ومن اطّلاعهم عن وجود العديد من المسيحيين ولاسيما وسط الطبقة الحاكمة، فهي أيضا تشير إلى مدى تشابه طقوس المذهبين المسيحيّين الكاثوليكي والنسطوري، هذا على الرغم من اختلاف المعتقد عندهما.

يمكن تقسيم حياة صوما ومرقس التي لا تخلوا من المبالغة في كثير من الجوانب إلى شطرين، شطر قضياه في الصين حيث نشأ الاثنان واتجها إلى حياة الرهبنة، والشطر الثاني متعلق بالذهاب إلى الغرب وتعريفهم هناك بواقع نساطرة الشرق الأقصى ومذهبهم. ومن بين النتائج التي أسفرت عنها بعثة صوما، بروز فكرة اتحاد الشرق مع الغرب التي لم تطرح من قبل، ولعلّ التّخطيط أيضا لنقل قيادة كنيسة الشرق المتواجدة في الصين إلى الغرب.

4. النّساطرة في بلاط الخانات:

انتشرت النسطورية في البلاط المغولي بين فئات معيّنة أكثر من غيرها، ممثّلة في زوجات الخانات والإداريين والقادة العسكريين، وعلى الرغم من كثرة الزوجات المسيحيات إلّا أنّ ذلك يفسر على الرغبة في تكوين روابط دم لا علاقة لها بالمعتقد؛ إذ اتّخذ الخانات في نفس الوقت زوجات ومحظيات يؤمن بديانات مختلفة ومغايرة. والحقيقة أنّ محاولات هؤلاء النسوة لحمل الحكام على تغيير سياستهم تجاه مذهب معين لم يؤثّر في الغالب على معتقدات الخانات، ومن بين النساء اللواتي حظين بشهرة واسعة وتقدير كبير الخاتون "سورقيتي بيكي"، فبالإضافة إلى كونها امرأة مسيحية، فهي أم لثلاثة حكام هم هولاكو، ومونكو، وقوبيلاي خان، ويرجّح أنّ طريقة تربيتها لأولادها أثرت على سياستهم في المستقبل كما سيأتي ذكره ضمن سياسة الحكام الدينية [1].

[1]- للمزيد عن أبرز الخواتين ودورهن السياسي في الإمبراطورية المغولية راجع: علاء قداوي، **النساء الحاكمات في امبراطورية المغول (639-694هـ/1241-1295م)**، مجلة المجمع العلمي، المجمع العلمي العراقي، م.46، ع.3-4، العراق، 1999م.

بالعودة إلى بلاط الخاقانان قوبيلاي وخلفائه، فقد جمع خليطا ملحوظا من الأجناس والأديان المختلفة، ومرد ذلك حبهم للعلم من جهة، وإلى عدم ثقتهم في السكان المحليين من جهة أخرى، وقد قام الهمذاني بشرح بعض المناصب التي تتعلق بالوزارة وأهم المناصب الإدارية في عهد سلالة يوان، فكان الذين يتولون منصبا وزاريا يلقّبون بـ "جينكسانك" دليلا على علو مرتبة صاحبها، وأطلق على نوابهم لقب فنجان وقد شغل هذه الوظيفة "الأمراء الكبار من الأقوام المختلفة كالتازيك والخطا والأويغور والمسيحيين، ولهؤلاء أيضا نواب في الديوان"[1].

عيسى كلمجي:

أطلق عليه رشيد الدين الهمذاني "عيسى المسيحي" أو"عيسى كلمجي"[2]، ورد اسمه في النسخ الصينية بـ "نغاي سي" (Ngai-sie) والتي تعني عيسى، وهو أحد المسيحين العرب من سوريا [3]، ولد في أذربيجان سنة 1227م، والتي تزامنت مع حملات الغزو المغولي على العالم الإسلامي، ليتم تجنيده في سن مبكرة في خدمتهم بعد أن هاجر إلى الصين واستقرّ بها. كما يعد أحد الرحالة الشرقيين البارزين خلال العهد المغولي الذين توجهوا غربا، واستقرّوا مؤقتا في العالم الإسلامي وحتى أوروبا، وعلى الرغم من أنه تولى مناصب كثيرة بصفته مسؤولا وترجمانا ودبلوماسيا إلّا أنّه لم يعرف كثيرا، سافر عبر طرق الحرير باتجاه الشرق ثم عاد إلى الصين، وخدم في عدة مناصب رفيعة المستوى في حكومة يوان، وترقَّى إلى منصب الأمانة المركزية الذي يعد واحدا من أسمى المراتب الإدارية في تلك الفترة [4].

[1]– الهمذاني، تاريخ خلفاء جنكيز، المصدر السابق، ص.276.

[2]– نفسه، ص .289.

[3]- Grousset, op. cit., p. 386.

[4]- Biran Michal, and other, Along the Silk Road in Mongol Eurasia: Genarls, Merchants, and Intellectuals, University of California Press, 2020, p. 255.

وعن ظروف وتفاصيل أخبار هجرته إلى الصين يُروى أنّ أسرته المسيحية مثّلت إحدى الأسر المجنّدة لخدمة المغول، وكان من بين المسيحيين الذين تعاونوا مع المغول، التاجر السرياني سمعان ربان الذي نجح في الحصول على مرسوم امبراطوري من أوكتاي خان يضمن حماية المسيحيين المحليين تحت سيادة المغول مقابل أداء الخدمة له، وبناءً على طلب "سورقيتي بيكي" والدة باتو من "سمعان" أن يختار أفرادا لخدمتها فقد وقع اختياره على والد عيسى بار "لوماشي" الذي أرسل ابنه بدلا منه لعجزه بسبب كبره في السن، وسرعان ما انضم إلى بلاط سيورقيتي ، وهناك تزوّج من امرأة مغولية تنتمي إلى قبيلة الكرايت تدعى "هوشينشا"، ويشير اسم تعميدها "سارة" إلى أنّها مسيحية تنتمي على الأرجح إلى النساطرة مثل زوجها. لا توجد الكثير من المعلومات عن حياة عيسى خلال السنوات التي قضاها في خدمة والدة قوبيلاي وحتى أوائل عام 1260م. ومن الممكن أنّه انشغل خلالها بدراسة اللغات، وحصل على لقب "مترجم" (Kelemchi)، كما حصل أيضا على مكانه في الحرس الخاص بالخاقان [1].

مكّنته خدمته في الحرس الامبراطوري، من الوصول إلى الخاقان وحافظ على علاقة وثيقة معه، وقد أبدى آراءه السياسية في الكثير من المواقف، فعلى سبيل المثال في سنة 1262م أي بعد سنتين من تولي قوبيلاي لسدة الحكم، طلب منه عيسى إلغاء الاحتفال بعيد ميلاد بوذا، وبعدها بشهر أبدى استياءه من رغبة الخاقان في قضاء ليلة في معبد داوي خارج العاصمة. وتمكّن في نهاية الأمر من إقناعه بالتراجع نظرا لحالة الاضطراب التي كانت تمر بها الدولة. "لقد أثبت عيسى أنه قارئ دقيق للمشهد السياسي للإمبراطورية ممّا ينجح في إقناع قوبيلاي على الأخذ بآرائه"[2].

كان "عيسى" موظفا حكوميا ومترجما ودبلوماسيا ناجحا وهذا دليل على اهتمام المغول بالعلماء والكفاءات، عرف بمواهبه اللغوية وقدرته على التفاوض في المجالات الثقافية المتنوعة التي ساعدته على كسب ثقة الطبقة الحاكمة، مكّنته خبرته في مجال الطب وعلم التنجيم من المساهمة

1- Biran Michal, Along, op. cit., p .256.
2- Ibid.

في إنشاء مكاتب حكومية في يوان مخصصة لهذه المجالات التي سهَّلت تبادل المعرفة العلمية بين شرق وغرب أوروبا وآسيا [1]، عيّنه قوبيلاي رئيسا لعلم الفلك والطب سنة 1263م، ويبدو أنّه حظي بثقة ومكانة كبيرة لدى الخاقان المغولي ففي سنة 1284م توجه بأمر منه إلى الايلخانية الفارسية، حاملا معه مرسوم تتويج أرغون إيلخانا للمرة الثانية، والذي وصل إليه سنة 1285م، ولكن سرعان ما عاد إلى الصين بعد زيارته لروما، ولعله أول صيني يقوم بهذه الزيارة [2].

سمح له تأسيسه لمكتب الطب الصيدلاني (Gingshi Yiyueyuan)، ومكتب الطب الغربي (Guanghuisi) فيما بعد، بالإضافة إلى مشاركته في الإشراف على علم التنجيم ونشر التقويم لمكتب حكومي آخر، عُرف لاحقا بالمرصد الفلكي للمعرفة الغربية، بالعمل مع خبراء آخرين منهم عالم الفلك المسلم الشهير جمال الدين (مات سنة 688هـ/1289م) الذي هاجر إلى الصين، وعرّف الخانات المغول بالفلك الإسلامي والجغرافي [3].

تم تعيينه في سنة 1291م، مفوضا لمكتب الشؤون المسيحية الذي تم إنشاؤه في سنة 1289م، تم تخليد أعماله في حوليات سلالة يوان (Yuan Shih)، وقيل إنّه ألمَّ بكل لغات الغرب، وبعد موته تم تخليد ذكراه على نقش قبر في (Hsueh-Lou-Chi)، وخلفه أحد أبنائه الخمسة على منصبه في مكتب مفوض الشؤون المسيحية [4].

في "نقش مسمار الروح" المكرس لعيسى"، وهو كتاب تذكاري الفه الباحث والمسؤول الصيني شينغ جوفو (1249-1318م)، أشاد في ثناياه بمعرفته وإتقانه للغات المختلفة وعلم التنجيم وأخذ المعرفة الطبية من الغرب. من خلال الانشغال بهذه المناصب الحكومية المختلفة،

1- Biran Michal, Along, op. cit., p. 255.
2- Baum and Winkler, op. cit., p. 86.
3- Biran Michal, Alonge, op. cit., p. 257.
4- Baum and Winkler, op. cit., p. 87.

استمر عيسى بترسيخ علاقة وثيقة مع قوبيلاي، كما اشتهر تأثيره الكبير عليه وبمشاركة المباشرة في سياسة البلاط والمؤامرات التي سادت محيط الخان وبشكل أكبر في عام 1276م[1].

نجا عيسى خلال عهد تيمور أولجايتو الذي خلف قوبيلاي من حكم الإعدام برفقة سبعة آخرين بتهمة سرقة الجواهر، بعد أن شفع له ولأصحابه الكاهن "تنيه" هذا وقد فشلت والدة الخان، "كوكجين خاتون" في التوسط لهم إلى ابنها للصفح عنهم[2].

القائد شيندو (Xindou):

ومن الشخصيات الاخرى التي شغلت منصبا مرموقاً في الدولة المغولية، "شيندو" أو "صاما" (Sama)، الذي ينحدر من خان باليق، وهو أحد القادة العسكريين النساطرة البارزين في الصين، زوجته "اليزابيث" التي تم العثور على قبرها كما سيتم توضيحه، شغل هذا الموظف ذو الأصل التركي أو المغولي مناصب عليا، ومنها توليه منصب "قائد منطقة" والتي قد تقع في الجنوب، خلال عهد الخاقان بويانتو (Buyantu Khan)، الذي تولى الحكم بين سنتي 1311و1320م [3].

لاشك أنّ بلاط الخانات قد احتضن العديد من المسيحيين حتّى وإن لم يتم التركيز على دورهم وحسب أحد الدراسات المحلية لمدينة "زينجاينج" التي تولى حكمها المار سرجيس الذي ذُكر سابقا توضح أنّه ينتمي إلى عائلة من الأطباء؛ فوالده ميلي (Mieli) وجدِّه شيبي (Chebi) زاولا هذه المهنة في البلاط منذ عهد جنكيز، بالإضافة إلى اشتهار العائلة بصنع "الشاربات" التي تعاقبوا على إعدادها من جيل إلى جيل، واستمرّ عمل العائلة حتى عهد قوبيلاي.[4].

---

[1]- Biran Michal, Along, op. cit., p. 255 ; تفاصيل حياكته للمؤامرات سيتم ذكرها في القسم الخاص بسياسة الحكام المغول الدينية، وعلاقات المسيحيين في البلاد مع غيرهم. (الفصل الثالث من البحث)

[2]– الهمذاني، تاريخ خلفاء جنكيز، المصدر السابق، ص.324.

[3]- Thomas Ertl, Repercussions From the East, a Comparison of The Catholic and Nestorian Presence in China, the journal of transcultural studies, 2015, vol .6, n. 2, p. 48.

[4]- Li Tang, Le Christianisme Syriaque dans la Chine des Mongols Yuan : diffusion, statut des chrétiens et déclin (xiii-xiv siècles), Borbone Pier Giorgio, Pierre Marsone, *Le christianisme syriaque en Asie centrale et en Chine*, études syriaques 12, Geuthner, Austriche, 2015, p.82.

IV. الآثار المادية الدالة على وجود المسيحيين خلال فترة يوان:

يبرز دور المصادر الأثرية في ظل نقص المصادر المكتوبة، والتي تساهم في كشف شيء من الغموض عن بعض الحقائق التاريخية، وخلال القرنين19 و20م تم اكتشاف العديد من الآثار المادية التي خلّفها سكان الشرق الأقصى، وقد مثّلت الصلبان أو القطع البرونزية أحد أهم هذه الاكتشافات، بالإضافة إلى المقابر والكنائس والألواح الحجرية.

1.الآثار على السواحل الصينية:

كانت أغلب الآثار التي تم العثور عليها، والدالة على وجود المسيحيين، عبارة عن مقابر وبعض المقتنيات ذات الاستخدام اليومي والمتعدد.

المقابر النسطورية:

بالموازاة مع مقابر المسلمين التي تم اكتشافها في مدينة يانغتشو على ساحل الصين الجنوبي، تم العثور على مقابر أخرى للمسيحيين على يد مزارعين في سنة 1981م؛ إذ وجدوا قبرا نسطوريا يبلغ قياسه ثلاثون على خمسة وعشرين سم يحمل صورة لصليب تحيط به صور الملائكة، ونقش به نص بالصينية وآخر بالخط التركي[1]، ومعلوم أن رمز الصليب المرسوم فوق زهرة اللوتس في الفن النسطوري ينتشر في جميع أنحاء آسيا، وعلى الرغم من الاختلاف الطفيف في تفاصيل النصوص إلّا أنّها تحتوي على نفس المعلومات الأساسية [2].

يعود الضريح إلى السيدة "اليزابيث" زوجة "شيندو" المذكور أعلاه، يتكوّن من شاهد قبر نصف دائري حيث يحيط زوج من الملائكة الطائرة بصليب فوق زهرة اللوتس. وبأسفل الجسم

---

[1]– النسخة التركية أطول قليلا– هنا يكملها النص الصيني جزئيا يقرا في الترجمة ما يلي "بسم الرب يسوع المسيح. في عام 1628 وفقا لإحصاء الإمبراطور ألكسندر، في عام الثعبان، في الشهر الثالث، في اليوم التاسع [20 ماي 1317]، زوجة شيندو (Xindu) من دايدو [بكين]، المرأة إليزابيث، في سن الثالثة والثلاثين اكتمل أمر الله واستقرّت جسدها في هذا القبر. قد تجد روحها المنزل والوجهة في الجنة برفقة النساء الطاهرات إلى الأبد سارة وريبيكا وراشيل. أتمنى أن يتم احتفالها إلى الأبد. آمين" للاطلاع على النص، انظر: Thomas Ertl, Repercussions From the East, op. cit., pp. 38-39

[2]- Ibid.

المستطيل تظهر عدة سطور عمودية من النقوش بثلاث لغات: الصينية والسريانية والأيغورية القديمة، تُقرأ من اليمين إلى اليسار. وهذه النقوش تخلّد ذكرى زوجة أحد أفراد عائلة السيمو (Semu) مجهول الهوية الدقيقة. يُعد النّقش الصيني ترجمة غير دقيقة للأفكار الأجنبية: فالأسطر المكتوبة باللغة الصينية تسجّل تاريخ موت هذه السيدة عام 1317م (بالتقويم الصيني)، عمرها وهويتها تدل على أنّها زوجة شيندو [1].

تستحضر النقوش السريانية والايغورية، إلى جانب توثيق نفس المعلومات، المزيد من الذكر عن العقيدة النسطورية. علاوة على ذلك، يتم حساب التاريخ في هذه النقوش الأجنبية بالاعتماد على التقويم التركي. ويوضح ظهور ثلاث لغات مختلفة ونظامين للتأريخ، التمازج الهائل لثقافات متعددة، بينما يشير عدم وجود رسالة دينية صريحة في النقش الصيني، إلى أنَّ هذا النصب الجنائزي النسطوري لا يهدف إلى الدفاع عن عقيدته لدى الصينيين المحليين [2].

توالت الحفريات التي كشفت عن وجود مخلّفات أثرية، لمزيج من الشعوب التي سكنت الصين، ومارست ثقافات وديانات مختلفة، ومن أهمها تلك التي تعود إلى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، وقد بيّنت الاكتشافات العديد من الآثار المختلفة، من بينها شواهد قبور مسيحية، تجاوز عددها الخمسين يُحتمل أنها تعود للنساطرة [3].

تم اكتشاف حوالي 23 بلاطة قبر من أصل مسيحي في مدينة "قوانزو"، تضمنت كتابات بلغات مختلفة؛ إذ أنّ تسع شواهد تحمل نقوشا سريانية، واثنين باللغة الصينية واللغة الثنائية، وأربعة بـ الفاقز با (Phags-Pa)، وواحدة بالأيغورية. تم اكتشاف أحدث شواهد القبور – واحدة مع نقش سرياني – أويغوري – بنفس المدينة في سنة 2002م، وعلى الرغم من أنّ العديد من هذه النقوش لازالت بحاجة إلى دراسة وتحليل وترجمة، إلّا أنّها تعطي صورة عن طبيعة المجتمعات

1- Mengtian Bai, Yangzhou Latin Tombstones : A Christian Mirror of Yuan China Society, Honors papers, Oberlin, U.S, 2018, pp.14-15.
2- Ibid.
3- Li Tang, Mongol Responses, op. cit., p. 11.

النسطورية في هذه المناطق. وتأتي أهميتها في أنَّها الدليل المتبقَّي على وجود النسطورية خلال عهد أسرة يوان [1].

تقدّم النقوش التركية السريانية في كل من منغوليا الداخلية وقوانزو دليلا على وجود نساطرة في الصين ناطقين باللغة التركية، تلقوا التعاليم المسيحية من الأويغور. وخلال حكم المغول تم ارسال رجال الدين الأونغوت (مثل صوما ومرقس) إلى أبرشيات مختلفة داخل الخاقانية. وهذا يشير بدوره إلى أصل نقوش قبر قوانزو المكتوبة بالتركية السريانية، التي يحتمل أنّها لرجال الدين النساطرة الأونغوت الناطقين بالتركية [2].

قبر ملك الأونغوت جورج:

اتّبع المغول في دفن الشخصيات الحاكمة، عادة صارمة تمثّلت في أن يبقى القبر ومكان الدفن مجهولا، وظلّ هذا العرف سائدا طيلة حكمهم، وبناءً على ذلك، أصبح من الصعب تتبّع آثار الشخصيات البارزة في دولتهم، لذا فإنّ اكتشاف علماء الآثار الصينين لأحد القبور في جويوان في مقاطعة خوبي، والذي يرجّح لي تانغ (Li Tang) –حسب المعطيات–، أنّه راجع إلى الملك "جورج" المذكور سابقا، ويعد هذا الاكتشاف إنجازا في غاية الأهمية [3].

بالرجوع إلى علماء الآثار الذين وجدوا القبر، كان من المقرّر البحث عن غرفة الملابس للإمبراطورة الأرملة "شياو" في منتجعها الصيفي بـ جويوان، وعلى الرغم من استمرار البحث للعديد من السنوات، لم يتم إيجاد أي أثر للغرفة، وبدلا من ذلك تم العثور على موقع يشبه مقبرة ملكية إلى جانب مقابر عائلية كبيرة، وبالتالي فإنّ المبنى المتواجد بالمنطقة، والذي انطلق منه الأثريون على أساس أنّه الغرفة المطلوبة، لم يكن إلّا مدخلا للقبر الجماعي [4].

1- Li Tang, Mongol Responses, op. cit., p. 11.
2- Ibid.
3- Idem., Redescovery, op. cit, p. 255-265.
4- Ibid., p 256.

تُبيّن المعطيات أنّ القبر يعود إلى أشخاص ذوي مكانة راقية، تم العثور على ثلاثة توابيت، وبغضّ النظر عن التخريب والسرقة اللّذين تعرض لهما المكان، كان في مقدور علماء التنقيب اكتشاف المزيد من الأدلة؛ إذ أنّ تجويف التابوت واستخدام القسم الآخر منه كغطاء – وهو العرف السائد في الدفن المغولي– لم يدع مجالا للشك أنّ صاحب القبر شخصية مرموقة، كما تم العثور على العديد من القطع الأثرية منها "سروج وأحذية" [1].

يُؤكد تحليل الهياكل المتبقية، أنّ صاحب التابوت الأوسط، رجل يبلغ من العمر حوالي أربعين عاما، في حين يعود التابوتان الجانبيان لامرأتين، على اليمين شابة تبلغ من العمر عشرين عاما خلال موتها، أمّا على اليسار فامرأة عجوز تبلغ ستين عاما، موجود تحت قبرها عملات معدنية، تعود إلى عهد سلالتي "الجورشن" و"سونغ" [2].

بالرجوع إلى صاحب التابوت الأوسط، فقد كان يرتدي زيا مغوليا بني اللون، وابزيما ذهبيا مزينا بماسة على هيئة تنينين يلعبان باللؤلؤ، يوحي شكل التنين بالإضافة إلى آثار القبور الأخرى إلى أنه إما لملك أو ضابط عسكري ينتمي إلى الطبقة المالكة [3].

في المنطقة ذاتها وبالقرب من المقبرة، تم العثور على ثلاثة شواهد لقبور مكسورة، تم نقش بعض الكتابات الموجودة عليها بكل من اللغة الصينية والمغولية، تتضمن إحداها نقشا من ثلاثة أسطر بأحرف صينية حسب ما تم فهمها كما يلي: السطر الأول "Assist Kuolijisi"، أمّا السطر الثاني "كتب المرسوم" أمّا الأخير "أنا (الوزير) بتصرف" [4].

1- Li Tang, Redescovery, op. cit., p. 257.
2- Ibid., p. 255-265.
3- Ibid., p. 258.
4- Ibid.

بناءً على ترجمة محتوى النّقش، والذي من شأنه التعريف بصاحب القبر، يقول لي تانغ: "أولا، يشير ضمنا إلى أنّ نقش القبر هذا تم تشييده بمرسوم إمبراطوري مما يعني أنّ المدفون صاحب مكانة كبيرة، ثانيا، يمكن أن يكون اسم Kuolijis (Giwargis) اسم الشخص المدفون"[1].

يضيف صاحب الدراسة دليلا آخر، يتمثل في صليب نسطوري، عَثر عليه أحد المشاركين في التنقيب، ومع أنّ الصليب تعرّض لتلف بالغ إلّا أنّ شكل زهرةٍ بالمنتصف، وهو ما كان شائعا بين شواهد قبور الأونغوت بمنطقة منغوليا الداخلية، يقود إلى الاستنتاج أنّ بقايا الميت تدلّ على أنّه شخصية حاكمة مغولية ومسيحية في الوقت ذاته[2].

وفقا لمعطيات اسم الشخص وعمره خلال موته ووضعه الاجتماعي، ومن خلال اسقاطها على ما ورد في المصادر التاريخية، ومنها اليان شيه (Yuanshih) التي ورد بها ثلاث شخصيات بنفس الاسم، فإنّ واحدا من أصل ثلاثة تنطبق عليه هذه المواصفات، ومحتمل أن يكون هو نفسه الملك جورج حفيد قوبيلاي[3].

على الرغم من أنّ "لي تانغ" لا يجزم أنّ القبر يعود إلى ملك الأونغوت جورج، الذي سبق الحديث عنه، لأنّ طريقة الدفن مخالفة للعرف السائد عند المغول والذي تم الإعلان عنه في هذه الحالة، إلّا أنّه أغفل أمراً مهماً، والمتمثل في وجود القطع النقدية التي تعود إلى حقبة سابقة لليوان، والذي من شأنه أن يغير نتائج الدراسة.

1- Li Tang, Redescovery, op. cit., p. 257
2- Ibid.
3- Ibid., p. 260.

2.الآثار المكتشفة في منغوليا الداخلية:

الصلبان النسطورية:

دفع اكتشاف القس سكوت (Scott) لمجموعة من القطع البرونزية التي أدرجت ضمن آثار النساطرة بمنغوليا الداخلية في "باو تو" (Pao-t'ou) أو (Baotou) في محل للتحف الصينية، مفوّض البريد البريطاني نيكسون (Nixon) إلى جمع حوالي ألف قطعة تبرّع بها لاحقا إلى متحف جامعة هونغ كونغ، وهي أشكال هندسية بقوالب مختلفة أغلبها على هيئة تقاطعات أو طيور أو أختام، يبلغ ارتفاعها ما بين ثلاثة إلى ثمانية سنتيمترات [1].

طريقة صنع القطع وزخارفها، لم تدع مجالا للشك لدى دارسيها، في أنّ الغرض الأساس لاستعمالها، إمّا بمثابة أختام شخصية، أو ميداليات يتم ربطها بحزام أو ملابس، خصوصا بالنسبة للنساء المغوليات، كما تؤكّد رواسب الحبر الأحمر في الأجزاء السفلية منها، إلى استخدامها على هيئة أختام، وعلى الرغم من التشابه الكبير بينها في الشكل والحجم، إلّا أنّ كل قطعة منفردة عن الأخرى، ولعلّ ذلك تم عمدا ربما لأسباب أمنية، مما يشير إلى احتمالية تمثيل كل تصميم لمالك فردي [2].

بعد مجهودات مكثفة قام مانزيس (Menzies) بتصنيف القطع البالغ عددها 979 قطعة إلى أربع مجموعات رئيسية: صلبان بأذرع متطابقة ونهايات مسطحة، وصلبان بأذرع على شكل ورقة ونهايات مستديرة، وصلبان على شكل طيور، وصلبان هندسية معتمدا في ذلك تصنيفا كلاسيكيا، تشترك بعض المجموعات المماثلة الأخرى من هذا النوع، مثل مجموعة مارك براون، ومجموعة المتحف البريطاني، ومجموعة جامعة كولومبيا، ومجموعة متحف تورونتو الملكي في أونتاريو،

1- F.S. Drake, Nestorian Crosses and Nestorian Christians in China under the Mongols, Journal of the Hong Kong Branch of the Royal Asiatic Society, 1961, p.11 ; Florian Knothe, Chinese Bronze Brosses, a Jingjiao Phenomenon of the Middle Ages, Orientations, vol. 46, 2015, p. 60 .
2- Florian Knothe, Ibid., p.60.

مع خصائص مجموعة نيكسون؛ إذ تمثل جميعها فئات حسب تصنيف مانزيس، على الرغم من وجود قطع إضافية مغايرة في المجموعات المذكورة[1].

بناءً على تحديد "سكوت" لماهية القطع على أنّها صلبان نسطورية، تبعه في ذلك "نيكسون" والعديد من العلماء، وتم ربطها في معظم الأحيان بالفترة المغولية بالصين، وانقسم هؤلاء إلى فئتين بين مؤيد له في إضفاء الطابع المسيحي عليها، وبين مشكك في صحة هذا الادعاء، وقد استعرضت وناقشت الباحثة "جيان أندريا" (Jian Andrea) في مقالة لها، أبرز الآراء والحجج المتعلقة بكل فريق [2].

طبيعة القطع ومكان العثور عليها جعل مؤيدي سكوت متأكدون من أنّها قد تكون صلبانا نسطورية أو حتى مجرد صلبان، ومن أبرز العلماء الذين اتّبعوا نهجه في إضفاء الصبغة المسيحية عليها، أستاذ اللغة الصينية بجامعة هونغ كونغ، دريك (Drake) في محاولة منه لإثبات صحة النظرية التي أيدها، حيث يرى أنّ روايات الأوروبيين الذين زاروا أرض الخان في تلك الفترة، "ماركو بولو" و"كورفينو" و"أودوريك" والذين ذكروا جميعا الملك جورج حاكم الأونغوت وقبيلته المسيحية، خير دليل على صحة أتباع هذا الرأي، كما يعتقد أن نصب شيان (Xian) السالف الذكر، يُعَد المرجع الرئيسي في دراسة آثار النساطرة بالمنطقة، ليتوصل إلى أن نقش الصليب اليوناني فوق العنوان مشابه في الشكل للصلبان البرونزية [3].

استند العلماء في تبنيهم لفكرة الصلبان النسطورية من خلال الرجوع إلى شكل الصليب والطائر اللّذين يمثلان أحد رموز المسيحية، بالإضافة إلى أنّ المنطقة التي تم العثور فيها على الصلبان كانت مقرا للعديد من المجتمعات المسيحية.

1- Chen Jian Andrea, op. cit., pp. 5-6.
2- Ibid., p. 6.
3- Drake, op. cit., pp. 20-22.

يستنتج "بول بليوت" (Paull Peliot) المؤيد للفكرة المسيحية، أنّ شكل الطائر الذي يرمز إلى الروح القدس في العقيدة المسيحية، يجعل الأمر مشابها للصور الدينية للكنيسة الغربية. وإذا تم عزو القطع إلى الفترة المغولية التي شهدت تعايشا رائعا لمختلف الثقافات والمعتقدات، فذلك يكون قد أثَّر على التصوير الديني [1].

يَتّخِذ "لويس هامبيس" (Louis Hambis) موقفا مغايرا، معتبرا أنّ القطع البرونزية تعكس إلى حد بعيد لفن السهوب، مدعّما فرضيته بالعديد من المقالات التي تناول من خلالها الموضوع، مدرجا فيها ملاحظاته حول القطع وتصنيفها مقترحا تصنيفا آخر، بالإضافة إلى دراسة أشكالها، والتي يُعد الطائر والصليب أبرزها [2].

يُشَكّك "رفاييل بيسيون" (Raffaele Biscione) هو الآخر في الطبيعة النسطورية، مقارنا بعضاً من هذه القطع بنظيراتها الأثرية، المسماة "أختام باكتريا" (Baktria) الموجودة في أفغانستان، ويَلفت النظر خلال دراسته إلى أوجه الشبه بين المجموعتين، مُسلِّطاً الضوء على العلاقات التاريخية الثقافية بين الصين وآسيا الوسطى، التي تُظهر الأدلة التاريخية، أنّ الطريق التجاري بين المنطقتين، كان مزدهرا بالفعل خلال الألفية الثانية قبل الميلاد [3].

يذهب كل من إيان جيلمان (Ian Gillman) وهانز كلميكت (Hans Klimkeit) إلى فكرة مشابهة مفادها أنّ هذه الأختام مجرد تعويذات استخدمتها القبائل المغولية، فرضية جيلمان وهانز معقولة إلى حد ما بالعودة إلى عادات وطقوس تلك القبائل التي كان أغلبها وثنيا [4].

1- Chen Andrea, op. cit., p.8.
2-Louis Hambis, Les Mythe De L'Aigle Et Ses Représentations Artistiques En Eurasie Septentrionale, Arts Asiatiques, vol. 6, n. 1, pp.4-12; Idem., A propos Des Sceaux-Amulettes "Nestoriens", Arts Asiatiques, 1956, vol., n.4, p .279.
3- Chen Jian Andrea, op. cit., p. 7.
4- Ibid., p. 8.

في الدراسة التي أجراها الباحث "هالبرتسما" للآثار المغولية، والتي استغرقت مدة طويلة كما سبق ذكره، يوضِّح فكرة "الاستيلاء المسيحي" مشيرا إلى ضرورة التحلي بالصرامة والبعد عن العاطفة التنصيرية في مثل هذه الدراسات؛ إذ لا يمكن الجزم بأنّها مسيحية في ظل غياب أي سجّل مكتوب بشأنها [1].

بالعودة إلى مؤيدي نظرية الصلبان النسطورية، أمثال "نيكسون"، و"بروان"، وهم في الغالب من المبعوثين المسيحيين، أي أنّهم جميعا يعبّرون عن خلفية مسيحية، ممّا يجعل تبني الهوية النسطورية للقطع أمرا ذاتيا، وما يزيد الأمر تعقيدا، إلصاق الطابع الديني بجميع القطع دون استثناء، فحتّى وإن كانت بعض القطع تشير إلى الصليب أو الروح القدس-حسب الادعاء-، لا يصح تعميم ذلك على الكل [2].

وتجدر الإشارة إلى أنّه وبغضّ النظر عن صحة الادعاء أو عدمه، فإنّ بعض القطع تم تقليدها بغرض المتاجرة، وحتّى "نيكسون" و"براون" أخذا فكرة انتساب القطع إلى الفترة المغولية من التجّار أنفسهم، وفكرة الصلبان من الدراسات النسطورية [3].

بالنظر إلى أراء ودليل كل فريق، يبدو من الصعب تحديد الأرجح بينها، وإنْ كُنت أميل إلى القول: أنّ أشكال القطع تعكس تمازجا ثقافيا بين مختلف الديانات السماوية والوثنية في الصين، والتي ترجع بالدرجة الأولى، إلى سياسة الدول والحكام الذين تعاقبوا على المنطقة.

[1]- راجع الفصل التاسع من كتاب هالبرتسما حول الآثار النسطورية بمنغوليا. Halbertsma, op. cit., pp.165-173.

[2]- Chen Jian Andrea, op. cit., p. 10.

[3]- Ibid.

شواهد القبور:

على الرغم من انتهاء العصر الذهبي للتنقيب عن الآثار الأجنبية في الصين سنة 1920م إلا أنّ ذلك لم يحل دون اكتشاف العلماء للعديد من المواقع النسطورية والبقايا الأثرية في منغوليا الداخلية[1].

ينبغي التنويه إلى ظروف وأوضاع الأبحاث-الأثرية خصوصا- في تلك الفترة؛ إذ ظلّ ثقل البقايا النسطورية الشديد بما في ذلك شواهد القبور والنصب الحجرية، عائقا أمام الباحثين وأدّى إلى صعوبة أخذها أو حتّى حملها لدراستها. فما كان منهم إلّا أن قاموا بتدوين ما شاهدوه ووجدوه، أو حتّى إخفاء كل ذلك قبل مغادرتهم. ومع كل هذا، تعقَّدت الأمور أكثر بعد سنة 1949م عندما تم حظر المنطقة على الأجانب، وأصبح البحث الميداني وخاصة التنقيب حصريا على علماء الآثار الصينيين الذين بدأوا في القيام بـ "حفريات إنقاذ" قبل أن يتم تدمير المواقع بالكامل على يد اللصوص[2].

تعد التقارير والرسومات والصور الفوتوغرافية بمثابة المصدر الرئيسي لغالبية العلماء الباحثين عن الوجود النسطوري في منغوليا الداخلية. وتزداد قيمة هذا البحث المبكر لأنّ معظم المواقع المسيحية في منغوليا الداخلية قد تعرّضت للنهب ولم تعد العديد من الأشياء في مكانها. علاوة على ذلك، يقدم العمل الميداني والبحث المبكر الإشارات الأولى إلى أنّ بقايا الكنيسة الشرقية في منغوليا الداخلية قد تم الاستيلاء عليها واستخدامها بسرعة وبطرق جديدة [3].

1- Halbertsma, op. cit., p.71.
2- Ibid.
3- Ibid.

VII. زوال النسطورية من الصين وآسيا الوسطى:

تَرتّب عن سقوط سلالة يوان المغولية، تراجع وانخفاض نسبة المجتمعات المسيحية بالصين، والتي زالت مع مرور الوقت، ويرجع ذلك إلى العديد من الأسباب، والتي من بينها، فقدانهم للحرية التي تمتّعوا بها في ظل الحكام السابقين؛ إذ أدّى احتلال جيوش "هونغ وو" لخان باليق سنة 1368م، إلى فرار المغول من الأراضي الصينية، وأعقبه طرد المسؤولين الأجانب والمرتزقة والتجار وحتّى الرهبان، هذا وكان أغلب المسيحيين من الأجانب، وعليه فقد شكّل هذا الحدث إيذانا بنهاية النسطورية وأتباعها في المنطقة [1].

ويَعتقد "فان ميكلين" (Fan Miklin) أنَّ حُكام "مينغ" الذين تولوا الحكم بعد "يوان" ربطوا المسيحية ومعتنقيها بالغزو الأجنبي للصين، على الرغم من استخدامهم للغة الصينية، كما أنّ زوال بطريركية خان باليق في القرن السادس عشر أدّى إلى انخراط المغول في السهوب الشرقية في "عملية تحول من شأنها أن تفضي إلى تأسيس البوذية باعتبارها العقيدة الأصلية السائدة [2].

ربما ساهم مرض الطاعون في هذا الانخفاض وانحسار المسيحية، فحسب النّقوش المنحوتة على عدد من شواهد القبور المسيحية، عثر عليها في مقبرة (Semericye) أي "قيرغيزستان" حاليا، المؤرخة في حوالي سنة 1339م، تُوضح أنّ سبب موت أصحابها، هو مرض الطاعون (الموت الأسود)، الذي انتشر في تلك الفترة وأودى بحياة الكثيرين [3].

وهناك من يُرجع سبب تقهقر هذه الديانة بشكل رئيسي إلى تعصّب المسلمين، وهو ما حدث في ايلخانية فارس، التي انفصلت عن الإمبراطورية سنة 1295م، فبعد أن تحوّل خاناتها إلى الإسلام، اضطرّ الجاثليق "ياهبلاها الثالث"، إلى نقل كرسيه من بغداد إلى أربيل، إثر الاضطهادات التي شهدها المسيحيون في تلك الفترة [4]، والأمر ذاته حدث مع صعود الدولة

1- Ian Gillman, op. cit., p. 286.
2- Halbertsma, op. cit., pp. 69-70.
3- Ibid., p. 67.
4- Ibid., pp. 69-70.

التيمورية بقيادة "تيمور لنك"، والذي أدّى إلى "خلق وضع سياسي" حال دون تعايش المسيحيين معه [1].

ولعلّ السبب الرئيسي، الذي عجّل بزوال المسيحيّة، وبالأخص النسطورية، على عكس الديانات الأخرى، فَشلُ الكنيسة الشرقية في ضم المزيد من الأتباع إليها، وظلَّت النسطورية، ديانة الرعايا لصينيين، من غير الهان؛ إذ تم العثور على النقوش الصينية النادرة للنساطرة، مع نسخ أجنبية تحتوي على أسماء غير صينية [2].

أدّت سياسة السلالة الحاكمة الجديدة المتمثلة في غلق الطرق التجارية، والتي وصلت عن طريقها النسطورية إلى المنطقة إلى تراجع التواجد المسيحي واختفائه، وبحلول القرن السادس عشر عند قدوم اليسوعيين إلى آسيا ولم يجدوا إلا ذكرى لها [3].

خلاصة القول، أنّ النساطرة في الصين خلال فترة حكم سلالة يوان المغولية، نالوا حظوة كبيرة مقارنة مع سلالة "تانغ" التي سبقتها، هذا على الرغم من أنّ هذه الأخيرة، غيَّرت موقفها تجاههم وهي على مشارف السقوط، وقد أثبتت الآثار التي عثر عليها العلماء في القرن العشرين، عن حقيقة انتشار المسيحيين بكثرة في الصين ومنغوليا الداخلية خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين.

1- Ian, op. cit., p. 208.
2- Halbertsma, op. cit., p. 68.
3- Ibid., p. 69.

الفصل الثاني

ارساليات البابوية إلى المغول

الفصل الثاني: إرساليات البابوية إلى المغول

I. االتنظيمات الدينية والبعثات التّنصيريّة إلى المغول

II. البعثات البابوية إلى الصين خلال الفترة المغولية (1279-1368م)

III. الكنيسة الكاثوليكية في الصين عقب موت مونتي كورفينو 1330م

V.أسباب فشل البعثات اللاتينية

الفصل الثاني: إرساليات البابوية إلى المغول

أدّت هزيمة الصليبيين على يد المسلمين خلال القرن الثاني عشر للميلاد، إلى تشجيع البابوية على السعي إلى كسب القوة الجديدة حليفا لها عن طريق إرسال العديد من البعثات إلى آسيا والمغول بصفة خاصة، ممثّلة في أعضاء ينتمون إلى هيئات دينية، ومن أبرزها إرسالية "يوحنا كاربيني" و"وليام روبروك" في الفترة الأولى من تاريخ الإمبراطورية المغولية، وإرساليات أخرى مثل التي تزعّمها "يوحنا مونتي كورفينو"، عندما هدأ خطرهم ونقل الحكام البدويون مقر حكمهم إلى الصين، ولا شك أنّ مثل هذا التحرك يدل على إرادة البابوية وحرصها على استغلال التطورات المتسارعة التي تعيشها آسيا. لكن هل سيحقّق هؤلاء المبعوثون الغاية المرجوة من مهامهم؟

I. التنظيمات الدينية والإرساليات التنصيرية :

1. التنظيمات الدينية:

سعت البابوية خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين على نشر المسيحية في كامل أنحاء أوروبا وآسيا وتحديدا بين المغول، وقد شجّعت رواية الأسقف الروسي "بيتر" التي يذكر من خلالها احترام الغزاة الجدد وهم المغول للسفراء، البابا اينوسنت الرابع (Innocent IV)[1] على إرسال مبعوثين إليهم قصد ربط علاقة معهم تدعم الكنيسة تساعده على نيل مآربها في آسيا، وفي هذا المسعى اعتمد البابا على عناصر من الرهبان الفرنسيسكان والدومنيكان، الذين أبدوا حماسا كبيرا في نشر المذهب الكاثوليكي عبر مختلف مناطق العالم[2].

---

[1]- اسمه "سينيبالدو فييشي" (Sinibaldo Fieschi) ، تولى منصب البابوية من سنة 1243م إلى موته سنة 1254م، ينتسب إلى احدى عائلات جنوة، تولى منصب أسقف ألبينجا ونائب رئيس الكنيسة الرومانية. للمزيد انظر:

Artaud De Montor, The Livers and Times of the Pôpes, the Catholic Publication Society of America, vol. 3, New York, 1911, pp. 149-150.

[2]- عادل هلال، المرجع السابق، ص .59.

وكخطوة في سبيل تحقيق هذه الغاية، بادر البابا "اينوسنت الرابع" سنة 1252م بتأسيس تنظيم أسماه "جمعية الرهبان المسافرين من أجل يسوع" للدلالة على الوجهة والهدف، وبغض النظر عن طبيعة مساعيهم وأعمالهم، وجب عليهم التحلي بالجرأة والشجاعة للوصول إلى مبتغاهم ونشر المسيحية، ضمَّت هذه الهيئة الكاثوليكية رؤساء وأساقفة يتبعون البابا مباشرة، وقد تَوزَّع الأفراد المنتمون إليها على البلدان الإسلامية والوثنية لنشر الديانة الكاثوليكية في ربوعها، ومن بين النتائج التي ترتبت عن مجهوداتهم، أن دوَّن القديس "توما الأكويني" مؤلفاً ضخماً[1]، يشرح فيه المبادئ المسيحية، يحتوي على الأدلة والبراهين، وإجابات على الخصوم [2].

تزعّم تنظيما الفرنسيسكان[3]والدومنيكان[4]تلك البعثات إلى الشرق، لنشر المسيحية في مختلف بقاعه، ومن بين المناطق التي ذهب اليها هؤلاء كما سيتم توضيحه الشرق الأقصى، الذي

---

[1]– عنوان هذا المؤلف الضخم "الخلاصة اللاهوتية"، وهو كتاب فلسفي لاهوتي، ومن الموضوعات التي تطرق إليها الكاتب تلك المتعلقة بالله والكتاب المقدس والتعليم، نقله من اللاتينية إلى العربية في خمس مجلدات الخوري بولس عواد. للمزيد من التفاصيل ارجع إلى: توما الأكويني، الخلاصة اللاهوتية، تر.: الخوري بولس عواد، م.1، المطبعة الأدبية، بيروت، لبنان، 1881م.

[2]- M. l'abbe Huc, Christianty in China, Tartary, and Thibet, vol.1, London, 1857, pp. 243-244.

[3]– يطلق على هيئة الفرنسيسكان، أيضا اسم "الاخوة الأصاغر" (Friars Minor) أو (Minorites)، وفي إنجلترا تم تسميتهم بالرهبان الرماديين نسبة إلى لون ثيابهم، وهي رهبنة دينية أسسها القديس "فرنسيس الأسيزي" الايطالي، بعد أن ترك العيش مع والديه سنة 1206م، متبعا حياة الزهد والتقشف، انضم إليه العديد من الأتباع شرط أن يتخلوا عن جميع ممتلكاتهم، وتمكن برفقة أتباعه الاثني عشر شخصا الذين صحبهم معه إلى روما من الحصول على الموافقة الشفهية للبابا إينوسنت الثالث على تأسيس هيئتهم، وانتخبوا فرنسيس رئيسا عليهم، متخذين من دير البنديكتيين على كنيسة صغيرة بمنطقة أسيزي بايطاليا، مقرا لهم، ومع ذلك لم يكن لهم مساكن ثابتة حتى إنهم جابوا مختلف مناطق البلاد بثياب الفلاحين، وعملوا للحصول على كسب معيشتهم دون اللجوء إلى أحد، مقتدين بتعاليم وحياة السيد المسيح عليه السلام، وهو أهم شرط في الرهبنة؛ إذ وجب على أتباعها التخلي عن كل شيء باستثناء القوت اليومي. للمزيد من التفصيل عن فرنسيس وهيئته انظر:

Britannica, The Encyclopedia Britannica, vol.11, Cambridge, New York, 1911, 11 ed., p. 1.

[4]– عرفت هيئة الدومنيكان وأتباعها أيضا باسم "الرهبان الوعاظ" (Friars Preachers)، وفي إنجلترا باسم الرهبان السود (Black Friars)، نسبة إلى الوشاح الأسود الذي ارتداه أتباعهم فوق ثيابهم البيضاء، تأسست هذه الرهبنة على يد القديس دومينيك القشتالي، كان منزلهم الأول في تولوز بفرنسا، سعى مؤسسها من خلال ذهابه إلى روما، إلى الحصول على إذن

كانت أطرافا منه خاضعة للحكم المغولي، وقد برز نشاط الهيئات الدينية خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، وكانت أول إرسالية تنصيرية للرهبان الفرنسيسكان في اتجاه الشرق وقعت بطلب من البابا "جريجوري التاسع" (Gregory IX) في سنة 1233م، بعد وضعه لمجموعة من القواعد التي تحدّد كيفية العمل التنصيري، وتسهيل مهمة المنصّرين[1].

وفي الحقيقة فقد حرص ممثلو التنظيمات الدينية على نشر المسيحية أكثر من البابوية نفسها، فالهيئة الدومنيكانية تعدّ أول منظمة كاثوليكية أخذت على عاتقها مهمة التنصير بعد أن كان حكرا على الأساقفة وممثليهم.

ومع أنّ الرسائل البابوية إلى الرهبان الأعضاء، تعكس مسؤولية البابوية وحدها في تحديد طرق نشر المسيحية، لكن الحقيقة أنّ هذه الأخيرة تركت الأمر للمنصّرين حسب رغبتهم وقدرتهم وظروفهم، وحسب البروفيسور "ريان" (Ryan) فإن"الدور البابوي اقتصر على منح الامتيازات لهؤلاء الرهبان، وإنشاء مراكز جديدة"، والواقع أنّ هذه البعثات التنصيرية نفسها اعتمدت في غالب الأحيان على مبادرات ارتجالية [2].

بتشكيلها من الدعاة الذين تجاوز نشاطهم حدود فرنسا، إلى العالم كله، غير أنّ البابا اينوسنت الثالث فرض عليهم تبني القواعد الكنسية، وعلى أساسها تبنى دومينيك مبادئ القديس أوغسطين، وخلال ذهابه الثاني إلى روما سنة 1216م، حصل على إذن بتأسيس تنظيمه من البابا هونوريوس الثالث مع السماح له ولأتباعه بنشر المسيحية. وفي سنة 1218م، صدرت رسالة دورية إلى أساقفة الكنيسة الكاثوليكية توصيهم بالهيئة المأسسة حديثا، عقبها قرار آخر سنة 1221م، يقضي بالسماح للرهبان بقيادة كليات الوعظ والاستماع إلى الاعترافات، ليقوم دومنيك على إثرها بإرسال الرهبان إلى كل من فرنسا واسبانيا، وسرعان ما ازداد عدد الأتباع، وعموما فقد اقتصرت مدة من يتولى منصب السيد العام في البداية من ست إلى اثنتي عشر سنة لتصبح فيما بعد مدى الحياة، بالإضافة إلى سلطته المطلقة على الرهبنة بأكملها، متخذا من روما مقرا له. للمزيد انظر: E.B, Ibid, vol. 8, p. 402.

[1]- علي أحمد السيد، مشاهدات أودوريك دو بوردنون الفرنسيكاني في الصين (توفي 1331م-731هـ)، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1996م، ص ص.8-9.

[2]- Jackson, op. cit., p. 262.

ويأتي في هذا السياق، دور الراهب الفرنسيسكاني "ريموند لول" (Raimond Lul) [1] الذي ذاع صيته في العالمين المسيحي والإسلامي، حيث اشتهر بحرصه على تنصير جميع الأمم وفق المذهب الكاثوليكي، سواء كانوا مسلمين أو تتار أو حتى أتباع المذاهب المسيحية الأخرى، من خلال إيجاد نظام تنصيري محكم، وعشية انطلاقه في رحلته التنصيرية إلى العديد من بلدان العالم، زار البابا "سلستين الخامس" (Celestin v) في مقره بنابولي سنة 1294م، وعرض عليه برنامجه المفَصَّل طالبا منه تبنيه بمثابة سياسة تنصيرية جديدة تحت رعاية البابوية، مؤكدا له ضرورة إسراعه وتركيزه على نشر المسيحية بين المغول خشية أن يسبقهم المسلمون إلى ذلك، حتّى يكسب هؤلاء كحلفاء بعدما شكّلوا خطرا حقيقيا على أوروبا [2].

سعى ممثّلو هذه التنظيمات الدينية إلى تنظيم وتنسيق عملهم وفق ما تقتضيه شروط البابوية، والتّي وردت في الرسالة العامة لسيد الدومينيكان بيرينجيرد لاندور (Berengerde Landorre) سنة 1312م، والتي تنص ما يلي: "على الرهبان المكلّفين بمهمّات تنصيرية أن يكونوا متطوعين، ومؤهلين، بالإضافة إلى حَمْلهم شهادات تزكية من رؤساء أديرتهم السابقة، التي تشهد على صلاحهم وسمعتهم الطيبة" [3].

ووجب عليهم أيضا بناءً على التجارب التي خاضوها، تعلّم اللغات الشرقية، والتأكيد على أهميتها، وهذا حتى لا يتكرر التعثر الذي صدر من مترجم "وليام روبروك" غير الكفء الذي عجز عن شرح تعاليم العقيدة المسيحية الكاثوليكية، وفق ما تقتضيه الظروف، وأصرَّ كل من

---

[1]- ريموند لول، ولد في جزيرة ميورقة سنة 1235م، وكانت حياته في البداية مليئة بالفسوق والمجون، لكن رؤيته-حسب زعمه- للمسيح عليه السلام في المنام غيّر حياته من اللهو إلى التدين والسعي إلى تنصير العالم بعد أن انخرط في هيئة الفرنسيسكان، ويعد أشهر المنصّرين الكاثوليك إلى العالم الإسلامي خلال القرن 13م. أرسى قواعد ومناهج جديدة للتّنصير من خلال مئات الكتب التي ألّفها. انظر: علي الغامدي، **الراهب الفرنسيسكاني رايمون لول ومحاولاته نشر النصرانية في شمال افريقيا**، مجلة المؤرخ العربي، ع.6، م.1، القاهرة، 1998م، ص.144-147.

[2]- نفسه، ص.148.

[3]- Jean Richard, la Papauté et les Mission d'Orient au Moyen-Ages (XIII-XIVème siècle), publications de l'école français de Rome, 1977, v .33, n .1, p .126.

"ريكولدو" و"روجر بيكون" على ضرورة اتقان المنّصِر، للغة القوم الذين سينشر عقيدته بينهم، كما أوصى هذا الأخير، بضرورة تعلم كل من اللغة اليونانية والعبرية والعربية من أجل تحقيق النجاح [1].

2.الإرساليات البابوية إلى الخاقانية المغولية

نتج عن غزو المغول للدولة الخوارزمية، وما ألحقوه بها من دمار، ثم انسحابهم من قلب أوروبا سنة 1242م، خوف الحكام الأوروبيين الشديد والذي دفعهم إلى القيام بمراسلات مع رجال الدين لتجنب نفس مصير المسلمين، غير أنّ الصراع الذي كان بين البابا غريغوري التاسع والامبراطور الألماني فريديريك الثاني، أحبط كل المساعي وإمكانية التفاوض- حسب فهم الغرب اللاتيني- مع المغول، ولكن موت البابا في سنة 1241م وتولي "اينوسنت الرابع" لكرسي البابوية بعد شغوره لسنتين، جعل هذا الأخير يبدي اهتماما بالغا بالقضية المغولية حتّى أنّه حاول شن حملة صليبية ضدهم، لكن سرعان ما غيّر سياسته إلى محاولة تنصيريهم، بسبب المعلومات التي حصل عليها من طرف الأسقف الروسي، والتي تفيد بتشابه معتقدات التتار مع المسيحيين، لتبدأ رحلة السفارات التنصيريّة إلى مختلف المناطق الخاضعة لنفوذ المغول[2].

اقترنت مجهودات البابوية في تنصير المغول بمساعي الملك الفرنسي لويس التاسع الذي أبدى هو الآخر حماسا كبيرا في فعل الأمر ذاته وذلك بإرسال مبعوثه روبروك إليهم، وعلى الرغم من المجهود المبذول في هذه البعثات إلّا أنّها لم تحقّق الهدف المنشود منها كما سيتم ذكره، وقد اقتصرت على ذكر بعثتين من أصل العديد من البعثات، لإعطاء نظرة عامة عن طبيعتها خلال الفترة التي سبقت تأسيس السلالة المغولية بالصين.

---

[1]- Jean Richard, op. cit., p.127.

[2]- إبراهيم محمود، في تاريخ المغول وعلاقاتهم بأوروبا (حتى بدايات النصف الثاني من القرن 13م)، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2007م، ص.243.

بعثة يوحنا ديل كاربيني (John of Del Carpini) 1245–1247م:

تعد بعثة الراهب "يوحنا أوف ديل كاربيني" أول البعثات التي أرسلتها البابوية إلى حكام المغول، بغرض تحييد خطرهم، أرسله البابا اينوسنت الرابع في سنة 1245م رفقة الراهب "لورانس البرتغالي"، يحملان معهما مرسومين بهما ختمه إلى الخاقانية الناشئة، وتنبغي الإشارة إلى أنّ عمر كاربيني قد بلغ في هذا الوقت نحو الـ 65 عاما، وعلى الرغم من جهله باللغات الشرقية إلّا أنّه في المقابل كان ملمّا بتعاليم عقيدته[1].

يحاول المؤرخ داوسون إضفاء هالة من الوقار على بعثة كاربيني وإظهار مدى حساسيتها بقوله: "كان على الشيخ المسن أن يتوقّع أسره أو موته في أي لحظة على يد المغول، ولم تخف عنه التجارب المريرة التي عاشها حسب ما ذكره بنفسه، وبعد اللقاء الذي جمع فريقه مع الأمير "سرتاق"، الذي أرسلهم إلى والده "باتو"، وهذا الأخير بعثهم إلى غيوك خان، وصادف أن تزامن وصولهم إليه مع تنظيم مراسيم تنصيبه خانا، وقد حضر هذه المناسبة التاريخية القادة المغول وممثّلو الشعوب الخاضعين للإمبراطورية الناشئة من روسيا وجورجيا إلى منشوريا والصين، هذه الأجواء الاحتفالية وطريقة الاستقبال زرعت الشك في نفوس الرهبان، فزاد ذلك من اصرارهم على رفض اصطحاب مبعوثين مغوليين معهم، مما أثار غضب الخان الجديد فأمر بطردهم مع تسليمهم رسالة شديدة اللهجة للبابا" [2].

ويبدو جليا أن قَصْد البابوية من إرسال كاربيني –الذي اضطر إلى ركوب الحمار خلال رحلته بسبب بدانته– إلى الشرق الأقصى، هو معرفة المزيد عن المغول، والبحث عن إمكانية كسب حليف جديد وقوي لمحاربة المسلمين[3]. وعلى الرغم من ترحيب كل من"باتو" و"غيوك"

1- Dawson, op. cit., p. xv-xviii.
2- Ibid.
3- Frances Wood, op. cit., p.117.

بالمسيحيين الذين قصدوا بلادهم، سواءً دبلوماسيين أو مُنصِّرين، ومع ذلك لم يبديا أية رغبة في تغيير معتقهما [1].

ويمكن تأكيد ذلك من خلال رد الخان على طلب البابا، ذلك أنّه لما لمس دعوته إلى اعتناق المسيحية، انتظر منه الخان إعلان الولاء له مع سائر أمراء الغرب. وفي نهاية سنة 1247م بعد هذه المحاولة الفاشلة عاد كاربيني إلى البابا يحمل معه رسالة تعجيزية من الخان "غيوك"، وبحوزته تقرير مفصل عن نمط وطبيعة حياة المغول وغزواتهم[2].

وإذا كانت مهمة كاربيني أخفقت في تحقيق أي اعتراف دبلوماسي من الخان، إلّا أنّه أوردفي تقريره الذي قدّمه للبابا معلومات هامة عن المغول، تتضمن وصفا دقيقا عن حياتهم ونُظُمهم الاجتماعية والعسكرية ومعتقداتهم الدينيّة، فضلا عن معلومات جغرافية وتاريخية مفيدة يجهلها الغرب الأوروبي[3]، وقد شَجَّع هذا، الملك "لويس التاسع" على إرسال مبعوثه "وليام روبروك" في سفارة أخرى إليهم [4].

بعثة وليام روبروك (Guillame of Rubruk) 1253م:

على الرغم من الفشل الذي منيت به رحلة كاربيني إلا أنّه لم يثن من عزيمة الملك لويس التاسع "Louis XI"[5] (1226-1270م) على إعادة محاولة ربط علاقة استراتيجية مع المغول

1- Michael Burgan, op. cit., p. 90.

2- الباز العريني، المرجع السابق، ص.190.

3- عادل هلال، المرجع السابق، ص..60.

4- Frances Wood, op. cit.., p. 117.

5- القديس لويس التاسع، (Saint Louis) ملك فرنسا، عرف بمجهوداته الكبيرة المبذولة في سبيل شن حملة صليبية على المسلمين، وقد سعى إلى ذلك بعدة طرق بدءا من الاستقرار بالإمارات الأربع التي أسسها الصليبيون والقيام بمراسلات عديدة مع المماليك في مصر والأيوبيين في دمشق والاسماعيلية في الشام؛ بل وسعى أيضا إلى إنشاء علاقات مع المغول في الشرق الأقصى في محاولة منه لتنصيرهم وكسبهم حليفا قويا ضد المسلمين، بعد أن أوهموه برغبتهم في مساعدته ما جعله يرسل الراهب وليام روبروك إليهم. انظر: جوزيف نسيم يوسف، العدوان الصليبي على بلاد الشام، هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدسة، ط.3، دار الكتب الجامعية، مصر، 1971م، ص.253.

وبدافع هذه الرغبة أرسل سفيرا آخر إلى المغول وهو من جماعة الفرنسيسكان يسمى الراهب "وليام روبروك"، حاملا معه هدية للخان "مونكو"، رافق "وليام روبروك" في رحلته إلى الشرق الراهب "بارثولوميو أوف كريمونا"، والكاتب "عبد الله" الذي كان مسؤولا عن حمل هدايا الملك إلى الخان، وقد وصف روبروك هذا الأخير بأنه مترجم غير كفء، وأثناء رحلته دوّن ما شاهده عن أحوال المغول بناءً على طلب الامبراطور. ولعلّ داوسون يبالغ حين يؤكّد اختلاف هذه المهمة عن سابقتها كونها حملت طابعا دينيا بحتا، خصوصا بعد إصرار أعضائها الكنسيين على أنّ هدفهم الوحيد هو نشر المسيحية، ومع ذلك فقد واجهوا نفس الصعوبات التي صادفت سلفهم كاربيني بدءا من مَشَاق السفر والوصول إلى بلاط الامبراطور، وتحمل غطرسة زعماء المغول، وعندما حط هذا الراهب الأوروبي الرحال في قوراقورم في سنة 1253م، لاحظ أنَّ للنساطرة كنيستهم الخاصة في العاصمة، كما لمس اختلاف النسطورية عن المذهب الكاثوليكي معتبرا إياهم المنشقين[1].

الواقع أن مصدر ارسال هذه البعثة غير معروف بالتأكيد، فهل هو الملك فرنسا نفسه الذي تواجد خلال انطلاقها في الأراضي المقدسة، أو الوزير الإقليمي، أو روبروك نفسه؟ ومن الممكن أنّ هذا الأخير أراد نشر المسيحية بين المغول والشعوب الخاضعة لهم، بعد أن منحه الملك لويس الأموال لتحقيق مهمته، ممّا ساعده على تقديم العديد من الهدايا إلى كبار الشخصيات المغولية، بالإضافة إلى كتاب "المزامير" أعطته إياه الملكة "مارجريت" تخلّى عنه في نهاية المطاف لصالح سرتاق. كما أرفقه الملك برسالة توصية إلى هذا الأخير، معربا عن أمله في بقاء الفرنسيسكان أحراراً في أرضه، وعن سروره بمعموديته[2].

وأثناء عودته في سنة 1255م، التقى بفريق من الدومنيكان، الذين انصرفوا إلى نشر المسيحية في منطقة "سارتاق بن باتو" حاملين معهم رسالة من البابا اينوسنت الرابع، والتي تشير إلى الأسرى المسيحيين عند المغول، لكن يبقى مصير ذلك الفريق وحتى "بارثولوميو" الذي رافق

1- Dawson, op. cit., p. xxii.
2- Richard, op. cit., pp. 78-79.

روبروك مجهولا. ومع ذلك، يمكن الاعتقاد بتواجد بعض الرهبان الفرنسيسكانيين بأراضي القبيلة الذهبية، ففي سنة 1278م أبلغ الوزير الإقليمي المجري البابا عن النشاط الواسع الذي حقّقه الرهبان. وحسب رسالة من أحد الفرنسيسكان، صرَّح فيها عن وجود أديرة لرهبنته بمدينة كافا في حوالي سنة 1287م، وسرعان ما لحقهم الدومنيكان بعدها بفترة وأسسوا مراكزاً لهم هناك في سنة 1298م، ومع ذلك يبقى احتمال وصول منصّرين لاتين إلى حضرة الخاقان المغولي بالشرق الأقصى بعد وليام روبروك ضعيفا جدا [1].

أدّت الترجمة غير الدقيقة من طرف المترجمين الأرمن للرسالة الموجهة لسرتاق إلى تغيير مسار مهمة روبروك، حيث تم تفسيرها على أنّها دعوة من الملك الفرنسي للتعاون العسكري مع الأمير في حربه ضد المسلمين، مما دفعه إلى إرساله إلى والده باتو الذي بعثه هو الآخر إلى بلاط مونكو خان. وكانت رسالة باتو غير واضحة تماما ولم يُعرف سبب إرسال الرهبان الأجانب إلى مونكو، لذلك تم إعطاء دعوة جديدة إلى ملك فرنسا ليمثل أمام المغول مؤديا فروض الطاعة والولاء، وإعادة إرسال مبعوثه إليه عبر مكتب البريد المغولي. ولعل هذا هو أحد الأسباب الرئيسيّة التي وقفت حائلا بين روبروك وبين إنجاز مهمته التنصيريّة التي كلّف بها، وبناءً على محادثاته مع كل من مونكو وسرتاق، استنتج استعداد حكّام المغول لاستقبال السفراء لكن ليس المنصِّرين[2].

يستبعد ريتشارد احتمال اعتبار مهمة روبروك على أنّها رحلة غايتها دراسة إمكانية نشر المسيحية بين المغول. ولعل الأرجح هو ميله إلى نشر عقيدته بينهم؛ إذ طلب من مونكو السماح له بالاستقرار معه لخدمة الله والصلاة من أجله، في حين أعرب لسرتاق عن رغبته في العودة إلى دولته، إلّا أنّ الظروف دفعته إلى تكريس نفسه للاتين الذين تم أخذهم إلى الإمبراطورية المغولية أو الذين التقى بهم في الطريق [3].

1- Jackson, op. cit., p. 257.
2- Richard, op. cit., pp. 79-80.
3- Ibid., p. 80.

انصبّ نشاط روبروك أثناء رحلته، حول المسيحيين المتواجدين بآسيا الوسطى، بعد أن لاحظ الممارسات الخاطئة للمسيحيّة وانتشار الجهل والمنكرات، حتّى بين رجال الدين أنفسهم، نتيجة قلة الإشراف الديني من جهة، وبُعد كنائس وسط وشرق آسيا عن مراكزهم الفكرية في بلاد ما بين النهرين من جهة أخرى. لكنه في المقابل اكتشف تواجد طوائف مسيحية على مستوى العديد من دول العالم، وكذا وجود المسيحيين حتى ضمن الأسرة الحاكمة، وتمسّك هؤلاء المسيحيين على الرغم من جهلهم بطقوسهم السريانية [1].

يعد السفير روبروك أحد المنصّرين القلة جدا في العصور الوسطى، والذين تركوا بصماتهم على مأموريتهم الشخصية؛ إذ أبلغ عن مناقشته للموضوعات الدينية في بلاط الخان، ولعلّ أبرزها المناظرة التي جرت بين ممثلين عن مختلف الطوائف بناءً على طلب من مونكو خان، حيث دارت بين ثلاثة قضاة بوذي ومسيحي ومسلم، وكان شرطها الأساس "عدم السماح لأحد منهم باستخدام كلمات جدلية تثير مشاعر التعصب" [2].

وعلى الرغم من محاولات أوروبا لتنصير المغول، إلّا أنّها تراجعت خلال السنوات التي أعقبت سفارة وليام روبروك أي ما بين سنة 1256م وسنة 1264م، ليتم استئناف المخطط عند عودة التهديد التتري لأوروبا المسيحية خلال تولي البابا "أوربان الرابع" (Urbain IV) كرسي البابوية بين سنتي (1261-1264م) [3].

ومع أنّ هذه البعثات لم تحقّق الغاية المرجوة منها سواء على الصعيد الدبلوماسي أو الديني، إلّا أنّها وضعت اللبنات الأولى التي سترتكز عليها البابوية فيما بعد في إعادة إرسال منصّرين جدد على أساس تخطيط أفضل نسبيا مما سبق، بالإضافة إلى أنّ الإمبراطورية المغولية نفسها تغيّر تشكيلها بعد انقسامها بين ورثة جنكيز خان، وانشطارها إلى كيانات مختلفة.

1- Richard, op. cit., p. 82.

2- ايمي شوا، المرجع السابق، ص 176.

3- Richard, op. cit., p. 83.

II. البعثات البابوية إلى الصين خلال الحكم المغولي (1279–1368م):

أدّت ردود شديدة اللهجة للخانات على سفراء أوروبا إليهم، إلى فتور عزيمة البابوية وتوقف هذه الارساليات فترة من الزمن، غير أنّها سرعان ما عاودت اهتمامها، ومن ذلك خلال سنتي 1276-1277م. وفي إطار حركة تبادل السفارات بين أوروبا والمغول بغية التحالف ضد المسلمين، وصلت سفارة من الايلخان آباقا إلى أوروبا بقيادة الأخوين يوحنا (John) وجيمس (James)، اللذين اختلف المؤرخون حول أصولهما وليس معروفا بالضبط هل هما جورجيان أم يونانيان، إلا أنّ اللافت في هذه السفارة، هو عند مغادرتها لأوروبا للعودة إلى الايلخانية في سنة 1277م، الشائعات التي نقلاها للبابا "يوحنا الثاني والعشرون" خلال استقباله لهما [1].

وبناءً على تقرير مبعوثي الايلخان الذي يقر بأن الخاقان قوبيلاي يدين بالمسيحية، قرَّر البابا إيفاد مجموعة من المنصرين معهم إلى بلاد المغول، لكن بسبب موته تأخر تنفيذ هذه المبادرة، ثم لم يلبث أن أحياها خليفته "نيقولا الثالث" الذي اختار لهذا الغرض خمسة من الرهبان الفرنسيسكان هم جيرارد دي براتو (Gerard de Prato) وأنتوني بارما (Antony of Parma) ويوحنا القديس آغاثا (John of St. Agatha) وأندريه الفلورنسي (André of Florence) وماثيو أوف أريتسو (Matthew of Arezzo)، وحملهم رسائل إلى كل من آباقا وقوبيلاي [2].

وقد منح البابا هؤلاء المبعوثين امتيازات استثنائية، مما يكشف عن الوزن الثقيل الذي تحظى به هذه السفارة وكذا حساسية المهمة المنوطة بأعضائها، حيث تضمّنت الرسالة التي حملوها إلى الخاقان الصيني شرحا للعقيدة المسيحية وتهنئته بمعموديته. كما وجب عليهم بناء على طبيعة عملهم، دعوة الايلخان الفارسي هو الآخر إلى تغيير معتقده إلى المسيحية الكاثوليكية [3].

1- Jackson, op. cit., pp. 168-257.
2- M l'abbe Huc, op. cit., p .287.
3- Richard, op. cit., p. 85.

من بين ما ورد في إحدى الرسائل الموجهة إلى الايلخان "أرغون"، تعبير الكنيسة الرومانية عن فرحها وسرورها بالأخبار التي تواترها المبعوثون حول رغبة المغول في التحالف معهم لمحاربة المسلمين وانتزاع الأرض المقدسة منهم. كما تحوي الاستفسار عن الأخبار المتعلّقة باعتناق الخاقان "قوبيلاي" للمسيحية، وحول تعميده والتماسه من الكنيسة الرومانية إرسال مجموعة من الأفراد المؤهلين لنشرها بين رعيته، وفي ختامها يوصي البابا الخان بالإحسان إلى المسيحيين المقيمين داخل حدود أراضيه [1].

وقد تضمّنت الرسالة الموجهة إلى الخاقان "قوبيلاي" نفس محتوى الخطاب الذي تلقاه الايلخان بفارس، ونظرا لأهمية المأمورية منح البابا سلطات واسعة جدا لرهبان الفرنسيسكان الخمسة، مع السماح لهم بنشر المسيحية في جميع البلدان الخاضعة للمغول، وتعميد "آباقا" وأطفاله ورعاياه وكل من يرغب في اعتناق الكاثوليكية، والتكاتف من أجل نشرها سواء بطريقة جماعية أو فردية [2].

تبقى المراجع الحديثة عاجزة في ظل صمت المصادر التاريخية عن تقديم أية معلومات أو تفاصيل عن طبيعة ونتائج البعثة المذكورة إلى التتار بالشرق الأقصى، بسبب لامبالاة الصينيين أنفسهم، والتنافس بين مختلف المذاهب. بالإضافة إلى عدم معرفة المنصّرين أنفسهم للغات البلدان التي مارسوا نشاطهم بها، ويحتمل أنّهم حقّقوا نجاحا معتبرا على الرغم من كل العقبات التي واجهوها، من خلال الأخبار المتعلقة بتأسيس هيئة تابعة للفرنسيسكانيين بالمجر، والتي طلبت من البابا إرسال أسقف إلى بلاد التتار لأنّ "العديد من إخواننا الرهبان المقيمين بين التتار، نصَّروا أعداداً كبيرةً منهم" [3].

1- M l'Abbe Huc, op. cit., p. 288.
2- Ibid., p.289.
3- Ibid.

نتيجة لذلك حرص البابا "نيقولا الثالث" على تعيين أسقف يخصص له أي عوائد يمكن جمعها من تلك المناطق الخاضعة لنفوذ المغول، والتي من شأنها أن تعود بالفائدة على الكرسي الرسولي، ومع أنّه لا يوجد ذكر للأسقف أو لمهمته، إلّا أنّ المؤرخ "م. لابي" (M l'abbe) يرى أنّ طلبات الرهبان للمدد من البابوية بروما في حد ذاتها دليل على تقدم المسيحية بشكل كبير في الشرق الأقصى[1].

ومع أنّ البابوية انتابها نوع من الركود خلال تلك السنوات، إلّا أنّ تولي البابا "نيقولا الرابع" للمنصب الكنسي أدّى إلى افتتاح مرحلة جديدة في تاريخ البعثات التنصيرية، بعد أن أرسل مندوبا عنه إلى العديد من الحكام ومنهم أرغون وقوبيلاي، وهو الراهب "يوحنا مونتي كورفينو"، وبه دشّنت حقبة جديدة في تاريخ ارساليات البابوية والغرب عامة نحو الشرق.

1. بعثة الراهب يوحنا مونتي كورفينو التنصيرية (1289–1330م):

بداية البعثة:

تضمَّنت الروايات التي خلّفها الرهبان الذين مثّلوا البابوية في بعثاته إلى المغول، وصفا جغرافيا ثريا للمناطق التي عبروها خلال آداء مهماتهم، غير أنّها لم تذكر إلّا القليل عن حياتهم وحتّى نشاطهم، وعن بعثة كورفينو[2]، لم يرد عنها الكثير باستثناء ما كتبه فيها هو بنفسه. وحسب المؤرخ هنري يولي (Yule) الذي حاول تتبّع مسيرته، فإنّ أول إشارة ذكرت له خلال إرساله من قبل الإمبراطور البيزنطي "ميخائيل باليولوج" (Michael Paleologus) (1259–1282م) إلى البابا "غريغوري العاشر" (Gregory X) في سنة 1272م للحديث عن موضوع اتحاد الكنيسة

1- M l'Abbe Huc, op. cit., p. 290.

2 – يعد يوحنا مونتيكورفينو: (John Montecorvino) المؤسس الحقيقي لبعثة الصين، ولد ما بين سنة 1246 أو 1247م في مونتيكورفينو بمدينة ساليرنو الإيطالية، بدأ حياته كعسكري قاض وأستاذ في بلاط الامبراطور فريديريك الثاني (1212–1250م)، وسرعان ما أصبح عضوا في هيئة الإخوان الصغار (الفرنسيسكان). انظر: A.C Moule, op. cit., pp.166-167.

اليونانية مع روما، مهمة قدّر الفشل حيث انتهت بحرمانه من قِبل أحد خلفاء البابا غريغوري من الدفن وفق الشرائع المسيحية [1].

وفي منتصف سنة 1280م غادر مونتي كورفينو إيطاليا قاصدا فارس كمبعوث لبوناقراتيا (Bonagratia) القس العام[2]، ويبدو أنّه وصل إلى بغداد في الوقت الذي تواجد بها، الراهبان المغوليان "ياهبلاها الثالث" و"بار صوما"، ويحتمل المؤرخ هالبرتسما إمكانية التقاء الثلاثة في المدينة مستدلا في ذلك بإحدى الرسائل التي أعطاها لكورفينو ليسلمها لياهبلاها الثالث. وبعد تسع سنوات عاد إلى بلاده حاملا رسائل الايلخان أرغون، الذي تكشف الروايات التاريخية عن حرصه وسعيه الشديدين على عقد تحالف مع الصليبين لاسترجاع بيت المقدس، بعد أن بعث العديد من الرسل إليهم، منها سفارة الراهب بار صوما الذي سبق ذكره [3]. وبخصوص احتمال هالبرتسما حول التقاء الرهبان الثلاثة، من الممكن الاستدلال بصحتها بالرجوع إلى إحدى الرسائل التي أعطاها البابا لكورفينو ليسلمها إلى الجاثليق ياهبلاها الثالث.

وليس من الأهمية معرفة أسباب إرسال "أرغون" مبعوثين إلى البابوية، لكن المفيد في الأمر هو مدى استغلال البابوية لهذه الفرصة في تنصير مغول إيران والمناطق المجاورة لهم؛ إذ يبدو أنّ البابا الجديد "نيقولا الرابع" [4] الذي لم يكد يعتلي كرسيه حتى أرسل يوحنا في بعثة أخرى يوم 15 جويلية عام 1289م، حاملا معه رسائل إلى كل من "أرغون" حاكم إيلخانية فارس وملك أرمينيا

1- Henry Yule, Cathay and Way Thither, being a collection of medieval notices of china, vol.3, Munshiram Manharlal, New Delhi, 1916, p. 4.
2- Moule, op. cit., p. 167.
3-. Halbertsma, op. cit., p .24.
4– البابا نيقولا الرابع، واسمه تينوس (Tineus)، من عائلة معروفة بـ اليسيانو (Alessiano)، تولى رئاسة تنظيم الفرنسيسكان بعد القديس بونافنتورا، ومندوبا لغريجوري العاشر إلى القسطنطينية، مساهما بذلك في إرجاع اليونان إلى حظيرة الكنيسة الرومانية، تم انتخابه بابا بالإجماع سنة 1288م، ليكون أول راهب ينتمي إلى هيئة الفرنسيسكان يتولى هذا المنصب. انظر: Artaud De Montor, op. cit., pp. 185-189.

الصغرى وبطريرك اليعاقبة وأسقف توريس والخاقان "قوبيلاي" ومنافسه "قايدو" في آسيا الوسطى[1].

بالنظر إلى طلب الراهب المغولي صوما المذكور أعلاه يتبين أنّ أهداف البابوية هذه المرة تحت زعامة نيقولا الرابع اختلفت عن سابقتها، فبينما كان الغرض الرئيسي للسفارات الأولى سياسيا أكثر منه دينيا، والمتمثل في محاولة عقد حلف مع المغول ودرء خطرهم، في حين بات هدف نيقولا دينيا محظا في ظاهره وإن كانت طياته تخفي جانبا سياسيا.

في سنة 1289م انطلق مبعوث البابا في مهمته من إيطاليا رفقة خمسة مساعدين من متّبعا طريق البحر ليتجنب الحرب بين قايدو وقوبيلاي، استهلها بزيارة أرغون لأول مرة في عاصمته توريس، ثم استأنف رحلته في عام 1291م لزيارة خاقان الصين المذكور أعلاه، فعرقلت الحرب المشتعلة بين قايدو وقوبيلاي مسيرته التي تزامنت مع عودة ماركو بولو من الصين إلى أوروبا. ولما تعذّر عليه عبور آسيا الوسطى قرَّر الذهاب عن طريق الهند حيث أمضى بها أكثر من سنة في ميلابور (مدينة تشيناي الحديثة)، ومنها بعث بخطاب [2] إلى البابوية في روما يبلغها فيه عن أحواله وطبيعة مهمته وعن مسيحيي "القديس توما"، وكذا أهم إنجازاته هناك[3].

ويفيد في هذا الخطاب أيضا، بأنّه خلال إقامته بالهند عمّد حوالي مائة شخص في العديد من المناطق صحبة الراهب الدومنيكاني "نيقولا بيستويا" (Nicholas Pistoia) الذي لقي حتفه هناك بسبب حرارة الجو الشديدة، ودفن بكنيسة القديس توما (St. Thomas) [4]، ولم يصل الصين إلّا بعد موت قوبيلاي، في أواخر 1293م، وعلى الرغم من الاستقبال الحافل الذي حظي

1- Yule, op. cit., p. 4.

2– تعد الرسائل التي كتبها "يوحنا مونتي كورفينو" خلال بعثته إلى الشرق، المصدر الأول الذي نستقي منه معلوماتنا عن مهمته؛ إذ كتبها من مناطق تواجده، اثنتين من خان باليق بالصين، وواحدة من الهند. للمزيد من التّفصيل عن هذه الرسائل راجع: Ibid., pp.45-68.

3- Dawson, op. cit., p. xxxi.

4- Christopher Dawson, Op. cit., p. xxxi.

به من لدن الخان الجديد "تيمور أولجايتو" (Timour Oljaitou) [1] (1294-1307م) في بداية عام 1294م إلّا أنّ مهمته لم تكن هيّنة كما سيتم توضحيه[2].

نشاط يوحنا:

يبدو أنّ الحماسة الزائدة ليوحنا عن غيره من الرهبان الذين سبقوه في سفاراتهم إلى المغول، هي التي جعلته يباشر دعوته التنصيريّة دون تريث ويندفع إلى الاحتكاك مع هؤلاء الأقوام، ويقول في إحدى رسائله أنّه سعى جاهدا إلى حمل الخاقان على اعتناق المسيحية، غير أنّه رفض ذلك على الرغم من سياسة الرفق والمعاملة الحسنة التي سلكها تجاه المسيحيين، وكذا الفترة الطويلة التي مكثها إلى جانبه بلغت اثنتي عشر سنة [3].

يتحدّث كورفينو في إحدى رسائله عن مبعوثين قدموا إليه من اثيوبيا[4]، يلتمسون منه القدوم إلى بلدهم للدعوة فيه إلى المسيحية، أو إرسال أشخاص أكفاء يمكنهم القيام بذلك بدلا منه، لأنّه منذ زمن "ماثيو الإنجيلي" وتلاميذه لم يحظوا بدعاة لإرشادهم، ويزعمون أنهم يرغبون كثيرًا في اتباع العقيدة الكاثوليكية التي يرى معتنقوها أنّها المذهب الصحيح، وسيساهم إرسال البعثات إلى هناك في تنصّرهم جميعًا، ويقرّرون أنّ المسيحيين في عالم الشرق لا ينتمون إلى الكنيسة إلّا

[1]- تولى الحكم بعد موت قوبيلاي بين سنتي 1294م و1307م، تنازع هو وأخوه الأكبر "كملا" حول من يتولى الحكم، إلا أنّ معرفة الأول بقوانين الياسا، وقدرته على الإقناع أهلته لاعتلاء العرش. للمزيد من التفصيل حوله انظر: رشيد الدين الهمذاني، تاريخ خلفاء جنكيز، المصدر السابق، ص ص.313-314.

[2]- Jean-Paul Roux ; Histoire De L'Empire Mongol, Fayard, Lille, 1993, p. 468.

[3]- Dawson, op. cit., p. 224.

[4]- لعلّه يقصد باثيوبيا إحدى الجزر القريبة، أو التقائه فعلا بمجموعة من التجّار أو حتّى جاليات اثيوبية بالصين، حيث عبروا له عن رغبتهم في معرفة المزيد عن المسيحية، وقد أظهر الأمر على أنّ وفدا قدم إليه، ومع ذلك تبقى حقيقة الوفد رواية مشكوكا بها، ومن المحتمل حسب أسيماني أنّ اثيوبيا التي يتحدّث عنها كورفينو في النّص، ليست إلّا جزيرة سوقطرى التي بقت آثار المسيحية بها إلى غاية القرن 17م. انظر: Yule, op. cit., p. 07

بالاسم فقط، إنهم يجهلون ما ورد في الكتاب المقدس وعقائد القديسين، ومردّ ذلك هو عدم وجود وعاظ هناك [1].

تشير الرواية التي أوردها وادينغ (Luke wadding)[2] إلى أنّ يوحنا عمّد الخان وأمه بعد أن نصّرهما، وما لبث الخان أن مات بعدها بفترة قصيرة ليتم تشييع جثمانه ودفنه في دير بالكنيسة وفق الطقوس المسيحية، ويحتمل أن يكون هذا الخان هو "أيور باليباترا" (Ayur Balibatra) حفيد قوبيلاي الذي مات في سنة 1311م، لكن "يولي" يرى أنّ هذه الرواية بعيدة عن الصحة، بسبب عدم ورود هذا الخبر إلى أوروبا، وحسب ما أضافه وادينغ، بعد مرور حوالي ثلاثين سنة على دفنه وعندما همّ الرهبان بترك الصين صوب ساراي، عاصمة مغول القبجاق التي احتضنت العديد من المسيحيين، تبيّن لهم أنّ جثة الخان الذي مات منذ زمن ليس بقصير بقيت على حالها[3].

المتأمّل في رواية عدم تحلّل الجثة يلحظ جانبها الأسطوري، وهو ما يفنّد فرضية وادينغ، بالإضافة إلى أنّ تعميد الخان لا يؤكد بالضرورة تنصره، وإنّما نوع من الاحتفال وممارسة الطقوس اعتاد عليها الحكام مع أصحاب الديانات كما جرى الحال مع أسلافه، وهناك قصة مشابهة تعني تعميد قوبيلاي خان.

وعن رحلة مونتي كورفينو فإن هذا الأخير أقرّ بالصعوبات التي واجهته في مهمته؛ إذ كان عليه التّنقل وحيدا منفردا دون معونة لحوالي 12 سنة، باستثناء تاجر إيطالي (Pietro de

---

[1]- Moule, op. cit, p. 181.

[2]– هو راهب ومؤرخ فرنسيسكاني ولد في وترفورد سنة 1588م، درس في لشبونة وبها أصبح راهبا فرنسيسكانيا، وفي سنة 1617م ترأّس الكلية الإيرلندية بـ سالامانكا وبعدها بسنة توجه إلى روما التي مات بها، ومن أهم أعماله، جمع الأموال لإنشاء الكلية الإيرلندية بروما لتعليم القساوسة الإيرلنديين، ومن أهم مؤلفاته "الحوليات الصغيرة" (Annales Minorum)، تتألف من ثمانية أجزاء. لمزيد من التفصيل، ارجع إلى: E.B, op. cit., p. 226.

[3]- Yule, op. cit., p. 10.

Lucalongo) رافقه في سفره من تبريز إلى الصين، واشترى له قطعة أرض في خان باليق بنى عليها كنيسته الأولى[1]، ويُستشفّ من خلال ذلك دور التجّار المهم في نشر هذا الدين، خصوصا بعد سياسة المغول التي سمحت لهم بالقدوم إلى بلادها، كما سيأتي التفصيل فيه.

وما أنجزه أيضا بناء برج به ثلاثة أجراس، علاوة على ذلك قام بتعميد ستة آلاف شخص في احدى عشرة سنة وهي المدة التي قضاها بمفرده في الصين، وبادر أيضا بشراء على دفعات حوالي أربعين طفلا من أبناء الوثنيين تتراوح أعمارهم بين الـ 7 والـ 11 سنة وهذا لغرض تنصيرهم، وأقبل كذلك على ترجمة العهد الجديد إلى اللغة المحلية وهذا بفضل اتقانه للسان البلد[2].

الواقع أنّ نشاط الراهب يلفت الانتباه إلى موضوع تعدّد الثقافات واللغات، حتّى بين أتباع المذهب الواحد، وعلى وجه الخصوص بالمسيحية، فحسب قوله "...ست صور مصنوعة من العهدين القديم والجديد لتعليم الجاهل، ولهم نقوش باللاتينية والتركية والفارسية، حتّى يتمكن الجميع على اختلاف لغاتهم من قراءتها... "، والذي يعني أن النّص الديني يترجم إلى أكثر من لغة ليتسنى للجميع فهمه [3].

وخلال سنة من تواجده بالصين نجح في الحصول على تأييد ملك الأونغوت "كورغوز" (Korgoz)، -الذي سبق ذكره- بعد أن تمكّن من إقناعه على تغيير معتقده من النسطورية إلى الكاثوليكية، وتبعه في ذلك جزء كبير من رعيته، وإليه يرجع الفضل في بناء كنيسة سمّاها "الكنيسة الرومانية" تلبية لرغبة يوحنا نفسه، غير أنّه لم يلبث أن قتل سنة 1299م أثناء الحرب المغول الكبرى مع "قايدو"، تاركا وراءه ابنه القاصر لا يتجاوز عمره ثلاث سنوات، أطلق عليه اسم يوحنا

1- Peter Jackson, op. cit., p. 258.
2- Dawson, op. cit., p. 225.
3- Ibid., p. 258.

اكراما لكورفينو[1]. وكانت نتيجة وفاة كورغوز أن تهاوت الكاثوليكية لأن رعاياه سرعان ما عادوا إلى معتقداتهم السابقة تحت ضغط أشقائه [2].

يتحدث هالبرتسما حول صحة ادعاء يوحنا في تنصيره لجورج، فحسب نسخة الإنجيل التي عثر عليها، والتي ترجع إلى سارة شقيقة جورج، والمؤرخة سنة 1298م، أي العام الذي قتل فيه هذا الملك، فالكاتب يشير بكل وضوح إلى لقب قاوتانغ (Gaotang)، وهو اللقب الذي حمله أمراء قبيلة الأونغوت، ولكنه لا يشير إلى اعتناقه للمذهب الكاثوليكي، في حين تساءل بيير بوربون (Pier Borbone) الذي درس الوثيقة عن قرب، عمّا إذا حذف ناسخ الوثيقة ما يتعلق بتغيير الملك لمذهبه، أو أنّ كورفينو نمّق ادعاءه ليظهر بمنظر الناجح لدى كنيسته الأم[3].

ولعلّ سبب عدم ورود أي شأن بخصوص كاثوليكية الملك جورج إنّما سببه هو قلة التواصل، أو ربما أنّه اعتنق الكاثوليكية مع تمسكه بمعتقداته النسطورية، لكن السؤال الأكثر أهمية ما مدى نجاح كورفينو في التأثير على الملك؟ والذي يزعم أنّه أثّر هو الآخر على قومه، وما إذا كان قد بالغ في ادعائه؟ وما حقيقة بناء الكنيسة الرومانية في عاصمة كورغوز[4] ؟

يتعاطف هالبرتسما مع يوحنا بالقول: " لا يزال من الوارد أن يكون الكاتب غير مدرك أو لم يهتم بالتحول المذهبي لجورج، بسبب تفاعل الأونغوت مع تعدد المعتقدات، كما لا يمكن استبعاد أن الملك مارس المذهبين النسطوري والكاثوليكي على حد سواء، والذي على الرغم من تأثيره على مدى نجاح كورفينو بمهمته التنصيرية، إلّا أنّه لا يمنع جورج من بناء كنيسة في عاصمته" [5]. وعلى كل، فإنّه في حالة عدم العثور على دليل، وباعتبار أنّ رسالة يوحنا هي المصدر الوحيد

1- M.l'abbe Huc, op. cit., p. 348.
2- Halbertsma, op. cit., p. 43.
3- Ibid., p. 44.
4- Ibid, p.43.
5- Ibid, p. 45.

لما ذكره، تبقى الافتراضات حول صحة وجود الكنيسة، مجرد رواية راهب تحتمل الصدق كما تحتمل الكذب.

وعن بعثة كورفينو، فإنّ داوسون ينتهي إلى أنّ نجاح كورفينو انحصر في المقام الرئيسي ضمن الطبقة الحاكمة، المتمثلة في الأتراك المغول (Turco-Mongols) والجاليات الأجنبية بالمنطقة، التي تشكّلت من العديد من الأعراق المختلفة بما في ذلك الآلان (Alains) [1].

ومع أنّ دولة المغول مارست مبدأ التسامح مع الأديان، وحرصت على استيعاب الأفكار الأجنبية، والاستفادة من رجال العلم، إلّا أنّ وصول هذا المنصّر وسعيه إلى تنصير تلك الأقوام، كان بمثابة إيقاد شرارة غيرة النساطرة الذين لم يتوانوا في عرقلة عمله، باعتباره أول قس كاثوليكي تطأ قدماه الأراضي الصينية [2]. ويذكر كورفينو الذي تناسى مغالاة الكنيسة الكاثوليكية، أنّ تعصبهم لمذهبهم دفعهم إلى الكيد له، متهمين إياه بالكذب وأنّه لم يرسل من طرف البابا، واستمر على هذه الحال زهاء خمس سنوات لتتم وفق قوله تبرئته في النهاية بعد نفيهم من الحاكم [3].

على الرغم من هذه الضغوطات التي واجهت كورفينو، إلّا أنّه استطاع تحقيق الإنجازات السالفة الذكر، وبعد انقضاء قرابة اثني عشر عاما على تواجده في الصين، انضم إليه الراهب الألماني "أرنولد" (Arnold) من مقاطعة كولونيا، وتمكّن حينئذ من بناء كنيسة أخرى في العاصمة خان باليق سنة 1305م [4].

بعد أن تأكد للبابوية [5] تواجد يوحنا بالصين والأعمال التي حقّقها بها، سارعت إلى تعزيز هذه المكتسبات، وعليه أرسلت له بعثة تتشكل من سبعة رهبان أكفاء لينصبوه رئيسا

1- Dawson; op. cit., p. xxxiii.
2- Howard Smith, op. cit., p 153.
3- Dawson, op. cit., p. 225.
4- Ibid.
5– عندما وصلت رسائل كورفينو إلى روما في حوالي سنة 1306م، كان قد تم انتخاب بابا جديد هو "كليمنت الخامس". وحول هذا البابا راجع: Artaud De Montor, op. cit., vol .4, pp .6-19.

للأساقفة هناك ويساعدوه في مهمته، وهؤلاء المبعوثون هم: "جيرارد" (Gerard)، "بيرجرين" (Pergrin)، "أندري دي بيروس (بيروجيا)" (André de Pérouse)، "نيقولا دي بوترا" (Nicolas de Bautra)، "بيتر اوف كاستل" (Peter of Castile)، "أندري الأسيزي" (Andrutuis D'Assise)، "ويليام فيلينوف" (William of Villeneuve) [1].

شكّلت طبيعة السفر القاسية في تلك الفترة أحد الأسباب الرئيسية في موت الكثير من الرهبان، وعدم رغبة البعض الآخر في تحمل تلك المعاناة، ففي سنة 1308م لم يصل من هؤلاء السبعة إلى الصين إلّا "جيرارد" و"بيرجرين" و"أندري" حاملين معهم خطابا بابويا إلى الخاقان يحثه فيه على اعتناق المسيحية [2] في حين مات الثلاثة الآخرون بالهند بسبب سوء المناخ، في حين فضّل الأسقف السابع "ويليام فيلينوف" العودة إلى إيطاليا [3].

أرسل البابا هؤلاء المساعدين مع تراخيص إلى المغول والهند، وفي أحد هذه التراخيص، يمنح البابا كليمنت الخامس كورفينو بعد تعيينه رئيسا لأساقفة خان باليق، السلطة على تعيين الأساقفة والرهبان ورجال الدين في مدن وولايات الشرق، ومنحه نفس الصلاحيات والسلطات التي يتمتّع بها البابا زعيم الكنيسة الغربية بروما مع التقيد بتبعيته المطلقة له[4]. فيما تولى الأساقفة الثلاثة مناصبهم في مدينة زيتون جنوب الصين، وبعد مرور حوالي ستة قرون تم العثور خلال تفكيك أسوار هذه المدينة على قبر أحد هؤلاء الرهبان وهو "أندري أوف بيروجيا" (Andrew of Perugia) الذي حمل مع رفاقه رسالة تعيين كورفينو[5].

---

[1]– هناك اختلاف في أسماء الأساقفة السبعة في حين يتفق على القائمة المذكورة أعلاه كل من "Moule" و"L'Abbe"، يختلف عنهم "Yule" في كل من (Pergrin of Castello) و(Ulrich Sayfusterdt). انظر: Yule, op. cit., p.10.

[2]- Henri Cordier, Histoire Générale de la Chine (907-1368), vol. 2, Librairie Paul Geuthner, Paris, 1920, p. 606.

[3]- Yule, op. cit., p. 10.

[4]- Moule, op. cit., p. 183.

[5] - Halbertsma, op. cit., p. 28.

ونظرا للنجاح الذي حقّقه يوحنا، تم إمداده بثلاثة مساعدين أخرين هم "بيتر الفلورنسي" (Peter of Florence) [1]، الذي عيّن أسقفا في 20 ديسمبر 1310م والراهبين "جيروم" (Jerome)، و"توماس" (Thomas) في 19 فيفري 1311م [2]. ويتّضح من كلام الراهب بيتر الفلورنسي الوارد في "كتاب الخان العظيم" (The Book of The Great Caan) أنّه أدار بنفسه على أحد الأديرة بمدينة زيتون، في حين تولى أندري بيروجيا الدير الآخر ورافق يوحنا في خان باليق طيلة خمس سنوات قبل أن ينتقل إلى المدينة السالفة الذكر[3].

وعلى الرغم من نجاحهم في نشر المسيحية في أنحاء العاصمة الصينية، إلّا أنّه لم يتسن للمسيحيين الاجتماع في مكان ملائم يلتقون فيه خلال المناسبات الدينية، ممّا دفع بسيدة أرمينية غنية من مدينة زيتون إلى منح ثروتها من أجل إنشاء كنيسة كبيرة هناك، جعلت رئيس الأساقفة مونتي كورفينو، يطلق عليها اسم الكاتدرائية، ورفعت المقاطعة إلى أبرشية، وعهد بتولي أمورها وإدارتها إلى الأسقف جيرارد، الذي خلفه الأسقف بيرجرين بعد ذلك بفترة وجيزة [4].

وجدير بالذكر أنّ الراهب "أودوريك" (Odoric of Pordenone) الذي زار الصين سنة 1321م، وعاد إلى بلاده سنة 1330م، أشار إلى رئيس أساقفة معين دون ذكر الاسم، وهو كورفينو وقد أثنى عليه وعلى بقية الرهبان الفرنسيسكان الذين تواجدوا بالمنطقة، لما حقّقوه من مكاسب منها تأسيسهم لكاتدرائية ومنزلين في مدينة زيتون [5].

---

[1]– أرسل البابا "كليمنت الخامس" مرسوما إلى الراهب "بيتر الفلورنسي" يعلمه أنّه نتيجة للزيادة الكبيرة في عدد المسيحيين في جميع أنحاء الصين والبلدان الخاضعة للمغول، يستحسن تعيين أساقفة جدد، لتسهيل عملية نشر العقيدة الكاثوليكية في هذه الأقطار.

انظر: M. l'Abbe Huc, op. cit., p. 356

[2]- Moule op. cit., p. 183.

[3]- Yule ; op. cit., p. 11.

[4]- Odorec De Pordenone, Les Beaux Voyages D'autrefois, Pierre Deffontaines et Yves Simon, cons: Musée Cernuschi, paris, 1933, p.49.

[5]- Moule, op. cit., p.196.

نهاية مسيرة يوحنا:

بعد مسيرة طويلة وشاقة مات يوحنا مونتي كورفينو في حوالي سنة 1328م عن عمر ناهز 83 عاما [1]، وحسب شهادة، داوسون فإن الكنيسة الكاثوليكية خلال حياته سجّلت ازدهارا وتطورا بفضل مجهوداته، واستمر بعد موته العديد من الأساقفة الذين عينهم أو خلفوه في أداء مهامهم لفترة تربو عن ثلاثين سنة[2]، في حين يرى "لابي" أنّ موته تسبب في تلاشي وانهيار انجازاته بالشرق على الرغم من محاولات البابوية لضمان استمرارها[3]. مما يدل على عدم تغلغل العقيدة المسيحية في صدر السكان وارتد أغلبهم بعده، والحقيقة إنّ المتتبّع لتاريخ الإرساليات بدءًا من "كاربيني" وصولا إلى "كورفينو"، والذين خلفوه، يلاحظ أنّ فترة هذا الأخير كانت البارزة والوحيدة التي علا بها شأن الكنيسة الرومانية بالصين ومنغوليا، في ظل حكم المغول.

2. الراهب "بيرجرين":

وصل هذا الراهب إلى خان باليق رفقة "أندرو أوف بيروجيا" ضمن البعثة الأولى التي تم إرسالها من قبل البابوية لمساعدة يوحنا، ومن هناك كتب رسالة يتحدث فيها عن تطور أحوال الكنيسة الكاثوليكية هناك، ويذكر أنّ حياة يوحنا على الرغم من أنّها جيدة لكنها في المقابل شاقة، وأهم ما قام به –حسب ما ذكره يوحنا نفسه– تنصيره للملك جورج، الذي بفضله تحول الآلاف من قومه النساطرة إلى الكاثوليكية. ولو ظلّ حيا لأمكن تنصير كل شعبه، وربما اعتنق الخان نفسه المسيحية. كما أدّت مجهودات كورفينو بأراض الخان إلى تحسن أوضاع أتباع مختلف الطوائف المسيحية، بعد أن كان محظورا على أي مسيحي أن يلقي خطابا قصيرا أو طويلا، أو

[1] –شهد وليام آدم، (William Adam) خليفة فرانكو دي بيروس (Franco de Perouse) رئيس أساقفة سلطانية، اللحظات الأخيرة لموت كورفينو؛ إذ كان وقتها بخان باليق، ويذكر أن جميع سكانها مسيحيين ووثنيين قد حضروا جنازته وحزنوا على رحيله، وكانوا حاضرين في مراسم دفنه. انظر: M. L’Abbe Huc, op. cit., p. 394

[2]- Dawson, op. cit., p. xxxiii.

[3]- M. L’Abbe, op. cit., p. 394.

صليبا بسبب قوة النساطرة الذين أجبروا بقية المسيحيين على اتّباع طقوسهم. ومع ذلك فقد بنى يوحنا عددا لا بأس به من الكنائس على الرغم من العقبات، وحدث أن تبعه أتباع الطوائف المسيحية الأخرى التي تكره النساطرة [1].

وينبغي الاشارة إلى الآلان الذين غرس الرهبان الكاثوليكية وطقوسها الدينية بينهم، حتى إنّهم سعوا أيضا إلى التنصير في المساجد بين المسلمين على أمل أن يغيّروا دينهم، وكذا الحال مع معتنقي الديانات الممارسة في مدن الدولة المغولية بالاستعانة على اثنين من المترجمين الشفويين [2].

لاحظ "بيرجرين" حرص الآلان إلى الاستفسار عن كل ما يتعلق بالمذهب الكاثوليكي والسعي وراء أتباعه للاستماع إليهم، وهو ما أعطى دفعة جديدة وقوية للمنصّرين، ومع ذلك فقد مثّلت اللغة إحدى العقبات الأساسية التي منعت هؤلاء المنصّرين من تحقيق المزيد من النجاح؛ إذ يقول هذا الراهب: " الحصاد كبير حقا والعمال قليلون وليس لديهم منجل. لأنّ عدد الرهبان قليل، وتقدم بهم السن، وليس لديهم القدرة على تعلم اللغات. قد يغفر الله لأولئك الذين يعيقون الرهبان عن القدوم لأداء مهامهم. والحقيقة أعتقد أنّ العدو قد فعل ذلك خوفا من غزو أراضيه التي يمتلكها بلا منازع" [3].

زاول كل من رئيس الأساقفة يوحنا والراهب أندرو أوف بيروجيا والأسقف بيتر الفلورنسي، نشاطهم في خان باليق. في حين أصبح بيرجرين أسقفا لمدينة "زيتون"، حيث مارس هناك معتقده بحرية تامة، رفقة ثلاثة من الرهبان هم "يوحنا غريمالدي" (John of Grimaldi)، و"إيمانويل أوف مونتيكول" (Emmanuel of Monticulo)، و"فينتورا من ساريزانا" (Ventura

1- Dawson, op. cit., p. 332.
2- Ibid., p. 333.
3- Ibid., p. 332.

of Sarezana)، الذي أصبح راهبا في هذا البلد. وتحوي المدينة، كنيسة جيدة تركتها سيدة أرمنية، مع منزل به كل ما يحتاجه الأسقف ورفاقه والزوار الذين يقصدونهم[1].

يؤكّد بيرجرين في ختام رسالته المدوّنة بتاريخ 1318م على حاجتهم الماسّة إلى الدعم والمساندة من خلال إرسال المزيد من الرهبان إلى تلك المناطق ويوجز حالتهم ويقول "... وخارج المدينة، مكان واسع به حطب نريد أن نصنع فيه صومعة وكنيسة صغيرة، نحن لسنا في حاجة إلى أي شيء بل تواقون إلى رهبان نستأنس بهم. وبما أنّ الأسقف جيرارد قد مات، ونحن الرهبان الآخرون لا نستطيع العيش طويلا، ولم يأت آخرون لمساعدتنا. فمن المؤسف جدا أن تترك الكنيسة بدون إمداد" [2].

3.الراهب "أندرو أوف بيروجيا":

على الرغم من أنّ نشاط الراهب "أندرو أوف بيروجيا" لم يكن بارزاً مثل كورفينو، إلّا أنّه وباعتباره أسقفا تولّى شؤون كنيسة زيتون، ويعد آخر الأساقفة السبعة الذين أرسلهم البابا "كليمنت" لمساعدة كورفينو. وقد استعرض في رسالته التي بعث بها إلى البابا سنة 1326م، بعض أوضاع الكنيسة الكاثوليكية هناك، وتعطي هذه الرسالة انطباعا غير لائقٍ تماماً عن واقع الكنيسة حيث تكشف عن الجفاء الذي يطبع علاقته برئيس الأساقفة يوحنا [3].

ويفترض السير يولي أنّ "أندرو" قد يكون الأسقف "أندرو الفرنجي" (Andrew the Frank)، نفسه الذي ترأس سفارة الخان العظيم إلى البابا بنديكت سنة 1338م بغرض طلب إرسال المزيد من الأساقفة والمنصرين إلى الصين، هذا ومن الطبيعي جداً أن يتمنى راهب مثله غادر بلده منذ فترة طويلة زيارة البلاد اللاتينية موطنه الأصلي قبل موته، وليس ضروريا أن يكون رجلًا

1- Dawson, op. cit.,p. 332.
2- Ibid., p .234.
3- Yule, vol.2, op. cit., p. 28.

مسنًا للغاية [1]. ولعلّ افتراض يولي مهم جدا؛ إذ يفضي إلى معرفة طبيعة العلاقة التي تربط المنصّرين بالحكام المغول، خلال تلك الفترة من جهة، وكذا ذروة النجاح الذي بلغه نشاط الرهبان من جهة أخرى.

التحق هذا الراهب بيوحنا في سنة 1308م، بناءً على طلب هذا الأخير في إرسال مساعدين له، تم تعيينه أسقفا للكاتدرائية التي بنتها المرأة الأرمينية بمدينة زيتون، لكنه رفض المنصب في بداية الأمر، ولم يقبله إلّا بعد أعوام، أي خلال سنة 1322م لأسباب تكتَّم عن ذكرها[2].

يقول في رسالته إلى البابا عن أحوال الكنيسة الغربية بالصين: " ... قبل حوالي أربع سنوات من موت رفاقي وجدت نفسي لأسباب معينة في خان باليق، فحصلت على إذن من قبل منظمة الألفة، أي المؤسسة الخيرية التي أسّسها الخان، للسماح لي بالاستقرار في مدينة زيتون التي تبعد بمسيرة حوالي ثلاثة أسابيع عن خان باليق. وقد حصلت على هذا الامتياز بناء على طلبي الجاد، وسمح لي الخان بموجبه بالخروج مع ثمانية فرسان، تابعت رحلتي وبنيت كنيسة مع بستان على بعد ربع ميل خارج المدينة، بالإضافة إلى مكاتب كافية لاثنين وعشرين راهباً، وأربع شقق ...، مازلت أسكن وأعيش على اعانة الخان–الألفة–، ... وبها بنيت الجزء الأكبر من الكنيسة، ولا يمكن مقارنتها بأديرة مقاطعتنا من حيث جمالها ووسائل الراحة الموجودة بها، ولم يمض وقت طويل على موت الراهب بيرجرين، حتّى تلقيت مرسوما من رئيس الأساقفة يعيّنني من خلاله أسقفا في الكاتدرائية، وقد وافقت لأسباب وجيهة، وصرت بسبب ذلك متنقلا في الاقامة بين الكنيسة الموجودة بالمدينة، وبين بالدير"[3].

1- Yule, vol.2, op. cit., p. 28.
2- Ibid., p.72.
3- Ibid., pp .73-74.

لا توجد معلومات عن الأسقف الذي خلف أندرو باستثناء موته فقط، وحسب ما نقله السير "يولي" عن "وادينغ" فإنّ سنة 1362م سجّلت مقتل كل من رئيس أساقفة زيتون "جيمس الفلورنسي" (James of Florence) والراهب الايطالي "وليام الكومبانياني" (William the Companian)، وهما من هيئة الرهبان الصغار "بإمبراطورية الميديين بإيران" وذلك لجهرهما بعقيدتهما المسيحية[1].

إنّ ما يجلب الاهتمام في هذه الدراسة، والذي يشكّل مصدرا لمعلومات إضافية عن طبيعة البعثات الكاثوليكية إلى الصين في هذه الفترة، وعن مدى صحة ما ورد في رسائل أصحابها، بعض الاكتشافات الأثرية الحديثة التي من شأنها إجلاء بعض الغموض، على الرغم من أنّها لا تزال بحاجة إلى دراسة وتحقيق، وتعود أهمها إلى سنة 1946م، حيث تم اكتشاف نقش حجري في مدينة زيتون، وأُرسلت صورة "الحجر" التي التقطها "وو وينليانغ" (Wu Winlliang) إلى "جون فوستر" (John Foster)، خبير في الدراسات النسطورية بالصين في المملكة المتحدة، وانتهى الفحص والتحقيق إلى أنّ كتابة النقش كانت باللغة اللاتينية [2].

على أنّ الأطروحة التي قدّمها "جون فوستر" بمساعدة العديد من الباحثين، بغضّ النظر عن نشره لصورة الحجر في مقالة له دون ترخيص، قد أثارت جدلا محموما حول ضبط اسم الشخصية المذكورة في المرثية فهل هو "بيرجرين" أو "بيروجيا"، وكذا حول لغة التدوين التي رأى بعض المستشرقين أنّها عربية، ليتم التأكيد على أنّها لاتينية [3]. ومن دواعي الدهشة والغرابة وقوع الخلط بين اللغة العربية واللاتينية، مع أنّ الاختلاف بينهما شاسع، فالأولى تبدأ من اليمين إلى اليسار، والثانية بالعكس.

1- Yule, op. cit., p. 28.
2- Sam Lieu, op. cit., p. 29
3- John Foster, Crosses From The Walls of Zaiton, J.R.A.S.G.B.I, no.1/2, 1954, Cambridge Univ. Press., pp. 17-18.

ويستند "جون فوستر" على رواية الراهب "يوحنا دي كورا"، في إنشاء كورفينو ثلاثة مباني لمساعديه في خان باليق، واثنان في زيتون، الأسقف أندرو أوف بيروجيا، والأسقف الآخر "بطرس الفلورنسي". لا يوجد أي شيء حول خلافة بطرس لأندرو، مما يجعل المرء يشك في أن أندرو بيروجيا المعني على قيد الحياة، وبرفقة زميله الأسقف هناك في سنة 1330م[1].

ومع أن النّقوش اللاتينية الرئيسية الأخرى الموجودة في يانغتشو، تعود إلى فترة العصور الوسطى، إلّا أنّها لا تقدم أية دلالات من شأنها مساعدة العلماء على فك رموز النص، لأن جميع الموتى أشخاص عاديون، باستثناء "أندرو بيروجيا" الذي كان رجل دين، بالإضافة إلى أنَّ الحجر الأصلي المحفوظ بخزينة في بكين تآكل بشدة، وهو ما زاد من صعوبة محاولة فك رموزه بسهولة [2].

4.بعثة الراهب أودوريك البوردينوني (Odoric of Pordenone):

من بين البعثات التنصيرية الهامة إلى الشرق أيضا، بعثة الراهب "أودوريك البوردينوني" التي دوّنها بنفسه، والتي تزامنت مع تواجد يوحنا بالصين، ومع أنّ أودوريك قام برحلتين لكنه دوّنهما في كتاب واحد، ممّا عقّد أمر التّمييز بينهما.

بداية الرحلة:

ولد الراهب أودوريك سنة 1286م في مدينة بوردينون الإيطالية التي نسب إليها، انضم مبكراً إلى هيئة الفرنسيسكان وهو في سن صغيرة، حيث لم يتجاوز عمره وقتها خمسة عشر عاما، أصبح قسا بعد عشر سنوات، وحين أبدى رغبته في الالتحاق بالبعثات الكاثوليكية الموجهة إلى آسيا لاقى تشجيعا من مقدم هيئته [3].

[1]- John Foster, op. cit, pp .19-20.
[2]- Sam Lieu, op. cit, p. 30.
[3]- علي السيد، المرجع السابق، ص ص.10-11.

مرّ خلال ذهابه إلى الصين بالقسطنطينية وتبريز وبغداد وهرمز، ثم رحل إلى مالابار بالساحل الجنوبي الغربي للهند، ومنها انتقل إلى جزيرتي سومطرة وجاوا كما زار سيلان ومدراس، ثم راح إلى كيامبا اقليم الهند الصينية حاليا، ومن هناك ذهب إلى القسم الجنوبي الذي ذكره باسمه الشائع وهو إقليم مانزي، حيث جاب العديد من المدن والبقاع، وحسب زعم أودوريك فإنّ رحلته قد تمّت سيرا وحافيا وفقا لقواعد الهيئة الفرنسيسكانية، ولم يتوان قط في مواصلة مشواره الطويل حيث شقّ طريقه عبر الصين الوسطى ليبلغ في الأخير شمالي الصين مما سمح له بعرض وصف دقيق وغزير عن العاصمة خان باليق [1].

لقد أثنت الدراسات الجغرافية الحديثة على ما أمدّته هذه الرحلة من مادة، حتى أنّها عُدّت ضمن التجارب والخبرات الأوروبية المبكرة التي شجّعت فيما بعد على الانطلاق الكشوفات الجغرافية، كما صنّفت ضمن أهم الرحلات الغربية إلى آسيا، في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي. والجدير بالذكر أنّ أودوريك لما دوّن رحلتيه الأولى والثانية لم يفصل بينهما، لهذا يتراءى للباحث للوهلة الأولى، أنّها رحلة واحدة. توجه في رحلته الأولى إلى الشرق في عام 1296م بعد فترة قضاها في عزلة مع الرهبان. وفي رحلته الثانية خرج من البندقية متجها إلى الشرق الأقصى سنة 1314م، أمضى فيها كل فترة بقائه هناك والممتدة حتّى أوائل سنة 1330م تاريخ عودته إلى بلاده، يعمل على الإعدادا للقيام برحلة ثالثة يصطحب فيها عددا من الرهبان، بيد أنّه لم يلبث أن ألمّ به المرض وهو في طريقه إلى مقر وظيفته، حيث مدينة أودين الواقعة ناحية فريولي بإيطاليا، حيث أدركته المنية ووري التراب سنة 1331م [2].

في أرض الصين عبر موانئ "فو-كين"، ومن "فو تشاو" اجتاز الجبال نحو "هانغتشو" و"نان كينغ"، ومكث بخان باليق نحو ثلاث سنوات في إحدى الكنائس التي يُفترض أنّها من

[1]- علي السيد، المرجع السابق، ص ص.15-16.

[2]- نفسه، ص ص.10-11

تأسيس يوحنا كورفينو. وعلى الرغم من أنّ خط سير عودته إلى البندقية غير واضح تماما، ومع ذلك يمكن التّخمين بناءً على بعض التلميحات، أنّه سار على الطريق ذاتها التي اتّبعها قبل أربعة عشر عاما خلال سفره إلى الخارج [1].

إنّ المطلع على طريقة تدوين أودوريك لرحلتيه، يلحظ التشابه الكبير بين أسلوبه وأسلوب ماركو بولو في سرد ووصف المدن التي زاراها، كما أنّ الطابع الأسطوري يكتنف بعضا من جوانب مهمته؛ إذ يذكر أنه حدثت له العديد من المعجزات لما توجه الى مدينة زيتون لدفن رفات الرهبان الذين قتلوا بالهند على يد المسلمين.

نشاط الراهب أودوريك التنصيري:

قبل الحديث عن طبيعة ومناطق نشاطه، يؤكّد وادينغ وغيره من كُتّاب السير الذاتية، أنّ أودوريك نشر المسيحية في كل المناطق التي مرّ بها، ومسّت إنجازاته أيضا الوثنيين؛ إذ عمَّد أكثر من عشرين ألف مسلم، وهو الأمر الذي يراه "السير يولي" ضربا من الخيال لا أساس له من الصحة؛ إذ لا يوجد أي تلميح في رحلته إلى هذا الأمر، وحتّى من باب الاحتمال أنّه ساعد رفاقه في خان باليق في أداء بعض الواجبات الدينية فذلك لا يعني قيامه بنشاط التنصير على الرغم من كل السنوات التي قضاها برفقتهم. إنَّ نفي يولي لما ذهب إليه "وادينغ"، وتأكيده على طبيعة نشاط أودوريك، بناءً على مذكراته التي خلَّدها، فهي توحي بقوة أنّه رجل قليل الذوق قوي القدرة على التنقل وشديد التوق لرؤية الدول الغربية، لكن ليس كثير الخبرة والولع بالوعظ والزهد" [2].

لعلّ السِير "يولي" محق فيما ذهب إليه بشأن الشك في غزارة نشاط أودوريك وكذا نجاحه في تعميد حوالي عشرين ألف مسلم، وعلى حد قول مساعدي كورفينو أنفسهم، فإنّ نجاح مهمتهم كان ينحصر في غالب الأحيان ضمن طائفة الوثنيين وبعض المسيحيين "المنشقين"، بينما ظل أمر التنصير شبه مستحيل مع المسلمين واليهود.

---

[1]- Yule, op. cit., p. 10.

[2]-Ibid., pp. 11-12.

وأثناء رحلته وهو متواجد بالهند تحمّل عبء نقل رفات الرهبان الأربعة الذين قتلوا هناك، وقد تناول أخبارهم في قسم كبير من كتابه، حتى بالمقارنة مع الراهب "جوردانيس" [1] أحد رفاق الرهبان المقتولين في الهند، وفي النهاية تمكن من إيصالها معه إلى مدينة زيتون حيث قام بدفنها بأحد الأديرة هناك [2].

ظلّ أودوريك نحو ثلاث سنوات بالعاصمة المغولية بالصين، وقد ساهمت إرشاداته في اعتناق الكثيرين للكاثوليكية، وبدافع هذا الفوز التمس منه كورفينو والخان نفسه العودة إلى البابا لطلب المزيد من المنصّرين لنشر الكاثوليكية في المناطق الخاضعة للمغول، ولذلك ونزولا عند رغبتهما شدّ رحاله إلى إيطاليا حيث وصل إلى البندقية سنة 1330م ، إلّا أنّه مات بعدها بسنة في أودين أي عام 1331م [3].

كانت المدينة الأولى التي دخلها هي كانتون التي ذكرها باسم سينسكالن (Censcalan)، "وهي مدينة بحجم ثلاثة مدن مثل مدينة البندقية على بعد رحلة يوم من البحر، وجميع سكان هذه المدينة، وكذلك سكان مانزي والهند العليا وثنيون. ولها شحن كبير وواسع من حيث الكمية لدرجة أنه ليس لكل إيطاليا كمية الحرف التي تمتلكها هذه المدينة"، وبعد مروره بالعديد من المدن وصل إلى مدينة زيتون، حيث وجد منزلين لأتباع هيئة الفرنسيسكان، وأودع عظام الرهبان الأربعة الذين قتلوا بتانا الهندية [4].

إنّ أكثر شيء يلفت الانتباه في الصين زهد ثمن البضائع مع وجود كل متطلبات العيش التي يحتاجها الإنسان، ناهيك عن مساحتها التي تبلغ ضعف مساحة بولونيا، وبها العديد من

---

[1]– جوردانيس القطلاني (Jordanus Catalani)، رائد البعثة الكنسية بالهند، ترك كتابا وثّق فيه رحلته ونشاطه بالمنطقة. للمزيد من التفصيل عنه ارجع إلى:

Jordanus Catalani, Mirabilia Descripta: The Wonders of the East; trans: Henry Yule, Hakluyt Society, 1863.

[2]- Yule, vol.2, op. cit., p. 10.

[3]- Pacifique Marie Chardin, les Missions Franciscans en Chine, p. 17.

[4]- Yule, vol.2, pp. 182-183.

الأديرة التي يقصدها المصلون وعبدة الأوثان الذين يبدو أنّهم الفئة الغالبة في المجتمع، فحسب تصريحه من خلال زيارته لأحد الأديرة هناك، وجد بها نحو ثلاثة آلاف راهب وأحد عشر ألف صنم [1].

ويبدو أنّ أودوريك قد شارك دون تحفّظ في أحد مراسيم الاحتفالات الدينية في المدينة؛ إذ يقول: "شهدت الساعة المحددة لإطعام أصنامهم. والطريقة هي ترك كل الأطباق التي يقدمونها للأكل تسخن حتى يصعد الدخان في وجه الأصنام لاعتقادهم أنّ هذا الفعل تطهير لها. ويحتفظون بباقي الأشياء لأنفسهم. ويتهيأ لهم بعد هذه الطقوس أنّهم أطعموا آلهتهم جيدًا" [2]. وبناءً على قوله، يتّضح أنّ نظام الضيافة الشائع المنتشر آنذاك في الصين هو الذي سهَّل من تنقل المسافرين عبر مختلف أراضيها، ومكّنهم من المشاركة في العديد من احتفالاتهم، حتّى إنّه ذكر في زيارته لإحدى المدن المسماة "بيلسا"، رغبة مضيفه في اطلاعه على طريقة للصيد [3].

ووجد بمدينة "يانغتشو" التي تنطق أيضا "كنساي" العديد من الضواحي التي تضم أعدادا هائلة من السكان، وأدى إلى تعدد الثقافات بها، وضمَّت مسيحيين وعرب ووثنيين استفسر منهم عن بعض أحوالها، وبالإضافة إلى هؤلاء هناك المسيحيون والتجار الذين يمرون عبرها فقط، ويبدو أنّه صادف حين تواجده بالبندقية العديد ممن ذهبوا إلى هذه المدينة [4].

ويروي أنّه قبل سقوط المدينة في يد المغول، تمكن أربعة من الرهبان من تنصير أحد رجالات السلطة بها، وخلال بقائه في ضيافته قال له: "أتليا التي تعني أبي هل ستأتي وترى المكان؟" وعندما قلت إنني سآتي عن طيب خاطر، ركبنا قاربًا، وتوجّهنا إلى دير كبير معين في أهل بلاد تسمى طيبة، ونادى عليه أحد رهبانهم قائلاً: "انظر هنا، هذا الربان الفرانكي" (فيما معناه هذا الراهب الفرنجي). أتى من حيث غروب الشمس، وهو ذاهب الآن إلى خان باليق ليصلي من

1-, Yule, vol.2, op. cit., p. 184.
2-, Ibid., p. 185.
3- Ibid., p. 188-191.
4- Ibid., p.193-194.

أجل حياة الخان العظيم لذلك أظهر له أيها الطاهر شيئا يستحق المشاهدة، حتى إذا عاد إلى بلده، فقد يكون قادراً على القول، لقد رأيت أشياء غريبة في هذه المدينة!" فأجاب الراهب أنه سيفعل ذلك بكل سرور" [1].

5.قتل المنصرين خلال القرن الرابع عشر للميلاد:

تميّز القرن الرابع عشر الميلادي بإرسال العديد من الرهبان إلى مختلف بلدان العالم، ينتمون في الغالب إلى هيئتي الدومنيكان والفرنسيسكان، أخذوا على عاتقهم مهمّة نشر الكاثوليكية، وقد تعرَّض هؤلاء للاعتقال أحيانا والقتل أحيانا أخرى بسبب الفتن التي أثاروها بين سكان المناطق التي نشطوا فيها. وحسب روايات الرهبان أنفسهم، فقد تم قتل بعض منهم في بلدان مختلفة، ومن بينهم الأربعة الذين قتلوا بمدينة "تانا" الهندية وهم في طريقهم إلى الصين [2].

وتعود تفاصيل هذه الحادثة إلى سنة 1320م، وذلك عندما استقرّ هؤلاء الأربعة لدى إحدى العائلات المسيحية بمدينة "تانا"، وحدث أثناء اقامتهم أن نشب شجار بين الزوجين، وعلى إثره لجأت الزوجة إلى القاضي المسلم لتشكو له زوجها، وقد طلب منها احضار شاهد للفصل في القضية، وعندئذ خطر ببالها الرهبان الماكثين لديها، وعوض النظر في شكواها، انغمس القاضي في مناظرة جادة معهم، دار موضوعها حول طبيعة المسيح عليه السلام وشخص الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يلبث أن تطوّر النقاش حتّى انجرّ الرهبان إلى التطاول على النبي صلى الله عليه وسلم، وشكّل هذا الانزلاق خطا أحمر بالنسبة للقاضي فأمر بإلقاء القبض عليهم، وكان عاقبة تجاوزهم القتل شنقا [3].

1- Yule, vol.2, op. cit., pp. 200-203.
2- Moule, op. cit., p. 198.
3- Yule, op. cit., pp. 117-122.

III.الكنيسة الكاثوليكية بالصين عقب موت مونتي كورفينو (1330م):

شهدت الكنيسة الكاثوليكية التي أرسى دعائمها يوحنا مونتي كورفينو، تطورا ملحوظا في عهده نظرا للمجهودات التي بذلها في سبيل ذلك، ولكن يبدو أنّ ذلك لن يدوم طويلا بسبب موته، فكيف ستتصرّف البابوية إزاء ذلك؟

1.مبعوث البابوية الجديد نيقولا بطرس:

لم يمض وقت طويل على موت كورفينو حتّى وصلت أخبار ذلك إلى البابوية، ليسارع على إثرها البابا يوحنا الثاني والعشرون (John XXII) [1] إلى إرسال بعثة أخرى يمثلها الراهب "نيقولا بطرس" (Nichola of Botras)، الذي ينتمي هو الآخر إلى هيئة الفرنسيسكان، ليتولى منصب رئيس أساقفة خان باليق يصحبه اثنان وثلاثين مرافقا[2]،ستة وعشرون راهبا، وستة علمانيين لنشر تعاليم الكاثوليكية بين المغول. في سنة 1334م توقّفت هذه البعثة في مدينة المالق[3]، وإثر ذلك قرّر بعض الرهبان البقاء مع الراهب الفرنسيسكاني "ريتشارد بورغاندي"، حيث تم بناء كنيسة لهم من قبل اثنين من الآلان [4].

---

[1]– اسمه الأصلي "جيمس ديوز"، نقله البابا كليمنت الخامس من أسقفية فريوس إلى أفينيون، وعيّنه أسقفا على بورتو في سنة 1312م، وبعد الوقت العصيب الذي مرّت به البابوية إثر موت كليمنت الخامس طيلة سنتين، تم تعيين "جيمس ديوز" بابا جديدا وتم تتويجه في مدينة "ليون" بفرنسا في سبتمبر من سنة 1316م إلى غاية 1333م.

انظر: Artaud De Montor, op. cit., vol. 4, pp. 19-30.

[2]– بلغ العدد حسب "يولي" عشرون راهبا، وستة علمانيين. M. l'Abbe Huc, op. cit., p. 394; Yule, vol.2, p. 13.

[3]– تقع هذه المدينة جنوب شرق بحير بلكاش (Belkach) في آسيا الوسطى، على طول أحد الطرق الرئيسية الرابط بين قوراقورم وسمرقند، بحلول القرن الرابع عشر شكّلت إحدى المحطات للتجار الأوروبيين وأيضاً أحد المراكز الأسقفية للبابوية التي سعت إلى تنصير المغول. لكن شعور السكان المسلمين المعادي للمسيحية أحبط المساعي التنصيرية بها. للمزيد انظر:

John Block Friedman, Kristen Mossler Figg, Trade, Travel, and Exploration in the Middle Ages. An Encyclopedia, pp. 15-16.

[4]- Ibid.

كان مبعوث البابا الجديد "نيقولا" فرنسيا، وأستاذا لعلم اللاهوت بجامعة باريس، حسب ما ورد في رسالة البابا إلى الخان [1]، لكن مصير هذه البعثة بقي مجهولا؛ إذ يبدو أنّ هذا الراهب الذي اختاره البابا ليخلف يوحنا في عام 1333م، لم يصل إلى العاصمة المغولية، ولا يوجد ما يدل على ذلك، على الرغم من بعض الأخبار القائلة بتوقّفهم بالمدينة المذكورة [2]. ويحتمل أنّ يكون نيقولا قد تواجد بمدينة المالق فيما بين سنتي 1335م و1336م، وسرعان ما تم قتله هناك بعدها بوقت قصير [3].

البعثة المغولية إلى البابوية في أوروبا:

دفع بقاء المنصب الكنسي شاغرا في الصين خاقانها المغولي إلى إرسال وفد إلى أفينيون بفرنسا[4] في سنة 1338م، شكّله كل من "أندرو فرانك" (Andrew a Frank)، وخمسة عشر شخصًا وفي هذه المدينة استقبلهم البابا بحفاوة بالغة، وقد أحضر معهم هؤلاء السفراء رسالتين إلى البابا، يُذكر أنّ إحداهما من الخان نفسه، والأخرى من بعض الأمراء المسيحيين [5]

1- M. l'Abbe Huc, op. cit., p. 394
2- Yule, vol.3, op. cit., p. 13.
3- Ibid., p. 35.

4- حاول خليفة بونيفاس، البابا بنديكت الحادي عشر (1303-1304م)، الذي ينتمي إلى هيئة الدومنيكان معالجة التمزقات التي مسّت البابوية، واستسلم للدولة واضعا بذلك حداً للصراع مع فيليب الرابع، وتم تعديل الجمل التي صرح بها بونيفاس، وتم إلغاء الحرمان الذي أصدره على ليون، وقد نسب موت بنديكت بعد فترة حكم قصيرة استمرت ثمانية أشهر إلى سم وُضع في طعامه، ليعقد اجتماع سري في بيروجيا التي مات بها، وبعد فترة استغرقت قرابة السنة، تم تعيين "برتراند دي جوت"، رئيس أساقفة بوردو تحت اسم كليمنت الخامس، وخلال انتخابه ظل بفرنسا، بعد أن أقام بلاطه في بوردو وبويكتييه وتولوز، واختار أفينيون في عام 1309م، مقرا لإقامته، وهكذا بدأ ما يسمى بمنفى أفينيون للبابوية استمر أكثر من سبعين عامًا، وشمل سبعة باباوات جميعهم فرنسيون، آخرهم "غريغوري الحادي عشر" (1370-1378م)، وهو ما أحدث هزة كبيرة للنظام البابوي. للمزيد، انظر Philip Schaff, op. cit., vol. 6, p. 28.

5- خطاب الآلان للبابا: "نعلم قداستكم، أننا منذ فترة طويلة اعتنقنا المذهب الكاثوليكي وشعرنا بارتياح شديد من قبل مندوب البابا السابق يوحنا مونتي كورفينو الذي مات قبل أكثر من ثماني سنوات، ومنذ ذلك الحين ونحن بلا قس، وعلى الرغم من ورود أخبار تفيد بإرسالك خليفة له إلا أنه لم يصل، وعلى هذا الأساس نطلب منك أن تتبعث إلينا قسا حكيما وجيدا يتولى إرشادنا في أقرب وقت، لأننا كالقطيع بلا قائد، كما نناشد قداستك أن ترد بكرم على سيدنا الامبراطور وأن تفتح بناءً

الذين كانوا في خدمته أي الآلان [1] الذين كانوا في خدمته [2].

يرى بعض الباحثين أنّه بغضّ النظر عن رغبة الخان "طوغان تيمور" في الحصول على العديد من الهدايا من خلال السفارة، ومن بينها خيول الحرب، إلّا أنّ معرفة السبب الأساسي يستدعي محاولة الإلمام بالجوانب السياسية للصين قبيل تلك الفترة؛ إذ وقع أن تمّ إبعاد الخان المغولي إلى مملكة كوريو في سنة 1333م قبل تتويجه، ومع ذلك فقد كان لا يزال وقتها قاصراً، وخلال ارسال السفارة سنة 1336م بلغ عمره سبعة عشر عاما، ولم يتمكّن من السيطرة على زمام الحكم، حيث أصبح دمية في يد كبير الوزراء "بيان" الذي نصَّب ابنته امبراطورة خلال أوائل حكمه، وفي ظِل المناورات التي أنهكت السلطة، أصبح اعتماد الحاكم بالدرجة الأولى على القادة العسكريين بمن فيهم الآلان الذين استغلوا الوضع لصالحهم، وطالبوه بإرسال سفارة رسمية باسمه إلى مقر البابوية لتعيين خليفة جديد لكورفينو[3].

في حين يفنّد داوسون (D'Ohsson) صحة وجود هذه السفارات التي تم تداولها في مناسبات عديدة في البلاطات الأوروبية على أنّها من حكّام المغول، ويعقّب يولي على حكم داوسون إذ يعزوه إلى عدم درايته برواية الراهب يوحنا الماريونولي بشأن بعثة العودة واستقبالها،

على طلبه وسيلة اتصال أكيدة ومريحة للرسائل المتكررة بينكما لضمان روابط الصداقة بين الطرفين وإذا قمت بذلك، فسيكون ذلك بمثابة خدمة عظيمة لإنقاذ الأرواح وتمجيد العقيدة المسيحية، ويعود بالنفع على هذه البلدان. في الفترة الماضية جاء ثلاثة أو أربعة رسل من لدنكم إلى سيدنا الخان الذي استقبلهم بلطف وأكرمهم، لكنه لم يتلق منذ ذلك الحين أي رد منك ولا من الكنيسة الرسولية، لهذا السبب يجب أن يرسل قداسته رسولا لأن شغور الكرسي نكبة كبيرة لمسيحيي هذه البلدان". كتب في خان باليق، سنة الفأر 1336م. انظر: Yule, vol.3, op. cit., p.183

[1]– هم قبائل بدوية إيرانية انقسمت إلى مجموعتين، رافقت الأولى الوندال إلى شمال أفريقيا، في حين بقت الثانية شمال البحر الأسود، اعتنق أفرادها المسيحية، واستخدموا اللغة اليونانية في طقوسهم، وخلال فترة حكم المغول عملوا سعوا لضمان مصالحهم وشغلوا عدة مناصب موظفين ودبلوماسيين متخصصين في العلاقات مع الغرب. انظر: John Friedman, Kristen Figg, An Encyclopedia, op. cit., p. 158.

[2]- Yule, vol.3, op. cit., pp. 180-183.

[3]- Jong-Kuk Nam, The Envoy to Pope Benedict XII by the Great Khan in 1336, The 10th Japanese-Korean Symposium on Medieval History of Europe, 2019, p. 79.

ويضيف أنّ الرسالة [1] المنسوبة إلى الخان هي حقيقية بالفعل، نظرا للأسلوب المتَّبع فيها مثل غياب تفخيم الألقاب حسب قانون الياسا المتداول لدى المغول[2]. إنّ رأي داوسون ينقل الباحث إلى أسطورة الراهب يوحنا، التي ساهمت الكنيسة الغربية في نشرها على نطاق واسع في أنحاء أوروبا، وأمّا عن مضمون الرسالة فهو لا ينم عن أي رغبة في اعتناق المسيحية، وإنّما الرغبة في الحصول على الدعاء والهدايا، وربما حتى التبعية كما هو معهود لديهم مع الشعوب التي خضعت لهم.

وخلال وقت قصير، أي في يوم 13 جوان 1338م انطلقت البعثة للعودة إلى الصين، وتحمل معها رسالة من البابا "بنديكت الثاني عشر" (Benoit XII)[3]، تتضمّن الإجابة للخان ومن خلالها أعرب له البابا فيها عن سروره الكبير لما تلقاه منه من خطاب لطيف ورسائل شفوية ودّية عن طريق مبعوثيه، وكذا عن تفانيه الكبير في خدمة الكنيسة الغربية، ملتمسا منه الاستمرار في سلوكه الودي تجاه الأمراء الخمسة من الآلان [4]، والسماح للكهنة والرهبان الكاثوليك والمسيحيين عموما، ببناء وامتلاك الكنائس ونشر دينهم بحرية في إمبراطوريته، معلنا في الأخير عن

---

[1]– محتوى الرسالة: "في قوة الله القاهر": "أرسلنا مبعوثنا أندرو الفرنجي (Andrew the Frank) مع 15 شخصا آخر، إلى البابا سيد المسيحيين في أرض الفرنجة وراء البحار السبعة حيث تغرب الشمس، لفتح الطريق لتبادل متكرر من الرسل بيننا وبين البابا، وليرسل لنا بركته، وأن يتذكرنا دائمًا في صلاته المقدسة، وأن أوصيه بالآلان (Alans)، خدامنا وأبنائه المسيحيين. نرغب أيضًا في أن يعيد رسلنا إلينا الخيول وأشياء نادرة أخرى من أرض غروب الشمس". كتب في خان باليق، في سنة الفأر، في الشهر السادس، في اليوم الثالث من القمر. للاطلاع على محتوى الرسالة ارجع إلى: Yule, vol.3, op. cit., p. 180,181.

[2]- Ibid., p. 180.

[3]– اسمه العائلي "فورنييه" ولُقّب دي نوفو. كان قريبا من البابا يوحنا الثاني والعشرين، ولد بالقرب من تولوز، وبعد أن تبنّى حياة الرهبنة في دير بولبونا، درس بباريس وتم انتخابه أسقفا لباميرز تسع سنوات، لقّب بالكاردينال الأبيض، ونصّب في الثامن من جانفي 1335م في دير الدومينيكان من قبل الكاردينال نابليون أورسيني الذي توج الباباوات الثلاثة السابقين لبنديكت. انظر: Artaud De Montor, op. cit., vol.4, p. 30-34.

[4]– الآلان الخمسة هم: فوديم يوفينز (Fodim Jovens)، وتشيانسام تونجي (Chyansam Tongi)، وشيمبويا فينسي (Chemboya Vensy)، وجواني يوشوي (Joanni Yochoy)، وروبيو بينزانو(Rubeo Pinzano) . انظر: Jong-Kuk Nam, op. cit., p. 82.

نيته في إرسال بعثة إلى الصين، على أمل أن يتم استقبال ممثّليها جيدا والاستماع إليهم بصبر وطيبة، حتّى تؤتي أعمالهم التي يغرسونها ثمارها [1].

وفي الوقت ذاته كتب البابا إلى كبير الآلان "فودييم يوفينز"، موصيا إياه وبقية الأمراء في السعي إلى بذل جهودهم للحصول على تراخيص للمسيحيين من أجل بناء الكنائس لهم ولرؤسائهم الروحيين لأداء مهامهم التنصيرية بحرية، وخطاب آخر ثالث موجه إلى أمراء الآلان الخمسة مجتمعين، يدلهم على العقائد الرئيسية للكاثوليكية [2].

2. بعثة يوحنا الماريونولي (John of Marignolli) (1338–1353م):

انطلقت هذه البعثة في شهر نوفمبر من سنة 1338م، يشكّلها أربعة من الرهبان الفرنسيسكان، وهم أستاذ اللاهوت "نيقولا بوني" (Nicholas Bonet) و"نيقولا مولانو" (Nicholas of Molano) و"يوحنا الفلورنسي" (John of Florence) و"غريغوري المجري" (Gregory of Hungary)، وقد حرص هؤلاء على نشر الكاثوليكية في كل الأماكن التي زاروها أو حتى تلك التي سكنوا فيها وقتا قصيرا، وتميّزت هذه السفارة عن سابقاتها، لكونها الوحيدة تقريبا التي أرسلها البابا بناءً على طلب من الخاقان الصيني نفسه والآلان [3].

كما تميّزت في أنَّها السفارة البابوية الوحيدة في العصور الوسطى التي تركت بصمة في التأريخ الصيني المعاصر، بسبب الحصان الأوروبي الرائع الذي احتوته الهدايا التي أحضرها أعضاء البعثة للخان، لتصل بعدها الكاثوليكية بالصين إلى مرحلة الانهيار والزوال، ومن الممكن أنّ "وليام دي بري" (Guillaume du Pré)، الذي تم تعيينه رئيسا عليها في سنة 1370م، قد مات في طريقه إلى الصين، مع أنّ ذكره قد ورد في حوليات سلالة مينغ، على أنّ مبعوثا أوروبيا قصَد المنطقة في سنة 1371م، وحسب رئيس أساقفة السلطانية، "يوحنا" الذي أصبح في سنة

1- M L'Abbe, op. cit., p. 406.
2- Ibid., p. 407.
3- Ibid.

1410م مشرفا على الكرسي، فشارل الفرنسي (Charles of France) الذي يحتمل أنه خلف وليام مات هو الآخر في حدود سنة 1404م [1].

حملت البعثة رسالة من البابا "بنديكت الثاني عشر" بتاريخ 1338م إلى خان امارة جغتاي، يشكره فيها على حسن معاملته للمسيحيين، وإلى رئيس الأساقفة "نيقولا" الذي كان في طريقه إلى خان باليق، ورسالة أخرى إلى وزراء الخان تتحدث عن منحهم قطعة أرض لبناء كنيسة عليها [2].

ربما حقّقت بعثة يوحنا بعض النجاح خلال تواجدها بالمنطقة بفضل مجهودات الرهبان الفرنسيسكان، حيث ازداد عدد مراكزهم، ومع ذلك "تم إعطاء الأولوية والاهتمام للذين سكنوا دير مونتي كورفينو، بالقرب من القصر الإمبراطوري، لدرجة أن الخان أجلسهم على طاولته، وسمح لهم بالتعامل مع أهل البلاط، وقد تضاعف هذا الاحترام والتأثير اللذين تمتع بهما المنصّرون في الصين بوصول يوحنا الفلورنسي وأصحابه الذين نشطوا بها لمدة عشر سنوات"[3].

ومع أنّ المؤرخ "لابي هوك" (M. L'Abbe Huc) يعتقد أنّ مرسوم الخان الذي صدر بالتزامن مع تواجد هؤلاء الرهبان في بلاد الصين، سَهَّل مهمتهم؛ إذ سمح لهم بنشر المسيحية في جميع أنحاء الخاقانية، ومنحهم شرف استقبال أمراء الشرق لهم، وفي إطار هذه الحظوة سعى يوحنا جاهدا إلى "نشر تعاليم الديانة الكاثوليكية في جميع أنحاء أراضي المغول واجتياز مقاطعاتها بحماسة واندفاع" [4]. الواقع أنّ الأخبار حول هذه البعثة ليست غزيرة وكان بمقدور يوحنا أن يضمن تغطية تاريخية شاملة لها من خلال كتابه تاريخ بوهيميا الذي كتبه عام 1353م، بعد عودته إلى أوروبا

1- Jackson, op. cit., pp .259-260.
2- Yule, vol.3, p .34.
3- M L'Abbe Huc, op. cit., p. 407.
4- Ibid., p. 408.

إلا أنّه لم يقدم سوى معلومات قليلة عنها وعلى غرار أودوريك فإنّه أبدى اهتماما كبيرا بسرد الأعاجيب أكثر من اهتمامه برسالة الكنيسة الغربية وتطورها في بلاد المغول [1].

وبالعودة إلى يوحنا ماريونولي[2] فإن تاريخ مولده مجهول، ولكن بناءً على مذكراته التي كتبها في حدود سنة 1355م، والتي أصبح وقتها رجلاً مسناً، يستنتج "يولي" من خلالها أنّ مولده على أغلب احتمال حدث قبل سنة 1290م، ويعد أحد أعضاء دير هيئة الفرنسيسكان سانتا كروس (Santa Croce) بفلورنسا، اشتهر بمؤلفاته العديدة[3]، أبرزها تاريخ بوهيميا (Chronicon Bohemorum) [4].

ولا يوجد الكثير عن تفاصيل البعثة باستثناء ما ورد في تاريخ بوهيميا، ومع ذلك يمكن تتبّع بعض المعلومات حسب يولي من خلال الاعتماد على ما ورد في حوليات وادينغ، ففي سنة 1342م بخصوص وصول الرهبان إلى بلاط العاصمة الصينية، وأيضا بعد أحد عشر عامًا فيما يتعلّق بعودة أعضائها الباقين إلى مقر الكنيسة في أفينيون [5].

1- Jackson, op. cit., p. 261.

2- يوحنا الماريونولي، ينتمي إلى فلورنسا، من منطقة ماريونولي سان لورينزو (San Lorenzo)، وماريونولي عائلة نبيلة للجمهورية التي اشتق اسمها من قرية تسمى (Marignolle)، كانت هذه الأسرة من أكثر العائلات نفوذا في فلورنسا خلال فترة العصور الوسطى. انظر: Yule, vol.3, op. cit., p186.

3- في سنة 1335م طلب الملك "تشارلز الرابع" من الراهب الفرنسيسكاني يوحنا الماريونولي، أن يكتب له تاريخ بوهيميا ليقدمه خلال الاحتفال بتتويجه ملكا عليها، لذا فقد كتب ماريونولي بين عامي 1355و1358م وقائع عالمية تبدأ من تاريخ خلق العالم بعنوان (Chronicon Bohemorum) ويستند القسم الأخير، أي القسم الخاص بالتاريخ البوهيمي إلى سجلات داليميل (Dalimil's Chronicles)، ومن بين كل السجلات الخمسة المكتوبة، يعد يوحنا هو الوحيد الذي أفرد لها مقدمة مكتوبة من قبل الامبراطور نفسه. للمزيد انظر:

Irene Malfatto, John of Marignolli and Historiographical ¨Project of Charles, Acta Univ Carolinae, 2015, pp.131-140.

4- Yule, vol.3, op. cit., p. 187.

5- Ibid., p. 188.

وعلى الرغم من المعلومات حول هذه البعثة، ولكن يُحتمل أنّها ضمت عددا جيدا من الرهبان. وحسب أحد المؤرخين الألمان المعاصرين، فقد تم إرسال خمسين قاصرًا بهذه المناسبة، ولكن من الواضح أن ملاحظته مصحوبة بإحدى العبارات الشائعة في ذلك الوقت، فيما يتعلق باعتناق الخان للمسيحية، وأخطاء أخرى واضحة يذكرها ماريونولي عن عدد أعضاء البعثة، أثناء إقامتهم في بالصين، والذي تألف من اثنين وثلاثين شخصا، ولكن دون مزيد من التفاصيل. ولا نعرف حتى ما حدث لزملائه. وعلى الرغم من أنّ اسم ماريونولي يأتي في المرتبة الثالثة فقط في رسائل البابا، لكنه يتحدث طوال روايته كما لو كان القائد والمسؤول إن لم يكن ممثل البابا الوحيد. وهو الوحيد الذي أورده وادينغ بالاسم في إشاراته القصيرة بالإجراءات وعودة المهمة [1].

يركّز يوحنا في مذكراته على الآلان، ويصفهم على أنّهم "أعظم وأنبل أمة في العالم، وأجمل الرجال وأشجعهم"، وقد وصل عددهم في عهده أي النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي إلى ثلاثين ألف، وشغلوا كموظفين عند الخان أهم المناصب في الدولة، مع الأخذ بالاعتبار أنّهم جميعا مسيحيون، وإن كان بالاسم فقط، أنّ تولي تلك الأعداد الهائلة من الأجانب للمناصب العليا يدل على مدى الضعف الذي وصلت إليه الدولة المغولية [2].

في حين يصف الراهب "بيرجرين" الآلان، بأنّهم مسيحيون صالحون، يعيش ثلاثون ألفا منهم على نفقة الخاقان، ويأتي هؤلاء الرجال مع أسرهم إلى رئيس الأساقفة يوحنا قصد نيل النصيحة والارشاد [3].

سهَّلت سياسة المغول من ممارسة هؤلاء الرهبان لنشاطهم، بموجب مرسوم جديد، يسمح لهم بنشر تعاليم الكنيسة الغربية في إطار دولتهم، وطلب من الأمراء الآخرين في الشرق منحهم شرف الاستقبال، وهو ما يسّر ليوحنا الفلورنسي اجتياز المقاطعات بحماسة شديدة في سبيل نشر معتقده.

1- Yule, vol.3, op. cit., pp. 188-189.
2- Ibid, pp. 187-188.
3- Dawson, op. cit, pp 332-333.

ويظهر أنّ نشاطه أسفر عن بناء كنائس جديدة للمتنصّرين، وانتشار العقيدة الكاثوليكية، في ربوع أراضي المغول وكلّفه هذا النشاط حوالي اثني عشر عامًا. وفي عام 1353م عاد إلى أفينيون وفي حوزته رسائل من الخاقان الذي كان قد فارق الحياة، واستنادا إلى حوليات الرهبان الصغار، يؤكّد يوحنا إعلان الخان الكبير عن احتفائه بالدين المسيحي، ووضَع جميع رعاياه خاضعين لطاعة البابا، كما طلب المزيد من الرهبان لتنصير رعايا دولته الواسعة [1].

وحدث خلال زيارة الملك "شارل الرابع" (1316-1378م) لإيطاليا سنة 1354م، لتتويجه امبراطوراً من قبل البابا في روما، أن تعَّرف على ماريونولي الذي عاد حديثا من مهمته في الصين إلى أرض الوطن، وجعله أحد القساوسة المحليين. وربما يرجع سبب ذلك إلى رغبته في معرفة وسماع أخبار وعلاقات شخص سافر إلى نهاية العالم في أوقات الفراغ، لأن شارل على الرغم من أخلاقياته فقد كان شخصا ذكيا محبا للتعلم والفنون المفيدة ومشجِّعا لها [2].

وفي نفس السنة أيضا، كافأ البابا المبعوث "يوحنا" بتعيينه رئيسا على أسقفية بيسينيانو في كالابريا بجنوب إيطاليا، لكنه لم يبد حماسه الشديد في الانتقال إليها والاشتغال بها، حتّى إنّه رافق الامبراطور عند عودته من إيطاليا إلى البابوية، وفي سنة 1356م كان في أفينيون، بصفته مبعوثا إلى البابوية من جمهورية فلورنسا، وفي سنة 1357م تم منحه امتيازات التساهل من قبل إحدى الكنائس بمدينة بولونيا، وممّا لا شك فيه، أنّ الامبراطور أراد من المبعوث البابوي إلى المغول إعادة صياغة حوليات بوهيميا التي وردنا من خلالها بعض من أخبار رحلته إلى الشرق[3].

V. أسباب فشل المسيحية اللاتينية في الصين:

لم تحقّق هذه البعثات التي حملت في البداية طابعا دبلوماسيا، على الرغم من أنّ ممثّليها حملوا معهم رسالة تدعو الحاكم المغولي إلى اعتناق المسيحية، وهي الغاية المرجوّة منها [4]، ومع

1- Yule, vol.3, op. cit., p. 199.
2- Ibid.
3- Ibid.
4- Jackson, op. cit., p. 256.

ذلك فقد زودتنا بمعلومات عن أقوام الشرق البعيد، وعن عاداتهم وتقاليدهم وأهم معتقداتهم، بالإضافة إلى معلومات عن مختلف المناطق التي مروا بها في أثناء رحلتهم[1]، ووضعت الحجر الأساس الذي اعتمدت عليه البعثات اللاحقة إلى المغول، وينبغي الإشارة هنا إلى أنّ أعضاء هذه الارساليات في الغالب ينتمون إلى الهيئات الدينية المسيحية.

ثمة أسباب عدة ساهمت في زوال المجموعات التنصيرية اللاتينية من المناطق التي مارسوا بها نشاطهم وكذا اختفاء الديانة الكاثوليكية فيها سواء داخل أراضي دولة المغول في الشرق الأقصى، أو تلك التابعة لنفوذها. ومن أهم هذه الأسباب الموت الأسود (الطاعون) وما خَلّفه من آثار على الارساليات في منطقة الشرق حيث قضى على الكثير من الأديرة في بلاد فارس باستثناء ثلاثة منها، كما تعطّلت عملية التجنيد في غرب أوروبا مما صعب المهمة على البابا "كليمنت السادس" للانطلاق من جديد في مشروع التنصير سنة 1349م [2].

ومن العوامل التي أثّرت سلبا أيضا على استمرارية نشر الكاثوليكية في بلاد الشرق، بداية الانقسام الكبير (1378-1417م) الذي شتّت القوى الأوروبية المسيحية وقسّم ولاءاتها بين مؤيدين ومعارضين للبابوات المتنافسين في روما وأفينيون، وهو الذي أدّى إلى الحيلولة دون الحفاظ على نشاط الطوائف التنصيرية من قبل البابوية [3].

الواقع إنَّ تراجع المسيحية بات أمراً حتميا أمام تبني الخاقان الصيني للبوذية، في حين اتخذ الحكام المغول للولايات الثلاث الايلخانات والقبيلة الذهبية ومغول جيغتاي، الإسلام دينا لهم وسار على نهجهم العديد من الأتباع، وانعكس هذا الأمر سلبا على المنصرين الذين لم يلبث أن تعرضوا للأذى والموت في المناطق الخاضعة لنفوذ هذه السلالات بما في ذلك الجغتائية، ومما زاد من تعقيد أحوال المنصّرين تهكم وتهجم هؤلاء على الإسلام والإساءة إلى نبي الإسلام محمد صلى الله

1- Dawson, op. cit., p. xxii-xxiii.
2- Jackson, op. cit., p. 260.
3- Ibid.

عليه وسلم، ثم شكّلت الضربة الموجهة للمنصّرين تولي تيمور للسلطة على الجيغتائيين، وحملات الفتح التي قادها في كل من فارس والشرق الأدنى على مدار خمسة وعشرين عاما (1380-1405م)، كانت نتيجة تقليص عمل المجموعات التنصيرية المتبقية. وبالنسبة للشرق الأقصى، فقد أثّر سقوط أسرة يوان على نشاط الرهبان الذين استفادوا من حماية الخان المغولي؛ إذ يبدو أنّ السلالة التي أعقبتها بالغت في كرهها للأجانب واعتبرت المنصّرين جزءا منهم، وتم بعد ذلك مسح جميع آثار الوجود الفرنسيسكاني بالمنطقة، وعندما وصل اليسوعي "ماتيو ريتشي" (Ricci) بعد أزيد من قرنين من الزمان لم يعثر على بقايا لهم هناك [1].

وهناك عامل آخر أضرّ كثيراً بحركة التنصير في المناطق الخاضعة لنفوذ المغول وساهم في هشاشتها، جهل المنصّرين حسب تصريحاتهم -على الأقل في السنوات الأولى لمهماتهم- بلغات أقوام منطقة آسيا، وهو ما زاد من صعوبة مهماتهم [2].

ومن خلال تساؤله، يكشف المؤرخ الفرنسي "ريتشارد" عن أحد الأسباب المؤدية إلى الاضراربمستقبل حركة التنصير في البر الآسيوي واضعافها هو اهمال الكنيسة الغربية لفكرة اتحاد الكنيستين الكاثوليكية والنسطورية مما يكفل نجاحا مؤقتا للبعثات انجر عنه العداء بين الطائفتين وتضرر المسيحيين عامة[3].

ومع ذلك، ناهيك عن الأهداف البابوية وراء نشر الكاثوليكية بالصين وزوالها في نهاية المطاف، ينبغي الاعتراف بمجهودات المنصّرين، وتأثيرهم ولو كان محدودا في المجتمعات التي عاشت في ظل سلالة يوان المغولية بالصين ومنغوليا، وتمكّنهم من تأسيس دور للعبادة لهم ولأتباعهم.

1- Jackson, op. cit., p. 260.
2- Dawson, op. cit., p .333.
3- Richard, op. cit., p. 166.

الفصل الثالث

سياسة المغول التجارية والدينية

الفصل الثالث: سياسة المغول التجارية والدينية

I. السياسة التجارية للحكام المغول

II. السياسة الدينية للحكام المغول.

الفصل الثالث: سياسة المغول التّجارية والدينيّة

أثّرت سياسة حكام المغول على مختلف جوانب دولتهم، وفي مقدمتها المعتقدات السائدة، ولتوضيح ذلك سيتم التطرق إلى كل من السياسة التجارية والدينية، لتبيين ارتباطهما الوثيق بانتشار المذاهب الدينية في المناطق الخاضعة لحكم أسرة يوان، وبالتحديد الديانة المسيحية.

I.السياسة التّجارية للحكام المغول :

حرص المغول خلال حكمهم على تأمين الطرق التّجارية على نطاق واسع يشمل جميع المناطق الخاضعة لنفوذهم، وعلى تشجيع التّجار على القدوم إلى أراضيهم، ولا شك أنّ لهذه السياسة تأثيرها على انتشار المسيحيّة كما كان للتّجار دورهم الفعّال في نقل ثقافتهم ومعتقداتهم، وهو ما كرّس التّفاعل الحضاري في المنطقة.

1. النشاط التّجاري للإمبراطورية المغولية:

نتج عن غزوات الامبراطورية المغولية خلال القرن الثالث عشر للميلاد، ظهور فئة حاكمة تملك ثروة كبيرة قوامها الذهب والفضة والحرير والأحجار الكريمة، فعّلت الانتقال من حياة البداوة والتّقشف إلى حياة البذخ والترف، وقد أظهرت هذه الشريحة الجديدة استعداداً ملفتا لدفع أسعار باهظة للسلع النادرة بشكل كبير من قبل، شكّلت هذه الظاهرة سوق جذب للتجار أنفسهم. وأمّا الدولة الناشئة فإنّها سعت لإحياء قطاعي الزراعة والتجارة محاولة بذلك اصلاح الدمار الذي أحدثته الغزوات المريعة، وحسب ما نقله جاكسون عن البروفيسور "ألسن" (Allsen) فإن طبقة المغول عملت على تنمية الحركة التجارية من خلال ترويج منتوجاتها وكذا استقبال السلع الجديدة، ومن بين البضائع الهامة التي تصدّرت معروضات السوق، المنسوجات الفاخرة كأقمشة الذهب المعروفة في أوروبا الغربية باسم "بانا تارتاريكا" و"قماش التارتار" والتي ألف ارتداءها في الغالب النبلاء والحكّام في المناسبات والاحتفالات، وهي تحفة اقتنوها كهدايا فاخرة من غيرهم [1].

[1]- Jackson, op. cit., pp.290- 291.

وهذا يعني أنّ المنصرين ليسوا وحدهم من اختار الذهاب إلى بلاد المغول طواعية، فإلى جانب المسيحيين، كان هناك آخرون جنّدوا مرتزقة في الجيوش المغولية – في الصين وبلاد فارس –، في حين سافر التجّار عبر طرق آسيا بحثًا عن الأرباح، دون إغفال أولئك الذين اختاروا العمل لصالح المغول كمترجمين أو كتبة أو وكلاء لمساعدة المغول على إدارة إمبراطوريتهم [1].

أحضر التجّار المسلمون الأواني الفارسية والعربية وغيرها من المنتجات، ليحملوا معهم الحرير والأحجار الكريمة والعديد من المنتوجات الصينية المشهورة عند أيابهم، وقد أهَّلت هذه الأوضاع الصين أن تصبح أحد المركز التجارية الممتازة والمقصودة، وخلال عهد قوبيلاي شهدت التجارة امتدادا غير مسبوق لاتساع نطاق حكم هذا الخاقان [2].

لقد ساعدت الإنجازات العمرانية التي حقّقها المغول كبناء الجسور وشق الطرقات عبر الصخور وجعل الممرات عملية وفعّالة، وإنشاء مراكز بريدية مزوّدة بالخيول كل خمسة وعشرين أو ثلاثين ميلا، على تسهيل سبل الراحة والأمان للمسافرين، كما تم إنشاء مباني ضخمة لإيواء الأشخاص ذوي المقامات العالية وفق ما يتناسب ووجهاتهم، وجُهّزت كل واحدة منها بنحو 400 حصان حرصا على توفير الوقت وعدم التأخير[3]، لتتجاوز تلك المراكز عشرات الآلاف مزودة بأكبر عدد ممكن من الخيول، من أجل ضمان سير حركة المرور دون عقبات على طول الطرق الرابطة بين أنحاء ولايات الصين [4].

ساهمت هذه الحركة التّجارية في تطور العلاقة بين المغول والتّجار الأجانب، وكامتياز صار هؤلاء التّجار يحصلون من الحكام المغول على ألواح السلطة المعروفة باسم "بايزة" (Paizas)، والتي باتت تمنح للسفراء والمتنقلين ضمن نطاق أراضي الخاقانية، وهو بمثابة جواز سفر ما يوفر لهم سبل

1- Richard, op. cit., p .84.
2- Michael Prawdin, op. cit., p .329.
3- ماركو بولو، المصدر السابق، ج.2، ص ص.69-70.
4- Michael Prawdin, op. cit., pp .329-330.

الراحة والحماية والأمان داخل حدودها، واستخدام البريد بالإضافة إلى امتيازات أخرى، والسبب هو أنّ العديد من تجار المسافات الطويلة أبرموا عقودا مع الإدارة المغولية، وقاموا بإعطاء رأس المال لتمكينهم من استيراد السلع التي يريدها هؤلاء الخانات، وتم تمييز التّجار الذين يتمتّعون بهذه العلاقة التعاقدية مع النظام باسم "أورتوي" (Ortoy) أي "شريك"[1]، وفي الصين خلال القرن الثالث عشر على الأقل حتى إصلاحات قوبيلاي، قدَّم عدد منهم سلفًا نقدية كبيرة للحكام وعملوا مزارعين للضرائب، وهو ما سعى الصينيون إلى محاربته بشدة دون فائدة [2].

بناءً على طلب المغول لبضائع من مختلف مناطق العالم، فقد حلَّت عقود الأورتوي مشكلة تجارة المسافات الطويلة والمخاطر المترتّبة عنها بطريقتين: الأولى صار في إمكان التجار الوصول بسهولة إلى رأس المال لتحمُّل مشاق الطريق، والثانية أصبحت مخاطر الرحلات الكبيرة محدودة، لأنّ أي

[1]- أفضل تعريف لهذه الكلمة "هو تاجر يعمل برأس مال يوفره أمير مغولي أو مسؤول حكومي". وهي ذات أصل تركي تعني "شريك"، ومع ذلك فهي أكثر شيوعًا في اللغة المغولية منها في التركية. لكن المتفق عليه عموما أن الترجمة التركية لأورتوي هي الأرتاق، وبالترجمة الصينية ووتو (Wo-t'o)، ويرجع الاختلاف في تداول الكلمة إلى الامتداد الواسع للإمبراطورية المغولية، وعلى الرغم من تعدد الترجمات، يمكن إرجاع الكلمة التركية الأصلية (Ortaq) إلى القرن الحادي عشر على الأقل. ويعود أول استعمال للكلمة إلى سنة 1237م في عهد أوكتاي، ففي تقرير كتبه مبعوثان من جنوب الصين التي خضعت وقتها لسلالة "سونغ" إلى الخان المذكور، يوضّح الممارسة المبكرة للكلمة حيث وكّل المغول التجار المسلمين بالفضة لكسب الفائدة عليها. في حين لا يستخدم مصطلح (Wo-t'o) على وجه التحديد في النص، فمن الواضح أنّ هذه الممارسة تنسب إلى المسلمين أو كما عرفوا بـ الهوي هوي (Hui-hui)، "الذين تكون براعتهم مرعبة للغاية" على حد تعبير أحد المبعوثين (P'eng ta-ya)، ليست سوى تلك الخاصة بتجار أورتوي. وحسب المصادر الفارسية فإن هذا الخان منح مبالغ نقدية ضخمة لهم، وحصد من وراء ذلك أرباحا جمة، في المقابل دفع ثمن استنزاف الفضة من الخزانة على أيدي هؤلاء التجار، سكان شمال الصين الذين فرضت عليهم ضرائب جد ثقيلة. للمزيد انظر:

Peter Bozian, the Role of Ortoy Merchants in the Mongolian Court : From the Rise of the Mongol Empire to the Fall of Yuan Dynasty, Asia Major, vol.2, n.2, 1989, pp.90-91 ; Elizabeth Endicott-west, Merchant Associations in Yuan China "The Ortoy ", Asia Major, Third Series, vol.2, n.2, 1989, p. 132.

[2]- Jackson, op. cit., pp. 290-291.

خسارة تقع تكون مناصفة بين التاجر والمستثمرين. ومع أنّ الأساس التعاقدي لهذه الجمعيات غير واضح، ولكنه في كثير من الأحيان على الأقل في مرحلته الأولى يعتبر اتفاقًا، يعطي المستثمر وفقه رأس المال للتاجر من أجل مشروع تجاري، ليعود رأس المال إلى صاحبه بحصة من الأرباح [1]. وبذلك سهَّلت الأورتوي للمغول إيجاد طريقة لاستغلال ثرواتهم الجديدة لكسب الربح، وتعزيز التجارة داخل أراضي الخاقانية [2].

تمثّلت أعمال الشراكة بشكل رئيسي بين أولئك الذين قدموا رأس المال من أجل استثماره، وأولئك الذين تحمَّلوا مشاق ومخاطر الطريق في كل من العالم الإسلامي وأوروبا في العصور الوسطى. وقد سمحت عقود الكوموندا (Commenda) الموجودة عند المسلمين والأوروبيين من تجميع المستثمرين لرؤوس أموالهم وإسنادها إلى مدير، يعيد لهم بعد تداولها كلا من رأس المال وحصة محددة مسبقا من الأرباح. والأمر ذاته فيما يتعلق بالترتيبات التجارية المبرمة بين الحكام المغول وتجار أورتوي، ومن الواضح أنّ تجسيد سكان شمال الصين لدور المستثمرين في أوائل العهد المغولي من خلال تحمّل وطأة الابتزازات التي فرضها هؤلاء، ودون الحصول حتى على أدنى فائدة من العوائد التي ظلّت تحت قبضة الأسرة الحاكمة [3].

يعود السجِل الأول لتعيين مسؤول حكومي في الفترة المغولية للإشراف على هذا النوع من الأنشطة التجارية إلى عهد "مونكو" خان في سنة 1253م، عندما تم تنصيب "بورال كراسون" (Boral Qarasun) مسؤولا عن التّجار، وعلى الرغم من غياب الدوافع التي جعلت الخانات يفرضون ضوابطهم عليهم، إلّا أنّه من السهل التوقع أنّ أنشطتهم لم تحظ بشعبية كبيرة، كما أنّ بعض أشكال إشراف الحكام قد يسمح لهم بفرض ضرائب على التجار[4].

1- Elizabeth Endicott-west, op. cit., p .132.
2- Ibid.
3- Ibid., p .133.
4- Ibid.

وخلال عهد قوبيلاي زاد انتشار واستعمال اللوائح المتعلقة بتتبع الشركاء، فعلى سبيل المثال في سنة 1268م تم إنشاء مكتب خاص للإشراف عليهم. وفي سنة 1272م تم إنشاء مكتب الـ (Wo-t'o-so)، أو المكاتب الإقليمية للإشراف على نفس الفئة، ولكن المعلومات عن عدد ومواقع هذه المكاتب شحيحة جدا [1].

ترأّس الأمير المغولي النسطوري "داشمان" الذي ينتمي لقبيلة كرايت في سنة 1285م مكتب الشوانفوسي (Ch'üan-Fu-Ssu)، وعلى الرغم من انتمائه لإحدى العائلات النسطورية، إلّا أنّ ذلك لم يمنعه- على عكس عيسى كلمجي- من حماية المسلمين في بلاط قوبيلاي من تعصّب المسيحيين الآخرين، والمحاولات الجادة لقهرهم وإبعادهم، وحسب اقتراح يانغ (Yang-Chih-Chiu) أن إدارة المسؤول الكرايتي للمكتب جعلته على اتصال وثيق بالتجار المسلمين، مما مكنه من تطويرها إلى علاقات تعود بالفائدة على الدولة[2].

من المؤسف أنّ النصب التذكارية المتعلقة بإلغاء وإعادة إنشاء مكتب الشوانفوسي لم تعد موجودة، لأنّها ستلقي بلا شك الضوء المباشر على هذه القضايا؛ إذ من الواضح أنّ بلاط قوبيلاي على غرار أسلافه، أنفق قدرا هائلا من الطاقة في الخلاف حول مسائل تتعلق بالأعشاب. وهذه الحقيقة بحد ذاتها تجعلنا نرى مدى تأثير المصالح التجارية على سياسة الإمبراطورية [3].

1- Elizabeth Endicott-west, op. cit., p.132.
2- Ibid., p.138.
3- Ibid.

2. البايزة: المرسوم أو التأشيرة المغولية لعبور الطرق التجارية:

في البداية مثّلت البايزة (Paizah) [1]–وهي عبارة عن لوح ذهبي– تأشيرة عبور تم إعطاؤها من قبل الخانات المغول لأعضاء البيت الحاكم، الذين تم انتدابهم للعمل لصالح الخانات، ومنحت بموجبها عدة صلاحيات لحاملها، منها قدرته على طلب كل ما يحتاجه منطقة يتواجد بها وتزويده به دون مقابل، ولاحقا تم منحها للأفراد البارزين الذين حصلوا على تكريم الخان، على أن يرفق حامل اللوح بمذكرة مكتوبة تسمى "الياليغ" [2] (Yarligh)، وتقديمها له بمثابة دليل على أنّه لم يسرقها [3].

تم منح هذه الألواح أو البايزة لأولئك الذين يعملون لصالح الخاقانية، لضمان تنقّلهم الآمن داخل أراضيها، واستخدام البريد والعديد من الامتيازات، والسبب هو أنّ العديد من تجار المسافات الطويلة أبرموا عقودا مع الحكومة المغولية، مما أدّى إلى استخدامهم لرأس المال لتمكينهم من استيراد السلع التي يريدها المغول [4].

كان لهذا اللوح عدة أنواع من "البايزات" و"الياليك"، وفي بعض الحالات أتت مطابقة في طبيعتها مع مرسوم السلطان التركي (Buyuruldi)، وهو ليس أكثر من تصريح للسفر، والمطالبة بنقل الخيول أو البغال عند الدفع، وقد تم العثور على أحد النماذج للبايزة مصنوعة من الفضة، ويبلغ طولها حوالي 12.25 بوصة وعرضها 3.75 بوصة، في دائرة مينوسينسك التابعة لحكومة ينيسي سنة 1846م، وهي محفوظة الآن في متحف أكاديمية سانت بطرسبرغ، تم صبّ الحديد في أحد طرفيها، وتم استخدامها عن طريق تعليقها، أما الكتابة المدونة عليها فهي باللغة المغولية وبصيغة "الفاغز–با"، والتي من الممكن أنّها تعني "بقوة السماء الأبدية!"، قد يكون اسم الكاكليان (أي ملك الملوك)

---

[1]– البايزة (Paiza): عبارة عن لوح ذهبي، أو فضي، مشتقة من الكلمة الصينية (Pai-tseu \ Yarligh) والتي يقال إنها كلمة مغولية أصلية، وهو الاسم الذي يطلقه الأتراك اليوم على مخطوطة أو مرسوم السلطان. انظر: Wallis, op. cit., p.21.

[2]– ياليغ التمغة، هو أمر من الحاكم بختم أحمر. انظر: Ibid., p.22.

[3]- Ibid.

[4]- Jackson, op. cit., p. 291.

مقدسًا! ومن لا يوقره يقتل ويموت، أمّا ظهر القطعة فيحمل الرقم 42. كما يوجد بايزة مع نقش مكتوب بحرف الأويغور، وباستثناء القطعة الفضية لم يتم اكتشاف بايزة مصنوعة من الذهب [1].

أدّت سياسة المغول التي فتحت أبوابها للتجار على اختلاف بلدانهم وديانتهم، وتأمين الطرق التجارية إلى استقطاب أكبر عدد ممكن، في الفترة التي اصطلح عليها "السلام المغولي" (Pax Mongolia)، من منتصف القرن 13م إلى منتصف القرن 14م، وضاعف من أهمية التجارة احكام الخانات المغول سيطرتهم على أهم الطرق، ومنها الطريق الشمالي أو طريق الحرير العظيم الذي يربط البحر الأسود غربا بالصين شرقا عبر العديد من المدن والمحطات التجارية البرية في وسط آسيا[2].

في المقابل دفعت سياسة منع العلاقات التجارية لدول أوروبا مع مصر خلال عهد المماليك التي تبنّتها البابوية، بهدف إضعاف قوة المسلمين ضمن الفترة التي عرفت بالحروب الصليبية، إلى تحويل اهتمام التّجار إلى أسواق تجارية أخرى من بينها الهند والصين، وقد ساعد على ذلك تطور المواصلات الخارجية تطورا عظيما، بعد أن سمح الامبراطور قوبيلاي خان للتّجار الأجانب بالمجيء إلى الصين، فقصدها تجار لأكثر من 20 بلدا، بمن فيهم العلماء العرب والأوروبيون الذين استقرّوا فيها، وساهموا في تطور العلوم والثقافة بها [3].

ساد "السلام المغولي" جميع أنحاء الإمبراطورية، ولم تعد الصحاري أو الحروب حاجزا بين غرب آسيا والصين وروسيا والتبت، وتوقّفت أعمال السرقة واللصوصية بوجود قيادة عسكرية مغولية مُحكمة، تحرص على توفير الأمن عبر مختلف الطرقات. كما طالب المسؤولون المغول بوضع عَلَم في كل دار يفيد بوصول ومغادرة القوافل، ومعاقبة حاكم الولاية التي تضيع فيها القافلة، حتى سادت حالة

1- Wallis, op. cit., p.22.

2- عادل هلال، المرجع السابق، ص. 219.

3 - نفسه، ص.219؛ جيا وجيان، المرجع السابق، ص.41.

ملفتة من الأمن والاستقرار جعلت أحد المؤرخين المعاصرين يصفها بنوع من المبالغة بقوله: "يمكن للعذراء التي تحمل قطعة صلبة من الذهب أن تتجول بأمان في جميع أنحاء العالم" [1].

وحسب تصريح ماركو بولو نفسه الذي أمضى أغلب فترات حياته في الصين، وتعد هذه الامبراطورية أكبر وأوسع بلدان العالم وقتذاك وأكثرها استقطابا للعديد من التجار الذين وفدوا إليها من كل جهات العالم القديم [2]. إنّ معرفة الهند والصين ليست وليدة عهد ماركو بولو، حيث ذاع صيتهما منذ القديم باعتبارهما مصدرين لتموين الغرب بمختلف المنتوجات، وعلى رأسها التوابل والأحجار الكريمة التي ما فتئ التجار وحتى مبعوثي البابوية يذكرونها في رواياتهم، وقد احتل تجار "البندقية" و"جنوة" المقدمة في طليعة هؤلاء المسافرين.

إنّ العلاقات التجارية للصين بالغرب الأوروبي تحت حكم المغول، فقد وصلت خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادي إلى أوجها، وساعد على تعزيزها، تخصيص ديوان خاص بالمعاملات التجارية المتعلقة بالتجار المحليين والأجانب [3].

لقد أدّى اهتمام الحكام المغول بقطاع التجارة وحرصهم على توفير الأمن عبر الطرق التجارية التي تعدت كونها أكثر من أرض لعبور السلع إلى نقل الأفكار والمعتقدات، إلى تعزيز النشاط التجاري وزيادته، وحرص المسافرين والتجار وغيرهم إلى ذكر ذلك في رواياتهم، فابن بطوطة يَصِف الصين على أنّها "بلاد آمنة وأحسن حالا للمسافرين، فإن الانسان يسافر منفردا تسعة أشهر، وتكون معه الأموال الطائلة فلا يخاف عليها" [4].

1- Michael Prawdin, op. cit., p.330.

2- Herbert Franke and Denis Twitchett, The Cambridge History of China, vol.6, Alien and Border States, C.U.P, 1978, p.450.

3- الهمذاني، المصدر السابق، ص.277.

4- ابن بطوطة (شمس الدين أبو عبد الله الطنجي، ت779هـ/1377م)، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: محمد العريان، دار احياء العلوم، بيروت، لبنان، ط.1، 1987م، ص.644.

وقد بلغ حرص الدولة على سلامة المسافرين والتّجار عبر أراضيها، حتّى أنها سخَّرت أشخاصا ومسؤولين مهمتهم الرئيسية تتبُّع أحوال وأوضاع هؤلاء؛ إذ تم اتباع نظام محكم يقضي بتدوين أسماء المسافرين خلال اقامتهم بأحد الفنادق المتوفرة في مدن وولايات الدولة، والتأكد من سلامتهم، وحتى إيصالهم إلى وجهتهم التالية، وهكذا الأمر مع باقي المناطق والأماكن التي يأوي إليها هؤلاء المتنقّلون [1].

أمّا الراهب يوحنا مونتي كورفينو الذي قضى أكثر من ثلاثين سنة بالصين ضمن نشاطه التنصيري، فيصف الطريق بقوله: "أما بالنسبة للطريق فأنا أبلغكم أنّ الطريق إلى جانب أرض كاثاي، وامبراطور التتار الشمالية، هو أكثر أمنا بحيث يمكن السفر مع المبعوثين، وقد يصلون في غضون خمسة أو ستة أشهر، لكن المسار الآخر هو الأكثر طولا وخطورة لأنّه يتضمّن رحلتين بحريتين، أولهما عن المسافة من عكا إلى مقاطعة بروفانس، لكن الثانية تشبه المسافة بين عكا وانجلترا، وقد يحدث أن تتجاوز الرحلة السنتين، أما الأول فلم يكن آمنا لفترة طويلة بسبب الحروب[2].

3. التجار الأجانب ودورهم في تعزيز المسيحية:

تخبر الروايات التاريخية حاجة مبعوثي البابوية إلى الشرق الأقصى إلى الدعم المستمر، فعلى الرغم من محاولات البابوية لإمداد هؤلاء المنصرين وإرسال المزيد من الأفراد والمساعدين إليهم، لم يصل منهم إلّا القليل بسبب طول الرحلة وخطورتها، بالإضافة إلى أنّ الاتصالات بين البابوية ومبعوثيها قليلة جداً، وكما حسبما نقله "هوارد سميث " عن كاري ايلويز (Cary Elwes) "لم يتم تعيين الأساقفة من قبل الكرسي الرسولي فحسب؛ بل تم إرسال مجموعات من الرهبان المستمرين من وقت لآخر، حتى يبتلعهم الشرق الكبير ولم يسمع عنهم مرة أخرى" [3].

[1]- ابن بطوطة، المصدر السابق، ص.645.

[2]- Dawson, op. cit., p.226.

[3]- Howard Smith, op. cit., p.153.

في المقابل، يؤكّد "بارتولد" ارتباط النشاط التنصيري بالعامل التجاري، ومثلما قال : "الظاهر أن نشر الدين يمضي جنبا إلى جنب مع النشاط التجاري، وحسب الرواية السريانية التي نقلها، فإنّها تقول في حديث تنّصر الكرايت: "أنَّ خانهم أخذ المسيحية أول الأمر عن التجار المسيحيين" [1].

ويتضح أنَّ التجار قد ساهموا في مساعدة المنصّرين في أعمالهم، ودعمهم بالأموال لبناء الكنائس، التي تم استخدامها بشكل رئيسي لخدمة احتياجات المسيحيين الذين شكّلوا جزءا كبيراً من شريحة التّجار الأجانب، وظلَّت الكنيسة الغربية الكاثوليكية في يد هؤلاء التجار فيما ظلّ عدد المنصّرين الصينيين محدوداً [2].

على أنّ المصادر التي تحفظ طبيعة العلاقة بين التّجار الأوروبيين- الايطاليين على وجه التحديد- والرهبان، تتجسّد في كل من الوثائق التي خلَّفها التجار أنفسهم، وروايات ورسائل الرهبان، وحتّى تقارير رؤساء الأديرة، التي أنشأها الرهبان الفرنسيسكان والدومنيكان في العديد من مناطق الشرق الأقصى التي نشطوا بها، وغالبا ما توسّط الرهبان لدى الحكام الذين استقرّ التجار على أراضيهم واستثمروا فيها.

بالإضافة إلى أنّ الإرساليات التنصيرية التي بلغ نشاطها ذروته خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، فقد رافق ممثلوها التجار على طول الطريق إلى وجهاتهم، على الرغم من الاضطراب الذي تخلّل صفوف هيئة الفرنسيسكان، والذي كاد يودي بانهيارها [3].

في الحقيقة كان دور التجار ذا أهمية وتأثير بالغين على نشاط الرهبان التنصيري، يقول يوحنا كورفينو في إحدى رسائله: "أنّ السيد بيتر لوكالنجو (Peter of Lucalongo)، وهو مسيحي مخلص

---

[1]- بارتولد، تاريخ الترك، المرجع السابق، ص.147.

[2]- Howard Smith, op. cit., p.154.

[3]- ذكر هذا الاضطراب "أنجيلو كلارينو دا سينجولي" (Angeli Da Cangoli) (1255-1337م)، في كتابه الذي يحمل عنوان "Chronicon seu Historia septem tribulationum Ordinis Minorum". أنظر:

Vladimir Liščak, Italian City-states and Catholic Missions in Mongolian World of the 13th and 14th Centuries, Anthropologia Integra, vol.3, n.2, 2012, pp.31-32.

وتاجر كبير، رافقني من توريس، اشترى قطعة أرض لبناء المنزل الذي تحدثت عنه وأعطاني إياها محبة لله؛ إذ لا يمكن للمرء أن يجد مكانا أكثر ملاءمة لبناء كنيسة كاثوليكية في إمبراطورية الخان بأكملها، لقد استلمت الموقع في بداية شهر أغسطس، وأنهيت بناءه بحلول عيد القديس فرنسيس بمساعدة المتبرعين والمتطوعين..." [1].

ويبدو أنّ قطعة الأرض، لم تكن الشيء الوحيد الذي منحه هذا التاجر لكورفينو أحد الرهبان الكاثوليك، ولكنه بنى أيضا فندقا وحماما بمدينة زيتون [2]. بالإضافة إلى ذلك، فإن التجار البنادقة هم من أوصل رسالة مونتيكورفينو الأولى إلى البابوية في سنة 1305م، ما من شأنه أن يدفعهم إلى الادّعاء بأنّهم الأسبق في الوصول إلى مناطق سيطرة الخاقان قبل منافسيهم الجنويين الذين اكتسبوا ميزة معينة الصين [3].

إنّ المقتطف المنسوب إلى كورفينو، يبرز مدى أهمية مرافقة التجّار للرهبان ومساندتهم لهم في أعمالهم، -بغضّ النظر عن حقيقة التنافس الكبير بينهم وبالأخص بين البنادقة والجنويين-، من خلال امدادهم بالأموال، وكذا تسهيل بعض معاملاتهم التجارية التي لم تكن من اختصاص الرهبان بطبيعة الحال.

يعتقد روبرت لوبيز (Robert S. Lopez) "أنّ الأنشطة التجارية للإيطاليين في الصين، والتي بلغت ذروتها بين سنتي 1330م و1345م، لا يمكن اعتبارها رحلات نادرة الحدوث. لقد خلقوا تيارا مستمرا وكبيرا، مدفوعا بحسابات دقيقة للتكاليف والأرباح. ومع أن الجنويين لم يجدوا في

1- Dawson, op. cit., p.229.

2- عادل هلال، المرجع السابق، ص.231.

3- Jackson, op. cit., pp.293-294.

مستعمرات الصين، مثل تلك الموجودة في البحر الأسود، لكن العديد منهم نقلوا مركز أعمالهم التجارية وتمركزوا بها" [1].

ما يزيد الأمر تعقيدا حول مسألة المعاملات التجارية بين أوروبا والصين خلال ذلك الوقت، صمت التّجار أنفسهم عن وجهاتهم النهائية؛ بل وحتّى تحديد وجهات غامضة، فعلى سبيل المثال رحلة الاخوة "فيفالدي" بحثا عن الشرق الأقصى، ولم يتم الكشف عن الوجهة الحقيقية لهم، وتم معرفة ذلك بعد اختفائهم، وهو ما يؤكّد حرص التجار على عدم الإفصاح عن الاستثمارات التي من شأنها أن توصلهم إلى مناطق لم تبلغ فيها العلاقات والمبادلات التجارية حد المنافسة [2].

وهو ما يفسر أيضا عدم ظهور اسم الصين والهند في السجلات الجنوية، حتّى لا يصبح السفر إليها أمرا عاديا، وخلال القرن الرابع عشر سيستقر العديد من التجار بتلك المناطق، ومع ذلك بدأت هذه الأسماء تظهر في وثائق البندقية وتحديدا في الإجراءات القضائية، وحسب "روبرت" فقد أتاحت الوثائق غير المنشورة التي عُثر عليها، إلى اكتشاف مصادر أخرى بالإضافة إلى كونها تعطي أسماء الأفراد والعائلات التي زاولت نشاطها التجاري بالصين والهند، فإنها توضح تفاصيل عن العلاقة بين المتبرعين والتجار الايطاليين الذين تم تعيينهم بالمنطقتين [3].

استمرّ دور التجار في مساعدة ومرافقة المنصِّرين إلى الشرق الأقصى مدة من الزمن، فالسفارة التي بعث بها "طوغان" الخان الأخير للصين إلى البابا بنديكت الثاني عشر، والتي على الرغم من جهلنا بالكثير من تفاصيلها، ناهيك عن حقيقة شخصية المبعوث المغولي إلى أفينيون، كان بها العديد من التجار الايطاليين والجنويين على وجه التحديد، ومن أبرز التجار الذين ركّزت الدراسات عليهم، "أندال ودا سافينيوني" [4].

1- Robert S. Lopez, Nouveaux Documents sur les Marchands Italiens en Chine à L'époque Mongole, communication du 11 février 1977, comptes rendus des séances des l'académie des inscriptions et belles lettres, vol.121, n.2, 1977, p .451.
2- Ibid., p.453.
3-, Ibid., p.451,452.
4- Jong-Kuk NAM, op. cit., p.79.

4. انتشار المسيحية في المدن التجارية الكبرى على السواحل الصينية:

انتشرت المسيحية في المدن الصينية الساحلية أكثر من غيرها، ولعلّ ذلك راجع إلى موقعها الذي سهّل المهمة التنصيريّة، وفي هذا الصدد سيتم ذكر واقع الديانة المسيحية في بعض المدن بناءً على ما توفّر من معلومات حولها.

1.مدينة يانغتشو (Yangzhou):

مثَّلت مدينة يانغتشو التي يتشكّل سكانها في الغالب من مانزي (أي الجنوب الصيني)، واحدة من أخريات المدن التي استولى عليها المغول، وكان ذلك سنة 1275م، وصارت جزءاً من أراضيهم. وتقع على بعد حوالي عشرين ميلا فوق نهر اليانغتسي من تشينكيانغ، وكانت في عهد أسرة يوان البوابة الجنوبية الرئيسية الرابطة بين شمال ووسط الصين [1].

شهدت هذه المدينة المهمة استراتيجيا على مدار القرون الماضية سلسلة متتالية من التطويق؛ إذ تم إنشاء تشينكيانغ (Tach'eng) أو "المدينة المسورة العظيمة" في عام 1175م، وأعيد بناؤها في عام 1357م، وفي سنة 1557م توسعت بشكل كبير. ولهذا فقد حافظت يانغتشو الحديثة على بعض المخلفات المتمثلة في الأسوار الصخرية التي تعود إلى القرن الرابع عشر للميلاد، وكذلك "الجدار الجديد" بعد قرنين من الزمان[2]. كما سهَّلت القناة الوصول إليها عبر المعبر المائي، ما جعلها وجهة التجار والمسافرين من مختلف مناطق العالم [3].

ووفقا لرواية أودوريك، فإنها تحتضن منزلا للرهبان الفرنسيسكان، وهو ما شجَّع بدوره على قدوم المزيد من التجار والمنصِّرين الأجانب إليها، والذي انعكس على تركيبتها السكانية التي أخذت

1- Mengtian Bai, op. cit., p.11.
2- Francis A. Rouleau, op. cit., p.348.
3- Mengtian Bai, op. cit., p.11.

طابعا متنوعاً أفرز مع مرور الوقت ثراء ثقافيا ملحوظاً كان له أكبر الأثر على تطور الصناعة اليدوية مثل شواهد القبور اللاتينية [1].

الجاليات الإيطالية المسيحية بالمدينة:

عائلة ايليوني (Ilioni):

إنّ المعلومات المتوفرة عن استمرار الجاليات الأوروبية داخل أراضي امبراطورية يوان قليلة، غير أنّ الاكتشاف الأثري الذي يرجع إلى سنة 1951م، أثبت حقيقة وجود أسر إيطالية في مدينة يانغشو في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي، وحسب الاكتشاف المتمثل في شاهد قبر رخامي منحوت بالخط القوطي، فإن الشخص الميت امرأة إيطالية تدعى "كاترينا" (Katarina) ابنة "دومنيك دي فيليوني" (Domenico De Vilioni)، والتي ماتت سنة 1342م، هذا يدفع إلى احتمال اصطحاب تجار الحرير الايطاليين في ذلك الوقت لعائلاتهم إلى الصين [2] .

مضمون تفاصيل البلاطة الأثرية كتبها أحد المنصّرين اليسوعيين الأب "فرنسيس رولو" (Francis A. Rouleau)، في مقالة تحدث فيها عن بلاطة تعود إلى قبر[3]مسيحي لاتيني يعود إلى العهد المغولي، تم العثور عليها في مقاطعة كيانغسو بمدينة يانغشو، التي مثلت أحد أهم المراكز التجارية

1- Mengtian Bai, op. cit., p.11.

2- Frances Wood, The Silk Road; op. cit, p 125; Jean-Pierre Charbonnier, Christians in China A.D 600 to 2000, Les Indes Savants, Paris, 2002, pp.109-110

3- قبر يانغتشو اللاتيني الذي يعود إلى سنة 1342م، عبارة عن كتلة مستطيلة من الحجر، أو قطعة رخامية، مستديرة الشكل من جهة الكتفين ثم ترتفع في قوس رشيق، ومن أبرز المشاهد التي نقشت عليها صورة للسيدة العذراء مع الطفل المسيح، بالإضافة إلى بعض المشاهد التي نحتها الحرفيون الصينيون، كما لو أن الصورة تهدف إلى وضعها في مكان يشبه إلى حد ما "أركوسوليوم" سراديب الموتى الرومانيين. تم كسر الجزء العلوي من هذا القوس، ولكن الانشطار بشكل فردي بما فيه الكفاية، يتبع المنحنى العلوي لهالة العذراء ويترك كل ميزة من تمثيل مادونا الناعم. وقد تسبَّب كسر الطرف السفلي للحجر بجعله مشوها بعض الشيء، باستثناء السطر الأخير من النقش اللاتيني الذي ساعد على قراءته، يبلغ حجم القبر نحو ثمانية وخمسين سنتيمترا، انظر: Francis A. Rouleau, op. cit., p.349

والإدارية لسلالة يوان، ويعود الفضل في اكتشاف القبر إلى عمال البناء إثر قرار الحكومة الشيوعية بالصين هدم الأسوار القديمة للمدينة واستخدامها لبناء الطرق، وبينما كان هؤلاء يسوون البناء المغطى بالطحالب بالقرب من البوابة الجنوبية في سنة 1951م، لفت اهتمامهم شاهد قبر لاتيني، الذي تم دمجه في قاعدة الهيكل، أثارت الزخارف التصويرية والنص القوطي الغريب المنقوشان عليه فضولا كبيرا، وفي النهاية تم تنظيف النصب من أسلحته وتم تسليمه إلى السلطات البلدية التي قدمته إلى "لجنة القطع الثقافية" لحفظه [1].

يمثّل القبر أحد الآثار الدالة على وجود المسيحيين الكاثوليك بالمنطقة خلال الفترة المدروسة، وهذا النقش الجنائزي المرسوم بالكتابة القوطية القديمة الكلاسيكية والرسوم التوضيحية للأسطورة المسيحية المرصّع على الشاهد يدفع إلى احتمالية نحتها من قبل رهبان فرنسيسكان بالمدينة في ذلك الوقت، وهو ما يعطي الاكتشاف ازدواجية بين كونه نصبا تذكاريا وسجلا دقيقا لقبر مسيحي أوروبي [2].

يرى فرنسيس أنّه حتّى وقت قريب من تاريخ اكتشاف البلاطة، لم يكن هناك أي دليل مادي[3]عن البعثات التنصيرية بغض النظر عن مدوناتهم التي خلفوها، والتي لا تقدم الكثير من التفاصيل عن الحياة الداخلية وأعمال الكنيسة الرومانية الكاثوليكية الجديدة بالصين [4].

وقام أحد الصينيين المهتمين بالآثار بتصوير ممتاز، بناءً على الافتراض والحكم بشكل صحيح على الزخرفة الموجودة بالقطعة على أنّها من أصل مسيحي، وأخذها إلى المقر المركزي للبعثة الكاثوليكية الرومانية في المدينة المذكورة، وطلب من أحد الآباء الصينيين هناك ترجمة وشرح محتوياتها. فقدّمها للأب "فرنسيس رولو". الذي نقلها بدوره إلى المدرسة اليسوعية الدولية (Zikawei)

1- Francis A. Rouleau, op. cit., p.349

2- Ibid., p. 353.

3- ربما لم يكن "فرنسيس رولو" هذا على علم بالنقش اللاتيني الذي يعود إلى أحد الرهبان الفرنسيسكان، وقد تم العثور عليه في مدينة زيتون سنة 1946م، أي قبل 5 سنوات من بلاطة كاترينا. راجع الفصل الثاني من هذا البحث ص.123.

4- Ibid., p. 348.

بشنغهاي لدراستها [1]. على أنّ فترة اكتشاف البلاطة تزامنت مع القيود التي فرضتها الدولة على نشاط الأجانب الذين ينتمون إلى الدول غير المتحالفة مع الصين، وبالأخص على المنصِّرين وهو ما حال دون زيارتهم للموقع الأثري [2].

مثَّلت المنطقة المسماة كوان-ي-شيان (kuan-i-ch'ien) والتي تقع خارج البوابة الجنوبية للمدينة، الحي المخصص للسكان الأجانب بالصين خلال حكم المغول، وهي نفس المنطقة التي سكنت فيها كاترينا وأسرتها، باعتبار أنّ الرهبان الفرنسيسكان بنوا كنيستهم الأولى هناك، وعلى هذا الأساس قد تنتمي الفتاة المتوفاة إليهم، وحتّى إن لم يكن الأمر كذلك فلا بد أن الرهبان أو أشخاص لهم علاقة وثيقة بهم، تولوا إقامة شاهدة قبرها [3].

يتساءل فرنسيس بناءً على الاكتشاف الخاص بطبيعة تواجد الأجانب بالصين، عن أصل وموطن آل فيليوني (Dominicus de Vilionis)، وعلى الرغم من أنّ وجود أجانب بالمنطقة ليس أمرا غريبا، فكما هو معلوم سافر التجار الايطاليون وتحديدا الجنويون والبنادقة على طول الطرق التجارية إلى الشرق، وحسب كتاب بولو الشهير، صار معروفا أنّ العديد من الايطاليين قاموا بأعمال تجارية بأسواق الصين، ليس بولو وحده من يشيد بالنشاط التجاري الممارس في الصين، وإنما ابن بطوطة الذي زارها بصفته مبعوثا من الحاكم الهندي في عهد آخر خاناتها "طوغان تيمور"، وعلى هذا الأساس، يمكن اعتماد فرضية أن دومنيك الفليوني كان تاجرا إيطاليا [4].

في رسالة مؤرخة بروما سنة 1953م، وصف البروفيسور "باسكوال ديليا" محادثة حول القضية مع منصِّر عائد من كايفنغ، مكنته معرفته بشمال غرب إيطاليا من تقديم حقائق ذات صلة كتبها على النحو التالي: "في كومونا (Sale Langhe) بمقاطة كونيو (Cuneo) على خط سكة حديد مدينة تورينو سافونا، محطة واحدة أو محطتين بعيدًا عن الحدود مع ليغوريا، بجوار المحطة نفسها

1- Francis A. Rouleau, op. cit., p. 349.
2- Ibid., p. 350.
3- Ibid., p. 351.
4- Ibid., p. 360.

قرية تسمى أي فيليوني(ai Viglioni) ، وحسب أقدم سجل للأراضي عام 1570 هناك على الأقل عائلتين من (Viglione) لا تزالان موجودتين في كومونا: واحدة في تلك القرية نفسها، (Viglione) أو (Giovanni Viliomes)، والأخرى في (Viglione Biagio)، ليست ببعيدة عن الأولى. وإلى نهاية القرن الثامن عشر، تمت كتابة هذا اللقب دون مبالاة "De Vilionis" و"Viliomes" و"Viglion" [1].

هذا يعني حسبما أشار إليه الأب "ديليا"، صار معلوما حال الرحالة الايطاليين وبالتحديد الجنويين في ذلك الوقت، بمن فيهم الذين قابلهم الرهبان الفرنسيسكان في المراكز التجارية بالصين. والذي يقود إلى استنتاج أن والد "كاترينا" ينتمي إلى فئة التجار البحريين في جنوة، وأحد سكان القرية التي نسبت اليها عائلته بسبب ثروتها ومكانتها البارزة [2].

ومع ذلك، إذا جاز القول بمعرفة أصل ومكان مجيء دومنيك، فكيف الحال مع ابنته، وهو الأمر الذي يطرح تساؤلات أخرى كثيرة من شأنها أن توصل إلى حقائق ذات أهمية، بالإضافة إلى التساؤل حول طبيعة الحياة الأسرية في الصين؟ [3]

من اليسير التعامل مع العصر الحديث من خلال افتراض أنّ "كاترينا" رافقت والدها في رحلاته الطويلة إلى الشرق. ومع ذلك حتى مع الأخذ في الاعتبار الهيمنة المغولية والاتصالات الأكثر أمانًا عبر بلدان العالم التي أثَّرت عليها، فإن الصعوبات الهائلة في السفر البحري والبري ومشاقه في تلك الفترة، يجعل من غير المحتمل تمامًا أن يتعامل تاجر نبيل مع عائلته أو ابنة واحدة كمرافقة في رحلة إلى امبراطورية بعيدة تتمركز في الشرق الأقصى [4].

1- Francis A. Rouleau, op. cit., p.261.
2- Ibid.
3- Ibid.
4- Ibid.

لم يكن وجود النساء الأجنبيات في الصين أمرا جديدا أو مستحيلا، فحسب تقرير "وليام روبروك" صار معلوما تواجد امرأة فرنسية بقوراقورم خلال وصول المبعوثين الفرنسيسكان إلى المنطقة في سنة 1254م، وخلال فترة كورفينو هو الآخر استقرت في خان باليق عائلات أرمينية وكاثوليكية بكاملها، والمرأة الأرمينية الغنية التي تبرّعت بالمال لبناء كنيسة بمدينة زيتون؛ إذ "بات من الواضح أنّ تلك النساء قمن برحلة إلى الشرق، على ما يبدو بغرض الاستقرار النهائي في الصين أو على حدودها [1].

تزامن موت "كاترينا" سنة 1342م، مع وصول بعثة يوحنا الماريونولي إلى حضرة الخان، والذي يزيد من احتمالية وجود علاقة بين الوفد البابوي والقبر الإيطالي، ومن الممكن أن يكون "فيليوني" طبيبا أو مستشارا قانونيا بحاشية المبعوثين [2].

بعد العثور على آثار قبر كاترينا في عام 1951م بفترة وجيزة، تم الكشف عن شاهد قبر آخر مع نقش موجز يشير إلى موت شقيقها أنطونيو في سنة1344م، أي أنّ الأخوين ينتميان إلى العائلة الجنوية فيليوني (Vilioni)، وفي سنة 1348م تم ذكر والدهما دومينيك إليوني فيما يتعلق بتاجر يدعى "يعقوب دي أوليفيريو"، والذي قيل إنَّه عاش لعدة سنوات في "امبراطورية الصين" وتضاعفت ثروته خلال مدة إقامته إلى خمسة أضعاف [3].

ولا شك أنّ الوثائق التي عثر عليها "روبيرت لوبيز"، تعد مصدراً ذا أهمية خاصة حول الموضوع حيث توصّل من خلالها إلى استنتاج جديد وهو تفنيد ما وصل إليه "رولو" بشأن تهجئة اسم العائلة كما سيتم توضيحه.

في سنة 1345م غادر المبعوث البابوي ماريونولي الصين قاصدا أوروبا، وعاد أيضا "أندالو دي سافينون" (Andalo de Savignone)، الذي رافقه إلى الشرق الأقصى مع الحصان الشهير

1- Francis A. Rouleau, op. cit., p.262.
2- Ibid.
3- Thomas Ertl, Repercussions, op. cit., p.41

المهدى للخان العظيم، إلى جنوة في بداية السنة، وأيضا "أنسالدو دي أوليفيريو" (Ansaldo de Oliverio) شقيق التاجر يعقوب الباقي على قيد الحياة، وأعاد رأس مال الشخص الميت في نفس الوقت الذي كان فيه [1].

وخلال حملة استعادة الجنويين لجزيرة "شيو" باليونان و"فوسيه" بآسيا الصغرى من البيزنطيين في سنة 1346م، شاركت نحو تسع وعشرين سفينة، وما يهم في هذه الحملة هو أصول أصحاب السفن؛ إذ ترجع واحدة إلى "أنسالدو أوليفيريو"، واثنتان إلى "ميلياديس أدورنو" (Meliaduce Adorno) وتوماسينو ايليوني (Tommasino Ilioni) اللَّذين يحتمل أنّهما أعيدا من الصين إلى إيطاليا [2].

عموما يتركز الأمر حول "دومنيك ايليوني" (Domenico Ilioni)، و"غاليوتو أدورنو" (Galeotto Adorno) الذي تم إثبات وجوده بالصين قبل سنة 1345م. في حين استثمر كل من "أندالو سافينون" و"اينو جانتيل" (Ingo Gentile) أموالهم في التجارة مع بلجيكا [3].

تم الإبلاغ عن وثيقة تعود إلى سنة 1372م، لم تنشرها "ماريا كلوتيلد جولياني" التي شاهدتها في مسجد بأفغانستان، تشهد على شراء حرير ومجوهرات، زُعم أن قافلة من الصين باعتها إلى جنتيلي أدورنو، (أدورنو آخر!). ومهما يكن فقد وجد الغربيون الذين مكثوا مدة طويلة في الصين أنفسهم محاصرين هناك، ويعود الفضل لحوليات سلالة مينغ في ذكر اسم آخر هؤلاء الأشخاص: "ني كو لوين" أي نيقولا، وهو تاجر شهد دون إدراك منه سقوط سلالة يوان، ومن حسن الحظ أنّ الإمبراطور "هونغ وو" أعاده إلى بلاده سنة 1371م، مع رسالة يعلن فيها عن قيام السلالة الجديدة " أو هل ينبغي أن نقول، إلى دوجي؟" إجازة مشرفة، كما يشير لوسيانو بيتيك، قد تخفي طردا [4].

1- Robert S. Lopez, op. cit., p.454.
2- Ibid.
3- Ibid., p.455.
4- Ibid.

وتبقى بلاطة القبر اللاتينية أحد الآثار الأوروبية في الصين عن التجارة الأوروبية في الفترة المغولية، مع العديد من المحاولات لربط لقب دومنيك بقرية فيليوني في بيدمونت، ثم إلى عائلة البندقية فيوني أو فيليوني، التي كان أحد أفرادها في تبريز سنة 1264م، يؤكد المؤرخ أنّ هذه العائلة قد ماتت في وقت مبكر من سنة 1303م، وبسبب عدم اقتناع روبرت بهذه الفرضيات، أراد أن يلقي نظرة على النقش، وبعد مقارنته بالنقوش البندقية والجنوية الأخرى، توصَّل إلى استنتاج أنّه: "لا يمكن إلقاء اللوم على الأب رولو المختص بدراسة العلوم الصينية، لأنّه لم يكن معتادا على فك رموز النقوش القوطية؛ إذ لا يجب أن تقرأ الكلمة (Vilionis)؛ بل (Yllionis)، وهذا يعني أنّ كاترينا كانت ابنة دومينيك إليوني"، والحقيقة أنّ تصحيح اللقب وحده من شأنها أن تفتح آفاقا جديدة للبحث [1].

2.مدينة قوانزو "زيتون" (Zaitun):

"مدينة الضوء" أفضل وصف لهذه المدينة ورد كعنوان لكتاب ألّفه اليهودي "يعقوب الأنقوني" (Jacob D'ancona)، أورد فيه تقريرا مفصلا عنها خلال مكوثه فيها مدة ثلاث سنوات أي من سنة 1270م إلى سنة 1273م، أي قبيل غزو قوبيلاي خان لها، وذكرت من قبل أشهر رحالي العصور الوسطى باسم "زيتون" وعرفت أيضا باسمها اللاتيني "كايتون" والذي يبدو أنّه تحريف لكلمة زيتون[2].

ومع أنّ المصطلح يوحي أنّ التسمية هي نسبة إلى أشجار الزيتون، لكن ابن بطوطة ينفي ذلك بقوله: "ومدينة الزيتون ليس بها زيتون، ولا بجميع بلاد أهل الصين والهند، ولكنه اسم وضع عليها، وهي مدينة عظيمة ... ومرساها أعظم مراسي الدنيا..."[3].

1- Robert S. Lopez, op. cit., p.456.

2 – للمزيد من المعلومات عن أحوال المدينة خلال عهد سلالة سونغ في أخريات أيامها راجع:

Jacob D'Ancona, The City of Light the Hidden Journal of the Man Who Entered China Four Years Before Marco Polo, tran : David Selbourne, Kensingten Publishing, 1997-2000, U.S.A.

3– ابن بطوطة، المصدر السابق، ص. 645.

تقع "زيتون" بمقاطعة فوجيان على الساحل الجنوبي للصين، ساعد موقعها الاستراتيجي المطل على مضيق تايوان، على سهولة بلوغها من جميع مدن الصين، ويعود تاريخ تأسيسها إلى عهد سلالة تانغ، إلّا أنّ نجمها صعد بقوة خلال حكم المغول، الذين أسّسوا ميناءها وأنشأوا فيه لجنة للتجارة البحرية سنة 1277م، ليس هذا وحسب؛ بل ساهمت هذه السياسة في تكوين بنيتها الاجتماعية التي تشكَّلت أساسا من مهاجري آسيا الوسطى، الذين تم جلبهم من قبل هؤلاء الغزاة ليشغلوا موظفين مدنيين لإدارتها [1].

وعليه فلا غروة إذا وصفها المؤرخون بمستودع البضائع الأجنبية والأشياء الثمينة، فهي قبلة التجار الأثرياء والتجار الأجانب الوافدين من مختلف بلدان العالم، هذا ما أثَّر على شعبها وجعله قابلاً للتكيَّف مع التّعاملات التجارية المربحة، وهو الأمر الذي جعل الأوضاع تسوء في بعض الأحيان بسبب غياب الوازع الأخلاقي في هذا النشاط [2].

إذا أمكن تتبُّع علاقات التجار بالمدينة مع الأعضاء الاداريين في العاصمة، فقد يمكن الكشف عن الأسباب السياسية والمالية وراء التغييرات المستمرة في الوكالات التي تديرها، استمرّت هذه التغييرات على الأقل حتى سنة 1311م، عندما تم إلغاء مكاتب الـ "شوان فو سي" (ch'un fu ssu) نهائيا، لم يكن إلغاء الوكالة مؤشرا على نهاية ممارسة تكليف التجار بأموال الحكومة الإمبراطورية. حتّى بدون وجود مقر للإشراف المركزي لمثل هذه الأموال، استمرت الشراكة بين أفراد العائلة الحاكمة وتجار أورتوي، أدّى إلغاء شوان فو سي إلى تحرير التجار ولو نسبيا من القيود والضوابط المفروضة عليهم، لذا فقد مثّل عهد قوبيلاي ذروة سيطرة الدولة عليهم[3].

استضافت هيئة الرهبان الفرنسيسكان في زيتون، وكذلك بلا شك دور رعاية المسنين الكاثوليكية الأخرى، التجار العابرين هناك. وإذا كان عدد المهاجرين الدائمين أو العابرين محدودًا،

1- Lieu Sam, Ken Parry, Manichaean and (Nestorian) Christian Remains in Zayton (Quanzhou, South China), ARC, Macquarie University, Australia, 2009, pp.1-4,17.
2- Elizabeth Endicott, Ortoy, op. cit., pp.139-140.
3- Ibid., p.140.

فيجب أن يكون معدل الدوران كبيرا، لذا من غير المنطقي أن تتم الرحلات في ذلك الوقت بدون رأس مال كافٍ، وتعطي الوثائق التي تم استردادها مؤخرا الانطباع بأن التجارة في الشرق الأقصى كانت منظمة بشكل جيد [1].

عموما لقد أدّى تدمير أسوارها التي تعود إلى العصور الوسطى، وما صحب ذلك من اكتشافات إلى اهتمام الباحثين بها، والعثور على العديد من الآثار –الجنائزية خصوصا– المسيحية خلال الفترة المغولية[2].

3. مدينة هانغتشو (Hangzhou):

مدينة هانغتشو إحدى المناطق الواقعة على خط الساحل الصيني، والذي ساعد على جعلها تجارية بامتياز، وأثَّر بلا شك على تركيبة السكان بها، وجعلها محط أنظار الرحالة على وجه الخصوص، ومنهم صار معروفا وجود عدد لا بأس به من المسلمين والمسيحيين وحتى اليهود، بالإضافة إلى الوثنيين.

فماركو بولو على سبيل المثال يوردها باسم " كينساي" والذي يعني "المدينة السماوية"، ويمكن الاستنتاج بناءً على ما أورده، أنّ سياسة الخان التجارية في هذه المنطقة ساهمت في تنميتها واستقطاب التجار إليها على اختلاف بلدانهم ومذاهبهم، فقد تم تخصيص مباني لإقامة موظفين يتم تعيينهم من لدن الخان، للفصل في أي شجار أو نزاع قد ينشب بين السكان هناك وبين التجار الأجانب، وبها كنيسة واحدة فقط، وربما يرجع سبب ذلك إلى كثرة الوثنيين المتواجدين بها [3].

يلحظ الدارس لمدن الصين، وهانغتشو تحديداً أمرا مثيراُ للاهتمام، وهو أن الناس على الرغم من كثرة مذاهبهم وطوائفهم، يتوزَّعون كلٌ على حسب مذهبه في حي معين، ويشهد على ذلك ابن

1- Robert S. Lopez, op. cit., p.453.

2- Sam Lieu, op. cit., p.17.

3– ماركو بولو، المصدر السابق، ج.2، ص. 186.

بطوطة الذي أورد المنطقة باسم "الخنساء"؛ إذ يقول: "وهي أكبر مدينة رأيتها على وجه الأرض وهي مقسمة إلى ست مدن وبالمدينة الثانية دخلنا على باب يعرف بـ باب اليهود ويسكن بها اليهود والنصارى والترك عبدة الشمس، وهم كثر وأمير هذه المدينة من أهل الصين" [1].

4.مدينة قوانغتشو (Guangzhou) :

وردت بتسميات مختلفة ومتقاربة في الوقت ذاته، فعند ابن بطوطة باسم "صين كيلان" أو "صين الصين"، وعند الراهب أودوريك بـ "سونستالا" وكل هذه الأسماء قريبة من "كونسكالا"، على أن الاسم القديم والشائع لها لدى الغرب "كانتون"، وشهدت مثلها مثل بقية مدن الساحل الجنوبي الصيني تمازجا دينيا وثقافيا رائعا أذهل زوارها، ومنهم الراهب وأودوريك الذي كوَّن بها صداقات مع العديد من المسيحيين والمسلمين وحتى من أتباع الطوائف الأخرى، ليس هذا وحسب وإنما دفعه حماسه إلى مباشرة دعوته بين سكان المنطقة فور وصوله إليها[2].

يمكن التأكيد على صحة كلام أودوريك من خلال وصف ابن بطوطة للمدينة ولإحدى الكنائس بالقول: "وهي مدينة بجنوبي الصين وهي من أكبر المدن وأحسنها أسواقا... وفي وسط هذه المدينة كنيسة عظيمة لها تسعة أبواب، داخل كل باب أسطوان ومصاطب، يقعد عليها الساكنون بها، وبين الباب الثاني والثالث منها موضع فيه بيوت يسكنها العميان، وأهل الزمانات ولكل واحد منهم نفقته وكسوته من أوقاف الكنيسة وكذلك في ما بين الأبواب كلها، وفي داخلها المارستان للمرضى، والمطبخة لطبخ الأغذية، وفيها الأطباء والخدام وذكر لي أن الشيوخ الذين لا قدرة لهم على التكسب، لهم نفقتهم وكسوتهم بهذه الكنيسة، وكذلك الأيتام والأرامل ممن لا مال لهم، وعَمَّر هذه الكنيسة

[1]- ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ص.650-651.

[2]- أحمد السيد، المرجع السابق، ص ص. 17-20.

بعض ملوكهم، وجعل هذه المدينة وما إليها من القرى والبساتين وقفا عليها، وصورة ذلك الملك مصورة بالكنيسة المذكورة وهم يعبدونها" [1].

5. الرحلات التجارية:

كما ذكر سابقا لم يكن المنصِّرون وحدهم الذين اختاروا طواعية الذهاب إلى بلاد التتار، فبالإضافة إلى المسيحيين، كان هناك آخرون جُنِّدوا مرتزقة في الجيوش المغولية – في الصين وبلاد فارس –، بينما سافر التّجار عبر طرق آسيا لجني الأرباح، دون إهمال أولئك الذين ذهبوا للبحث عن عمل في الإدارة المغولية.

رحلة آل بولو التجارية:

قام الأخوان والتاجران البندقيان "مافيو" و"نيكولو بولو"، اللذان عادا بعد أزيد من ثمان سنوات قضياها في أراضي الإمبراطورية المغولية (1261-1269م) عبر شرق أوروبا، بإبلاغ المندوب البابوي "ثيوبالد فيسكونتي" (Theobald Visconti) [2] الذي التقوا به في عكا، أنّ قوبيلاي خليفة مونكو قد استفسر منهم عن ديانة الأوروبيين، وأمرهم أن يطلبوا من البابا إرسال مائة رجل متعلم، وبناءً على هذا السؤال حمل التاجران تصريح العبور "البايزة الذهبية" وتم اعتمادهم سفراء للإمبراطورية المغولية. ومع أنَّ ثيوبالد أبدى اهتمامًا بهذا الطلب، لكنه لم يلبّه للخان إلّا بعد ترقيه إلى منصب البابوية قبل مغادرته للشرق، وأرفق الأخوين بولو والصغير ماركو، باثنين من الدومنيكان، "وليام طرابلس الشهير" و"نيقولا دي فيتشنزا"، للقيام بالسفر معهم إلى مقر الخان. ولكن المنصِّرين اللذين

[1]- ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ص.646،647.

[2]- ثيوبالد فيسكونتي، أو كما يعرف بجريجوري العاشر (Gregory X)، تدَّرج في المناصب الكنسية إلى أن تم انتخابه ليشغل منصب البابوية من سنة 1271م إلى غاية موته بإيطاليا سنة 1276م، وجاء انتخابه بعد شغور في الكرسي الكنسي لمدة ثلاث سنوات بسبب اختلاف الكاردينالات حول من يتولى المنصب. انظر: Artaud De Montor, vol.3, op. cit., p.168-169

أرهبهما وأرعبهما اقتراب قوات السلطان المملوكي "الظاهر بيبرس"، فضَّلا وفقا لماركو بولو التخلي عن مهمتهما [1].

وعن رحلة آل بولو، فإنّ تدوين أخبارها يرجع إلى ماركو بولو نفسه، ذلك أنَّه لما دارت الحرب بين البندقية وجنوة سنة 1298م، شارك ماركو بإحدى سفنه الحربية، فلمّا استولى الأعداء عليها زُجَّ به في أحد سجون جنوة التي مكث بها سنة كاملة، أملى هناك على أحد الكتبة [2]رحلاته التي قام بها حول العالم وصياغتها على شكل كتاب بأسلوب بسيط بعيد عن التّكلف والتعقيد [3].

ومع أنّ ماركو كان مسيحيا، لم يثبت عنه أنّه قام بنشاط تنصيري خلال تواجده في دولة قوبيلاي، وإنّما اكتفى بوصف أبرز المدن وتواجدهم بها، وعلى خلاف الرهبان اللاحقين، لم يميّز بين النساطرة والكاثوليك، كما لا يذكر المشاحنات بين مختلف المذاهب لنفس الملّة على عكس الرهبان المنصِّرين.

سير الرحلة الأولى:

دفعت التّجارة بالأخوين مافيو ونيقولو بولو الانطلاق من مدينتهما بالبندقية إلى الإبحار في رحلة تجارية سنة 1250م، وقد غيَّرت هذه الرحلة مصيرهم ومصير ماركو بن نيقولو؛ إذ أنَّ الظروف التي مرا بها الاثنان خلال عبورهما للطرق التجارية التي سلكوها، أوصلتهم إلى بلاط الخان المسلم "بركة خان" حيث بقيا هناك سنة كاملة، وبسبب الحرب التي نشبت بين هذا الحاكم وبين الايلخان هولاكو، قرَّر الاثنان العودة إلى بلادهما، فالتقيا في الطريق مبعوث الايلخان، الذي عرض عليهما

1- Richard, op. cit., p.84.

2- خلال أسر ماركو بولو وبقائه في أحد سجون جنوة، التقى كاتبا رومانسيا شهيرا من مدينة بيزا، "روستيشلو" (Rustichello)، وعلى الرغم من ضيق الوقت، فقد ألف الاثنان الكتاب تحت عنوان: (Divisament Dou Monde) الذي وصف رحلات ماركو في معظم مناطق آسيا والصين تحديدا، وتم اعتبار الكتاب أحد المصادر المهمة في الكشوفات الجغرافية الحديثة، ومنها تلك التي قام بها "كريستوفر كولومبس". انظر: ول ديورانت، قصة الحضارة، م.1، ج.4، ص ص.219-220.

3- نفسه.

مرافقته إلى بلاط قوبيلاي، وخلال ذهابهما إليه كان يسهر على خدمتهما خدم مسيحيون أحضراهم معهما من البندقية [1].

وما إن وصل الاثنان إلى حضرة الخان حتى سُرَّ بهما كثيرا، خصوصا بعد أن لاحظ اتقانهما للغة التتار، واسترسل الامبراطور في الحديث معهما عن امبراطور الرومان والأمراء المسيحيين وأمور تتعلق بسياستهم في الحكم، وأسئلة أخرى تتعلق بالبابا وشؤون الكنيسة وما تحويه من عبادات دينية ومذاهب، ونظرا لإجادتهما للغة فقد أعطياه إجابات مناسبة، والتي يبدو أنّه بناءً عليها قرَّر أن يستخدمهما بمثابة سفيرين له إلى البابوية في أوروبا، وبعد استشارة وزرائه في الموضوع –اقترح عليهما– أن يصحبا أحد رجاله المدعو "خوجاتال" في بعثة إلى الكرسي البابوي لروما، أملا في أن يرسل إليه مجموعة حذقة ومتمكِّنة من رجال العلم، وعلى معرفة تامة بتعاليم الديانة المسيحية، فضلا عن الفنون السبعة وقدرتهم على الجدل بالحج المقنعة أن عقيدتهم تقوم على صدق أوضح عن غيرها من باقي الديانات والعقائد، وطلب منهما أيضا أن يجلبا معهما عند العودة من بيت المقدس شيئا من الزيت المقدس [2].

وفي سبيل ذلك أصدر أوامره بأن تكتب رسائل باللغة المغولية إلى بابا روما وتسليمها للاثنان، وارفاقهما بالبايزة عليها الختم الامبراطوري لتسهيل تنقلهما من محطة بريد الى أخرى داخل حدود الإمبراطورية. وهذا طبقا للعادة التي أسسَّها الامبراطور، والتي بفضلها يتنقل من يحملها وحاشيته بسلام من محطة بريد الى أخرى، غير أن مرض "خوجاتال" حال دون مواصلة السفر معهما، فما كان عليهما إلّا أن يكملا الطرق وحدهما [3].

كان وصول الاثنين إلى عكا في سنة 1269م، بعد فترة قصيرة من موت البابا "كلمنت الرابع"، وخلال انتظار انتخاب بابا جديد، زار التاجران أهليهما بالبندقية وهناك وجد نيقولو أنّ

[1]– ماركو بولو، المصدر السابق، ج.1، ص. 34.

[2]– نفسه، ص ص.33–37.

[3]– نفسه، ص.37.

زوجته ماتت وتركت له ابنا بلغ من العمر 19 سنة، وهو ماركو بولو الذي سيصحبهما في رحلة العودة إلى الصين [1].

احتدم الجدال بين الكرادلة عقب موت البابا بشأن اختيار خليفة عنه، واستمرّ انتظار الأخوين دون جدوى[2]، وفي الطريق للعودة إلى الصين، بعد استئذانهما المندوب البابوي في أخذ بعض الزيت المقدس،[3]وصلتهما أنباء انتخاب "ثيوبالد فيسكونتي" تحت اسم البابا "غريغوري العاشر"، الذي أرسل معهم اثنين من الرهبان الدومينيكانيين[4]، ومنحهما الصلاحيات الكاملة لتعيين الأساقفة، كما أعطاهما هدايا ثمينة باسمه من بينها عدة زهريات بديعة من البلور الخالص ليقدماها إلى الخان الأعظم، غير أن غزو أرمينية من قبل الظاهر بيبرس جعل الراهبين يعودان أدراجهما، ويسلما الرسائل والهدايا لوالد وعم ماركو بولو الذين واصلوا طريقهم[5].

يعتقد العلماء أنّه لو رافق الراهبان اللذين عادا أدراجهما بسبب الخوف، ماركو بولو ووالده عمه في رحلتهم، فمن الممكن أن ذلك كان سيحدث تغييرا مشهودا في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية في الشرق الأقصى[6].

مكث بولو الثلاثة في الصين ما يقرب 25 عاما تحت حكم قوبيلاي خان، الذي يبدو أنّه عامل ماركو على نحو خاص، وأرسله في العديد من المهمات، وتولى وارتقى في المناصب إلى أن تم تعيينه حاكما على مدينة هانجتشو [7].

[1]- ماركو بولو، المصدر السابق، ج.1، ص.38.

[2]- Prawdin, op. cit., pp.335-336.

[3]- نفسه، ج.1، ص.38.

[4]- Prawdin, op. cit., pp. 335- 336.

[5]- نفسه، ص ص. 39-40.

[6]- Frances Wood, The Silk Road, op. cit., p.124.

[7]- Ibid., p.125.

لكن يرى بعض المؤرخين والدارسين لماركو ورحلته أنّه كان شخصا عاديا، ولم يتم تعيينه- مثلما ادّعى- حاكما على إحدى المناطق، أمّا المدافعون عنه فيرون مبالغته في موقفه، ولم يكن مهمّا بدرجة كافية ليتم تسجيله، علاوة على ذلك فإن الادعاء الاستثنائي أنّه كان حاكما لهذه المنطقة، تم اعتباره خطأ في إحدى النسخ وتم كتابة "جوفيرنا" بدلا من "سجورنا" [1] .

ومن المواقف التي قد تثبت العكس، لوحة في طوكيو لماركو بولو في بلاط قوبيلاي، يسأل فيها هذا الخان الباحث الكوري عن اليابان، وتَعتبر العديد من السلطات اليابانية أنّ البندقية هي المحرِّض للحملة المغولية الصينية ضدهم. ومع أنّ الحاكم لم يكن بحاجة إلى أي إلحاح، إلّا أنّ وجهة النظر اليابانية للمسألة تظهر مدى أهمية موقف آل بولو في البلاط المغولي [2].

بغضّ النظر عن مدى صحة ادّعاء بولو حول بقائه في الصين أو عدمه، يعد كتابه أحد أهم المصادر عن سلالة يوان خلال عهد قوبيلاي، أي المرحلة الأولى لتأسيسها بالصين، وقد بلغت الرحلة من الأهمية ما جعل "كريستوفر كولومبس" يعتمد عليه في رحلته الشهيرة. فقد وصف بولو أيضا المدن التي مر بها في طريقه والمدن الصينية وعادات ومعتقدات سكانها، كما أتى على ذكر المسيحيين الذين كانوا متوزعين في مختلف مناطقها.

رحلة السير جون ماندفيل (John Mandivelle) :

يمكننا التعريف برحالة جون ماندفيل (John Mandivelle) مثلما وصفه مترجم كتابه: "أشهر وأظرف رحالي القرن الرابع عشر، معاصر الرحالة البندقي الشهير "ماركو بولو" والرحالة المسلم الكبير ابن بطوطة" [3].

1- Frances Wood, The Silk Road, op. cit., p.125.
2- Prawdin, op. cit., p. 339.
3 – جون ماندفيل، أسفار السير جون ماندفيل ورحلاته، تر.: أنس الذهبي، رنا جزائري، ص.7.

ومع أنّ ماندفيل هذا ادعى سفره عبر بلدان العالم مثل الرحالة المعروفين في زمانه، مَؤلفا كتابا يضمّ روايات لرحلاتهم التي نسبها إلى نفسه [1]، إلّا أنّ دراسة رحلته بغض النظر عن الأساطير الواردة فيها وطبيعتها، يعطينا فكرة عن التصورات الأوروبية عن العالم والتتار بصفة خاصة في فترة العصور الوسطى.

يَفْتتح ماندفيل حديثه عن الصين بذكر التجارة والتجار؛ إذ يقول: "بلاد كاثاي كبيرة وجميلة ومليئة بالتجار، فهم يؤمونها على مدار العام طلبا للتوابل وكل أصناف البضائع، وكما تعملون فإن التجار القادمين من جنوة أو البندقية أو رومانيا أو أية أجزاء أخرى من لومبارديا، يأتون عن طريق البر والبحر لمدة تتراوح بين أحد عشر شهرا أو اثني عشر" [2].

يدفع هذا إلى الاستنتاج أنّ التّجار الايطاليين الذين توافدوا إلى الشرق الأقصى في تلك الفترة، في سبيل تحقيق نصيب وافر من الأرباح، والذين رافقوا في الوقت ذاته المنصرين وقدّموا لهم يد العون.

يذكر ماندفيل أنّ كلاً من "مونكو خان" و"قوبيلاي خان" كانا مسيحيين، ومع أنّ الخان الذي عاصره لم يكن كذلك، لكن حسب ادعاء ماندفيل لديه خدم مسيحيون كثر: "ولديه من الأطباء المسيحيين 200 طبيب، ومن الجراحين المسيحيين 210، ومن الأطباء والجراحين المسلمين عشرون، ولكنه يثق بالجراحين المسيحيين أكثر"، وعموما بلاطه مليء بالمسيحيين سواء الذين ثبت عنهم ذلك أو الذين لم يعرف أنهم كذلك" [3].

يروي ماندفيل قصة مشابهة للتي ذكرها بولو حول وقوف المسيحيين بين يدي الخان، والسير في موكب احتفالي خلال زيارتهم لمدن الإمبراطورية بصفة عامة، فهم يسيرون أمامه يحملون معهم

[1]- جون ماندفيل، المصدر السابق، ص.7.

[2] - نفسه، ص.215.

[3]- نفسه، ص ص.234-227.

الصليب والماء المقدس [1]. ويمضي هذا الرّحالة إلى القول أنّه بقي مع رفاقه في خدمة الحاكم المغولي حوالي 15 شهرا لمحاربة أحد الملوك المتمردين عليه في الجنوب الصيني، وقد لاحظ من خلال إقامته في ضيافته الرخاء والحشد الكبير من الناس في قصره، ورغم ذلك العدد الهائل فإن ضيافتهم على نفقته [2].

من الواضح أنّ رحلة ماندفيل ماهي إلّا انعكاس للتفكير الأوروبي في الفترة التي طغى فيها الحكم المغولي، وأرهب العالم بغزواته، ناهيك عن انتقال مركز الثقل التجاري إلى الشرق الأقصى.

على أنّ اهتمام الأوروبيين بالتّعاملات التجارية مع آسيا بلغ إلى الحد الذي دفعهم إلى تأليف دلائل تساعدهم في اسفارهم، ومن بينها مخطوط لفرانشيسكو بالدوتشي بيغولوتي، وهو كتاب تجاري بحت في اتجاهاته خصّص فيه فصولاً متتالية لمختلف الموانئ وحركة المرور في القرن الرابع عشر الميلادي ، انطلاقًا من السواحل الآسيوية إلى البحر الأبيض المتوسط، موضّحا بالتفصيل طبيعة الصادرات والواردات، والرسوم والالتزامات، والجمارك التجارية المناسبة لكل منطقة، فضلا عن قيمة الأموال والأوزان والمقاييس لها، مع تلك الموجودة في الأماكن التي كان عليهم التعامل معها بشكل رئيسي للاستفادة منها بالمجمل[3].

عموما ساهمت سياسة المغول التجارية في استقطاب التّجار على اختلاف مذاهبهم، والمسيحيين من ضمنهم، الذين برز دورهم بشدة، فقد ساعدوا الرهبان في مهامهم من خلال مرافقتهم وتمويلهم بالأموال لبناء الكنائس وتنصير الأفراد.

[1]- جون ماندفيل، المصدر السابق، ص.238.

[2]- نفسه، ص.219.

[3]- Yule, op. cit., p.139.

II.السياسية الدينية للحكّام المغول:

شكّل بنية المجتمع الصيني العديد من الأعراق التي أحدثت تمازجا بين مختلف فئاته، والذي أثّر في المقابل على تعدد الديانات، وعلى سياسة الدولة المتّبعة تجاهها، ولمحاولة فهم طبيعة هذه السياسة سنحاول التطرق إلى التركيبة الاجتماعية للدولة وارتباطها بتعدد الطوائف والمذاهب، ومن ثم ردّة فعل الحكّام المغول تجاهها، وهل ظلّت نفسها طيلة حكمهم؟

1.التركيبة الاجتماعية:

فرض المغول تسلسلا هرميا اجتماعيا احتلوا من خلاله الصدارة ضمن جميع الفئات الاجتماعية، واحتلّ الغربيون الذين أطلق عليهم اسم السيمو (أجانب أصلهم وسط آسيا) الطبقة الثانية، ثم تلاهم "الهان الصينيون" المقيمون في شمال الصين، والذين تعرّضوا لملكية الصين غير الهانية لفترة أطول، وأخيرا سكان مانزي المقيمين في الجنوب الصيني، تم استيعاب بعض المجموعات البدوية بالفعل في الهان الصينية خلال عهد السلالات السابقة [1].

يبدو مصطلح "الهان الصينيون" غامضا للغاية ومن الصعب تمييز المجموعة من الأشخاص باعتبارهم صينيو الهان الأصليين. لذلك ينبغي حصر معنى مصطلح "الهان الصينيون" على أنّهم أشخاص يعيشون في الأراضي التابعة لسلالة سونغ قبل غزو جين وأحفادهم. وقد شغل المغول خلال بداية حكم سلالة يوان معظم المناصب الرسمية في البلاط الإمبراطوري. وقد أدّى تفوقهم إلى انتشار عاداتهم بين أولئك الذين سعوا للحصول على مكانة مميزة في البلاط الامبراطوري. ونتج عن هذا التعايش، انفتاح وتقارب بين العديد من المجموعات العرقية والثقافات، محدثا تفاعلات فيما بينها وخلق اتجاهات متعددة، وتهيأت على إثرها الظروف التي يمكن من خلالها تشكيل العديد من الشواهد الدالة على أصحابها، ومنها على سبيل المثال لا الحصر شواهد القبور اللاتينية في مدينة يانغتشو. كما يمكن اكتشاف التفاعلات الثقافية بين مختلف فئات المجتمع الصيني في العديد من

1- Mengtian Bai, op. cit., p.10.

جوانب الحياة اليومية. فعلى سبيل المثال تبنى بعض المغول أسماءً صينية، في المقابل اعتبر الصينيون الألقاب المغولية التي منحها لهم الحكام تشريفا ومدعاة للفخر[1].

2. معتقدات المغول وسياستهم الدينية:

يعد المغول من أتباع المعتقد الشاماني الذي سرعان ما تم استبداله بالبوذية، وكل ما عثر عليه عندهم مجموعة من الحجارة وجلود الحيوانات أطلقوا عليها اسم "أبو" تقام جوار الجبال أو الأنهار حيث تقدم لها القرابين المختلفة [2]، كما صنع المغول أشكالا آدمية من الشعر تشبه الرجال، توضع على جانبي أو أمام مداخل خيامهم، اعتقادا منهم بقدرتها على حمايتهم ودفع الأذى عنهم[3].

لقد أعطى الحكام المغول مكانة هامة للمتدينن؛ إذ حرصوا على استشارتهم قبل الإقدام على أي عمل مهم، حتى وإن تعلَّق الأمر بالحروب فإنّها لا تقام إلّا بإذنهم[4]، وأول إجراء قام به جنكيز خان بصفته مؤسس الإمبراطورية وأحد أتباع الشامانية، أن عيَّن مسؤولا بلقب "بيكي" (كبير القساوسة)، وهو أعلى منصب ديني في الدولة لتنظيم أمورها[5].

وعند خروج المغول بقيادة الخان لغزو الشعوب المجاورة، كان أغلبهم على المذهب الشاماني مع ظهور نزعة إلى البوذية بين أفراد البيت المالك، لعلَّها ارتبطت بنشاط الرهبان البوذيين في الصين والدعوة إلى مذهبهم، غير أنّهم بدأوا يتحرَّرون منها متأثرين بحضارات الشعوب التي غزوها، وضمَّت هذه الأخيرة عددا كبيرا من المسلمين والبوذيين والمسيحيين، الذين تنافسوا في تغيير ديانة أولئك الغزاة

---

[1]- Mengtian Bai, op. cit., p.10.

[2]- عبد ياسين، العراق في عهد المغول الايلخانيين656/736هـ، رسالة دكتوراه، إشراف: عبد الفتاح شحاته، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، مصر، 1298هـ-1978م، ص.447.

[3]- Giovanni Di Plano Carpini, The Story of The Mongols Whom We Call The Tartars, Trns., Erik Hildinger, Branden, Boston, 1996, p.43.

[4]- عبد ياسين، المرجع السابق، ص.447.

[5]- قاسم غنيمات، الجيش المغولي في الفترة ما بين 615-736هـ/1218-1335م، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف: صالح الدرادكة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن، 2003م، ص ص. 19-20.

كل إلى دينه. ويبدو أنّ الصراع والتنافس العقدي بين الشعوب التي غزاها التتار، أوجب عليهم أن يضعوا سياسة دينية أظهرتهم بمظهر التسامح الديني الذي عرفوا وتميَّزوا به، وهم في ذلك كله لم يكونوا مع أو ضد ديانة بعينها [1].

"وفي الوقت الذي عانت فيه أوروبا من الانقسام والتعصّب الديني في القرن الثالث عشر الذي دفع بالأوروبيين إلى تعذيب رعاياهم غير المسيحيين، في المقابل على الرغم مما عرف به المغول من وحشية لم تنجم عن التعصّب الديني، كانوا يستقطبون نظائر هؤلاء من الشعوب التي يخضعونها بكل حرية دون أن يعطوا أهمية للعرق أو الدين" [2].

ولعل ذلك يرجع إلى حقيقة أنّ منغوليا وتركستان مثّلتا مكان التقاء الأديان والمعتقدات الممارسة في العالم، والمغول أنفسهم وجدوا انتشار البوذية والمسيحية والمانوية والإسلام بين الشعوب التي غزوها [3].

3. قانون الياسا (مرجع سياسة المغول الأساسي):

تعد "الياسا" مجموعة من القوانين[4]التي وضعها جنكيز خان لتنظيم شؤون دولته ،جاعلا منها نظاما سياسيا قائما على تحديد الواجبات والأحكام والعقوبات، بالرجوع إلى عادات وتقاليد المغول

[1]- عادل هلال، المرجع السابق، ص.167.

[2]- إيمي شوا، المرجع السابق، ص172..

[3]- Dawson, op. cit., p. xxiii.

[4]- ترى "دينيز إيقل" (Denise Aigle) أن المراجع الحديثة أخطأت في تعريف الياسا باستنادها على تعريف المصادر الإسلامية (الجويني والمقريزي) لها، التي اعتبرتها مجرد عادات وتقاليد وهي تخص نظاما محددا، في حين أن الياسا قوانين تشمل جميع الجوانب السياسية والدينية والاقتصادية، تضيف أن رد حاكم المماليك على رسالة الإيلخان بأن للمسلمين ما هو أعظم من الياسا وهي الشريعة الإسلامية، لتحدد أن المصطلح مقيد بالقوانين الدينية، والحقيقة أن الشريعة الإسلامية نظام يشمل جميع جوانب الحياة سواء الدينية أو الاقتصادية أو السياسية، يعني أنّ الالتباس والخلط يرجع إلى عدم فهم المراجع الأجنبية للدلالة التي يحملها المصطلح. انظر:

Denise Aigle, the Mongol Empire Between Myth and Reality, Studies in Anthropological History, (Iran Studies), vol 2, Brill, London, Boston, 2014, p.151 .

فأخذ منها ما يصلح، وبسبب افتقار المغول إلى خط فقد تم تدوينها بالخط الأويغوري الذي اعتمده الحاكم للنهوض بشعبه، وبناءً على طلبه فقد كتبت القوانين في وثائق تم حفظها في خزانة أبناء الملوك، أطلق عليها اسم "الياسا الكبيرة" وقد حرص خلفاؤه من بعده على الالتزام بما فيها وتطبيقها؛ إذ كانوا يرجعون إلى ما ورد فيها كلما تولى منصب العرش حاكم جديد، أو جهزوا جيشا أو اجتمع امراؤهم للنظر في تدبير شؤون البلاد [1].

من بين أهم البنود التي أقرّها قوانين "الياسا"، والتي تمثل موضوع هذا الفصل، المتعلّقة بالسياسة التي اتّبعها الحاكم وخلفاؤه في التعامل مع أصحاب الديانات، وهو النظر إلى جميع الطوائف على قدم المساواة، وعدم التفريق بينها؛ إذ يذكر الجويني أنّ جنكيز الذي لم يتبن دينا بعينه، والذي يعتبره العديد من المؤرخين موحّدا لله، عرف ببعده عن التعصب وحبه للعلماء وزُهاد كل طائفة واعتبر إكرامهم وسيلة للتقرب إلى معبوده، وهو في كل هذا لم يميّز بين مسلمين أو مسيحيين أو بوذيين، وسمح لأبنائه باعتناق ما يوافق قناعاتهم [2].

لم يكتف بذلك وحسب، وإنّما أصدر قرارا آخر تم بموجبه إعفاء رجال الدين على اختلاف مذاهبهم ودياناتهم من الفقهاء والعلماء والفقراء والزهاد عن دفع الضرائب [3].

ويقول الجويني عن مونكو خان:".... عدا من تم اعفاؤهم من المشاق والمؤن بناءً على المرسوم الصادر زمن جنكيز خان قاآن، ويعني بذلك السادات الكبار والائمة الأخيار من المسلمين، ومن النصارى ممّن يقال لهم أركون والرهبان والأحبار، ومن عبدة الأصنام القساوسة الذين يقال لهم توين، ومن طبقات الناس وممن كبر سنه وعجز عن الكسب، أمّا اليهود فقد سمعوا بهذا المرسوم فحسب ولم

[1]- الجويني، المصدر السابق، ج.1، ص.65.

[2]- نفسه، ص.66.

[3]- شهاب الدين العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: كامل الحبوري، ج.3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971م، ص.97.

يكونوا من بين هذه الزمرة ولم يدخلوا في هذا الحصر، ومن ثم اغتاظوا للغاية وتضايقوا..." [1]. وينقل عن أحدهم رده على المرسوم: "أرى أنّنا لسنا في الحسبان، ولا نعد شيئا في كلا العالمين" [2].

يؤكّد "كريستوفر" مثلما فعل "ديفيد مورغان" أن المغول عرفوا بتسامحهم مع الأديان، معللا ذلك بعدم وجود "نظام محدد للعبادة"، ويضيف رد مونكو خان على مبعوث لويس التاسع ربروك "نحن المغول نعتقد أنه لا يوجد إلا إله واحد، نعيش فيه ونموت، ولكن كما أعطى الله اليد أصابع مختلفة، فقد أعطى للرجال طرقًا مختلفة، مثلما أعطى المسيحيين الكتاب المقدس" [3].

خلال النصف الأول من القرن الماضي (في حدود 1935م)، تم العثور في مناطق مختلفة تقع ضمن منغوليا الداخلية، على العديد من الآثار المادية التي يرجع بعضها إلى العهد المغولي، من قبور وأختام وألواح حجرية وغيرها، الألواح الحجرية المحفورة بمراسم مؤرخة للفترة المدروسة، كتبت أحيانا باللغة المغولية، أو اللغة الصينية، وأحيانا بالاثنين معا، لإعفاء أعضاء الأنظمة الدينية من الضرائب، بمن فيهم النساطرة [4].

4.سياسة الحكام المغول تجاه الديانات:

تذبذبت سياسة الحكام الدينية بين إنصاف وإجحاف على مدى قرن من الزمن، ومن المهم تبيين أنّ ذلك لم يرتبط في الغالب بسبب العداءات الدينية، وإنّما بالمصالح السياسية في المقام الأول، وحسب ما اقتضته ودعت إليه ظروف كل حاكم.

[1]- الجويني، المصدر السابق، ج.3، ص.83.

[2]- نفسه.

[3]- Christopher P. Atwood, Religious Toleration as Political Theology in The Mongol World Empire of the Thirteenth Century, the international History Review, vol .26, no. 2, Taylor and Francis, L.t.d., 2004, pp. 238-252.

[4]- F.S. Drake, op. cit., pp .23-24.

السياسة التي اتبعها قوبيلاي خان تجاه الديانات:

قبل الحديث عن قوبيلاي وسياسته، ينبغي الحديث ولو بإيجاز عن والدته المسيحيّة نظرا للمكانة البارزة التي احتلّتها بين نساء الخانات المغول على مدى السنوات التي حكموا فيها، وهي كما قال عنها الجويني "سرقويتي بيكي" ابنة أخ أونغ خان وزوجة تولوي ولها منه مكونكو خان، وقوبيلاي، وهولاكو، وأريك بوكا، ولسنا هنا بصدد ذكر دور وأهمية كل ابن، وضعت هذه الأم أساسا لتنشئة أبنائها وتربيتهم وتسيير أمور الدولة وتدبيرها، وفي الفترة التي أعقبت موت غيوك خان حرصت على أن لا يحدث أي من أبنائها أي تغيير أو مساس بقوانين الياسا المرجع الأساسي لهم[1].

ومع أنّ هذه المرأة الفذّة بحق، تدين بالنسطورية، ومن أشد الداعمين لها، إلّا أنّها سعت في المقابل إلى إنفاق الكثير من الصدقات والعطايا على المسلمين ومشايخهم؛ بل وسعت لإحياء شعائرها حتى إنها أمرت بإنفاق ما مقداره ألف بالش من الفضة لإنشاء مدرسة في بخارى، على أن يكون شيخ الإسلام "سيف الدين الباخرزي" هو المسؤول عن تنفيذ هذا الأمر والقائم عليه، كما أمرت بشراء العديد من القرى وأوقفتها على المدرسة وعيّنت المدرسين وطلبة العلم، وكانت تبعث على الدوام بالصدقات إلى مختلف النواحي والأطراف وتخص بها مساكين المسلمين ونظرائهم، وظلت على هذه الحال حتى موتها سنة 1251م[2].

بالعودة إلى ابنها قوبيلاي خان، فقد اتسمت سياسته خلال توليه العرش بالتسامح تجاه المعتقدات الدينية على اختلافها، وعرف بحبه للعلماء ورجال الدين على اختلاف أديانهم ومذاهبهم وحتى أعراقهم[3]، فتبنى مبدأ جده جنكيز خان القائم على أساس احترام جميع الأديان دون استثناء في اطار قوانين الياسا، وفي الوقت الذي اتخذ ايلخانات فارس الإسلام دينا لهم، اختار مؤسس سلالة

[1]- الجويني، المصدر السابق، ج.3، ص ص.27-29.

[2]- نفسه، ص.30.

[3]- أبو الفرج المالطي، تاريخ مختصر الدول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.1، 1997م، ص.245.

يوان البوذية، في حين بدأت الشامانية بالانحدار، ومع أنّ الأعمال التي حقَّقها في مختلف المجالات، والتي بينت التقدم الذي أحرزه المغول، إلاَّ أنَّها في المقابل وضَّحت كيف تخلَّت القبائل البدوية عن الحياة التقليدية التي مثَّلت أهم خصائصهم، بالإضافة إلى تغلغل البوذية والحضارة الإسلامية والصينية بينهم ببطء مكونة بذلك شعبا يختلف عن الذي قاده مؤسس الامبراطورية في حملاته الأولى [1].

وقد حرص هذا الخاقان على تقدم العلوم والفنون، وقدر قيمتها؛ إذ تم دعوة العلماء والرسامين والشعراء والمهندسين المعماريين من جميع أنحاء العالم، وشهدت الهندسة والجبر وعلم المثلثات والجغرافيا والتاريخ قفزة جديدة [2].

قبل الخوض في سياسة الدولة، كان للأجانب سواء من المسيحيين أو المسلمين الحظ الأوفر في المناصب الإدارية، سعى قوبيلاي من وراء ذلك، إلى القدرة على حكم امبراطوريته الواسعة، يقول أحد المؤرخين الصينين: "يجب اعتبار قوبيلاي خان أحد أعظم الحكام الذين عاشوا على الإطلاق. كانت نجاحاته دائمة". وعلى الرغم من كل ما قدمه للصين، استمر سكانها في اعتباره أجنبيا. فهو "لم يعط أي صيني منصبا في الحكومة، ولم يعين سوى الأجانب كوزراء للخارجية"، وتم تعيين الصينيين في المناصب الثانوية في الإدارة، في حين تولى الأجانب المناصب الرسمية –المغول والأويغور والتبتيين والأتراك والفرس–ومع ذلك فقد حرص على ألا يضطهد أي فرد في دولته بمن فيهم الأجانب الخاضعين لسيطرته [3].

بالرجوع إلى السياسة الدينية فقد اتَّبع قوبيلاي خان سياسة سلفه مونكو خان، والتي وضعها جده جنكيز، القائمة على أساس التسامح مع كل المعتقدات الدينية في ربوع الإمبراطورية المغولية، مالم تتعارض مع قوانين الدولة، والمؤرخ "جاكسون" يوضح طبيعتها من خلال الرجوع إلى رد مسؤولي بلاط سرتاق "المسيحي" إلى روبروك: "لا تقل إنَّ سيدنا مسيحي، هو ليس مسيحيا إنه

1- C.M.H, p. 629.
2- Michael Prawdin, op. cit., p. 326.
3- Ibid., p.331.

مغولي، لأنهم يعتبرون مصطلح المسيحي اسما لشعب، .... على الرغم من أنّه ربما يكون لديهم بعض الإيمان بالمسيحية، إلّا أنّهم لا يرغبون أن يدعوا مسيحيين، لأنهم يريدون ترقية اسمهم إلى مستوى أعلى من الكل" [1].

بغضّ النظر عن حقيقة "التفضيلات الدينية للحاكم المغولي"، فقد سعى في المقام الأول إلى الحفاظ على امبراطوريته وتوسيعها، ولم يتبن الحاكم دينا محددا لأنّ ذلك سيؤدي إلى نفور أتباع عقائد أخرى، فقوبيلاي نفسه كان على دراية تامة بالمعتقدات السائدة في بلاده؛ إذ كان له العديد من ممثلي الأديان الذين يُصلُّون لله من أجله، واحتفل وفقا لما ذكره ماركو بعيد الميلاد والفصح مع المسيحيين، والأمر ذاته مع أعياد المسلمين، وحتى مع اليهود وأتباع المعتقدات الأخرى [2].

من الممكن أن نعلّل سبب هذه السياسة وفق ما ذكره ماركو بناءً على إجابة الخان نفسه بالقول: "هناك أنبياء أربعة عظام -عظماء-، توقرهم وتعبدهم مختلف طبقات الجنس البشري، فالمسيحيون يعدون يسوع المسيح ربا لهم، والمسلمون "محمدا"-صلى الله عليه وسلم- (؟؟؟) واليهود "موسى"، والوثنيون "سوجو ممباررکان"، الذي هو أسمى أصنامهم، وإني لأقدم التكريم وأظهر الاحترام للأربعة جميعا، وأدعو لنجدتي أيهم كان في السماء هو الأعلى حقا" [3].

بالإضافة إلى تسامح الخان مع مختلف المعتقدات، يتضح بناء على ما ذكره بولو، الفهم الخاطئ للشرق والغرب على حد سواء لعقيدة المسلمين؛ إذ أنهم على خلاف المسيحيين لا يعبدون نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم.

بالعودة إلى ما نقله بولو عن الخان، يعتقد الرحالة الايطالي أنّ هذا الأخير عَدَّ العقيدة المسيحية الأفضل والأصوب، لكنه "لم يكن يسمح للمسيحيين بحمل الصليب أمامهم في مواكبهم"

1- Halbertsma, op. cit., p. 54.
2- Ibid.
3- ماركو بولو، المصدر السابق، ج.2، ص ص.18-19.

لأنّ المسيح عذّب عليه[1]، والحقيقة يمكننا أن نفترض بناءً على هذه الرواية أنّ هناك دافعا آخر – ضمن السياسة الدينية– وراء رفضه لحمل المسيحيين لراية الصليب.

منحة الألَفة:

من الأمور المثيرة للاهتمام في الإمبراطورية المغولية أنّها لم تنس الفقراء في مملكتها، فحسب ما ذكره الراهب أندرو الذي تم إرساله إلى الصين لاحقا لمساعدة كورفينو، فقد خصّص له الخان ولأتباع المسيحية وفئات معينة من الناس مبلغا من المال لإعاشتهم، وهو ما يبين اهتمام الحكام برعاياهم وسعيهم إلى إحلال السلام والتفاهم فيما بينهم، وأن سياستهم تجاه رجال الدين بالإضافة إلى إعفائهم من الضرائب سعت أيضا إلى تمويلهم من خلال إمدادهم بمبلغ مالي ليس بالقليل[2].

"... بعد تنصيب رئيس الأساقفة، بناءً على الأوامر التي أعطانا إياها الكرسي الرسولي، واصلنا الالتزام لما يقرب خمس سنوات. خلال ذلك الوقت حصلنا على الألفة (Alafa) من الإمبراطور لطعامنا وملابسنا. الألفة هو علاوة للمصروفات التي يمنحها الإمبراطور إلى مبعوثي الأمراء، والأدباء، والمحاربين، وأنواع مختلفة من الفنانين، والأدباء، والفقراء، وجميع أنواع الناس حسب كل الظروف. والمجموع الكلي لهذه العلاوات يفوق عائدات ونفقات العديد من ملوك الدول اللاتينية..." [3].

حقيقة الأمر أنّ هذه المساعدات لم تمس الرهبان ورجال الدين وحدهم، وإنّما شملت في المقام الأول السكان المحليين؛ إذ كان على المسؤولين دراسة الأوضاع الاقتصادية وتفقدها، وتم بناءً على ذلك، تزويد العائلات المحتاجة بمختلف ضروريات ومستلزمات الحياة من غذاء وملبس، حتّى كبار السن والأيتام والمرضى والفئات المعوزة كان لهم نصيب في تلك المساعدات، وكان لقوبيلاي نفسه

[1]– ماركو بولو، المصدر السابق، ج.1، ص.19.

[2]- Yule, op. cit., p.71,72.

[3]- Ibid.

أطفال مشردون تمت رعايتهم وتعليمهم، تم أيضا إنشاء المستشفيات ودور الصدقات في جميع أنحاء الإمبراطورية. وفي العاصمة وحدها تم إطعام أكثر من ثلاثين ألفا من المحتاجين على حساب المطابخ الإمبراطورية. وخلال السنوات الجيدة، حرصت الدولة على شراء فائض المحصول بأكمله تحسُّبا لأوقات المجاعة وسد حاجيات السكان وتجاوز مثل هذه الأزمات [1].

يصف ماركو بولو هذه المنحة أو العطية بقوله: "يوجد بمدينة كانبالو بين المسحيين والمسلمين والكاثانيين عدد من المنجمين والعرافين يقارب خمسة آلاف، يتولى الخان إمدادهم بالطعام والشراب والملبس" [2].

5. أبرز المعتقدات الممارسة في الدولة وسياسة الحكام تجاهها:

ازدهرت العديد من المعتقدات الممارسة في الدولة المغولية، من بينها البوذية، والشامانية، والإسلام، والمسيحية، واليهودية، ناهيك عن المعتقدات الأخرى التي لا يتسع البحث لذكرها.

المعتقد البوذي:

على الرغم من أنّ سياسة قوبيلاي في المناطق التي حكمها، والصين تحديدا لم تكن بالجديدة، فالصين البلد الحضاري الكبير والعريق، عَرف بسبب تعاملاته التّجارية، الكثير من الأجناس والأعراق والمعتقدات التي تعايشت فيما بينها، وحين وفد إليه وجد به ثلاث معتقدات رئيسية، هي الكونفوشيوسية والطاوية والبوذية، ومع أنّ بعض المصادر تراهن على أنّه كان مسيحيا، استنادا إلى إثبات يفيد تعميده، غير أنّ الحقيقة أنه اعتنق البوذية لتصبح ديانة أغلب المغول، كان ذلك دافعا سياسيا بعيدا كل البعد عن القناعة [3]، وفي حين أنه لم يتبن ديانة أمه "سيورقيتي" التي دانت بالنسطورية، نراه يختار البوذية تحت تأثير زوجته.

1- Michael Prawdin, op. cit., p. 329.

2- ماركو بولو، المصدر السابق، ج.2، ص.83.

3- M L'Abbe, op. cit., pp.286-287.

يعود تاريخ البوذية في الصين إلى القرن الأول الميلادي، وكانت بداية النصف الثاني من القرن الثاني اذعانا بغزوة المؤلفات البوذية للصين والتي بلغت أوجّها إثر نشاط البوذيين الذين وفدوا إلى المنطقة عن طريق الهند[1].

من الإجراءات التي قام بها قوبيلاي أنه بنى معبدا كبيرا أحيا فيه ذكرى أجداده، وأطلق على الكهنة البوذيين "اللاما" (Lama)، في المقابل رفض استخدام الخط الإيغوري وتجاهل جميع شخصياتهم، دفعت سياسته هذه إلى اختراع رئيس اللاما في سنة 1269م طريقة وطنية جديدة للكتابة ونشرها [2].

وقد أحدث الخاقان بهذا القرار ثورة علمية على الخط الإيغوري الذي تبناه أسلافه وتداولوه في معاملاتهم عند ابتداء دولتهم. وانعكس ميل الحاكم الشديد للبوذية على الطاوية –المنافس التقليدي للبوذية– وأبدى عداءً شخصيا نحوهم مدة من الزمن، ليستفيد أتباع البوذية بشكل خاص من هذه السياسة [3].

الإسلام والمسلمون:

اختلفت المصادر الصينية التي تناولت تاريخ دخول الإسلام إلى الصين فبين من يرجعه إلى تاريخ أبكر حتى من ظهور دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وبين من يرجعه إلى ما بعدها، لكن أشهر الروايات تذكر أنّ ذلك حدث خلال عهد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان المتوافقة مع سنة 651م حين أرسل مبعوثين إلى الصين التي كانت وقتها تحت حكم سلالة تانغ، هذا التاريخ وإن لم يكن صحيحا إلّا أنّه يعد التاريخ المعمول به [4].

---

[1] – كلود ب. لفنسون، البوذية، تر.: محمد مقلد، دار الكتاب الجديد المتحدة، فرنسا، 2008م، ط1.، ص.24.

[2]- C.M.H, op. cit., p.646.

[3]- Grousset, op. cit., p.378.

[4]– مالي قو، دور العلماء الصينيين والمدارس الإسلامية في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية، أطروحة دكتوراه، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، اسلام آباد–باكستان، 2009–2013م، ص.45.

وفي سنة 96هـ أوقفت فتوحات قتيبة الباهلي المد الصيني باتجاه الغرب وأصبح الصينيون على حدود الدولة الإسلامية (تركستان الشرقية)، وما كاد يمضي قرن على ظهور الإسلام حتى صار لهم باع في التجارة بين الشرق والغرب توطَّدت على إثرها العلاقات التجارية بينهم وبين الصين، – وفي الوقت الذي فشلت أوروبا في نشر المسيحية على المذهب الكاثوليكي عن طريق منصريها وأهل الاختصاص من هيئتي الفرنسيسكان والدومنيكان–، انتشر الدين الإسلامي في المنطقة عن طريق التجار المسلمين الوافدين اليها، وبالإضافة إلى نشاطهم التجاري، ساد هؤلاء التّجار الرغبة في نشر تعاليم الدين الإسلامي[1]،بعد أن أثبتوا وجودهم من خلال بناء أول جامع في مدينة كانتون (قوانغتشو)، وعزز ذلك اتباعهم لحكم ديني مستقل خاص بعد أن أصبحت لهم محلة خاصة عرفت بـ محلة الأجانب تحت سيادة السلطة العليا [2].

وخلال عهد المغول تباينت أحوال المسلمين حسب ما تقتضيه المصلحة، وقد برز دورهم في العديد من المجالات إذ تقلدوا المناصب العليا في الدولة، وكان تواجدهم ملفتا للنظر، يقول العمري نقلا عن الشرف السمرقندي: "ومن عجائب ما رأيت في مملكة هذا القاان الكبير أنه رجل كافر وفي رعاياه أمم كثيرة من المسلمين وهم عند مكرمون محترمون" [3].

أمّا الرحالة الشهير ابن بطوطة [4] الذي زار الصين خلال عهد آخر خاناتها المغول طوغان تيمور، فيؤكد أنه رغم كثرة الوثنيين بها، إلا أن المسلمين ظلوا فيها على سالف عهدهم مستقلين بأحوالهم، لهم مدينة خاصة بهم في كل ولاية من ولايات البلد، ولهم فيها المساجد [1].

---

[1]– مالي قو، المرجع السابق، ص ص.45-47.

[2]– بدر الدين و. ل. حي، تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر، دار الانشاء للطباعة والنشر، لبنان، 1974م، ص.18.

[3]– العمري، المصدر السابق، ج.3، ص.115.

[4]– ينوه حسين مؤنس إلى نقطة مهمة خلال دراسته لكتاب الرحلة لابن بطوطة أنه على الرغم من الصراعات والانحدار الذي ألم بالأمة الإسلامية وفساد حكامها، إلا أنه يظهر في المقابل الطرف الثاني الذي يمثل عامة الشعب، وقدرة ابن بطوطة على قطع كل

عادت سياسة قوبيلاي تجاه المسلمين بالعديد من الفوائد على الدولة؛ إذ لم تشهد المنطقة خلال هذه الفترة تسارع نفوذ المسلمين وحسب، وإنما تعدتها إلى التأثير في المجتمع بإضافة عناصر جديدة إلى جاليات العرب والإيرانيين، وعلى مدار تواجدهم هناك أظهروا ضلعهم في الأمور الإدارية؛ إذ أدخل "السيد الأجل" الذي عيَّنه قوبيلاي حاكما على ولاية سينشوان سنة 1272م، ويونان بعدها في سنة 1274م، إصلاحات اجتماعية عليها حسَّنت أوضاع سكانها، بعد أن كانوا أبعد ما يكون إلى ذلك [2].

ربما كان المسلمون أشد تأثيرا على المغول من غيرهم، وحتى إرساليات البابوية لم تأت بنفس ثمار المسلمين هناك، ليتجاوز تأثيرهم في الصين من تولي المناصب الإدارية وغيرها إلى نشر الدين الإسلامي، فعرفوا بنشاطهم الدعوي ومن أشهر هؤلاء الذين مارسوا نشاطهم الدعوي بالمنطقة "برهان الدين البخاري"[3]، الذي كان أحد تلامذة شيخ الإسلام "سيف الدين الباخرزي" الذي فوَّضته سيورقيتي على شؤون مدرسة بخارى[4].

يذكر "الهمذاني" أيضا أنّ أحد الأسباب في دخول العديد من المغول في الإسلام يعود إلى رجل مسلم يدعى "مهتر الأقتاجي" الذي عهد إليه مينكقلان بن قوبيلاي بتربية ابنه آنندة، وسبب ذلك أنّه لم يكن يعيش له أبناء، سمحت البيئة الاسلامية التي نشأ فيها حفيد قوبيلاي بترسيخ الإسلام في قلبه وشبِّه على الطاعات والعبادات، منحه الخان تيمور جيش والده، وولاية التانغوت، الإقليم الكبير الذي يقع شمال الصين ويحوي 24 مدينة كبيرة، وأغلب سكانه مسلمون مع وجود بعض الوثنيين، سعى من خلال منصبه إلى تقوية ونشر الإسلام في ولايته، وأما جيشه البالغ عدده

تلك المسافات دون أموال، وتعامل المسلمين معه فيها وفي الصين إنما يدل على تكاتف المسلمين فيما بينهم. للمزيد انظر: حسين مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته تحقيق ودراسة وتحليل، دار المعارف، القاهرة، مصر، 2003م، ص ص.8-9.

[1]- ابن بطوطة، المصدر السابق، ص.641.

[2]- بدر الدين، المرجع السابق، ص ص. 27-28 .

[3] - الهمذاني، المصدر السابق، ص ص.315-317.

[4] - الجويني، المصدر السابق، ج.3، ص.30.

حوالي 150 ألف جندي مغولي فقد تمكن من إدخال الأغلبية منهم في دينه، مما جعل رشيد الدين يتوقع أنه سيزدهر بسبب كثرة متبعيه، والمسلم الحق ينعكس دينه على أخلاقه وتعاملاته [1].

وفي مدينة يانغتشو على سبيل المثال، بالإضافة إلى شواهد القبور المسيحية، تم التنقيب عن شواهد قبور تبيَّن أنها لديانات أخرى أيضا في مقدمتها الإسلام. ويبدو أنّ المسلمين وصلوا إليها في وقت مبكر كما ذكرنا، وبناءً على الأدلة الأدبية، كثر عددهم فيها في ذلك الوقت بشكل ملفت، إلّا أنّه سرعان ما عاد للانخفاض بشكل مذهل لاحقا بسبب الفتنة الوطنية وتغير السلالات، والحقيقة أنّ عهد سلالة يوان هي الفترة التي تطور فيها الإسلام في الصين وتم تشكيل المجموعة العرقية (Hui)، وتم تجنيد العديد من المسلمين العرب والفرس وآسيا الوسطى في الجيش المغولي للمحاربة لصالحهم، ليحتلّوا مكانة اجتماعية عالية وتقليد المناصب الرسمية بسبب مساهمتهم في الحملات العسكرية. إلى جانب ذلك، فقد ساهمت الطرق البرية والبحرية وسط وغرب آسيا في قدوم العديد من التجار والحرفيين المسلمين للاستقرار بالصين، والذي أدّى إلى زيادة عددهم تدريجيا فيها [2].

الديانة اليهودية:

حسب دراسة أجراها كريستوفر تمثلت في مقارنة بين نصوص وثائقية لفئات دينية مختلفة لكل من الصين ما بين (1271-1368م) وروسيا ما بين (1267-1357م)، ينوه إلى أنه ينبغي التمييز بين سياسة الإعفاءات الدينية التي كان يتمتع بها رجال الدين خلال حكم المغول وبين سياسة السماح للأديان بممارسة شعائرها، وهذا شأن اليهودية فإنها لم تحظر أبدا لكن رجال الدين نادرا ما تم اعفاؤهم من الضرائب [3].

[1]- الهمذاني، المصدر السابق، ص ص.315-317.

[2]- Mengtian Bai, op. cit., pp.13-14.

[3]- Christopher P. Atwood, Religious Toleration, op. cit., p.247.

في البداية تم التعامل مع اليهود كنوع من الهوهوي (Huihuis)، ولكن بحلول سنة 1330م تم ذكر اليهودية كدين منفصل وخامس معفى إلى جانب الأديان الأخرى [1].

كان من بين الأمور التي اعتاد الخان على القيام بها مشاركة رجال الدين في امبراطوريته احتفالاتهم بأعيادهم؛ إذ ورد عن ماركو بولو أنّه خلال عودة الحاكم إلى عاصمته خان باليق من إحدى الغارات التي قام بها، وتزامن تواجده بالمدينة مع عيد الفصح[2] عند المسيحيين، طلب منهم المثول بين يديه حاملين معهم كتابهم المقدس، وأمرهم باتباع تعاليمه بعد أن طيَّبه بالبخور وقبَّله، وهو فعله مع باقي أعيادهم وأعياد المسلمين واليهود والوثنيين، موضحا أن تصرفه هذا نابع من احترامه لجميع الأديان [3].

الديانة المسيحية:

حظى المسيحيون في الإمبراطورية بقدر من الاهتمام، ونالوا في ظلها العديد من الامتيازات، فقد أنشأ قوبيلاي في سنة 189م، مكتبا خاصا يتولى رعاية شؤون رجال الدين المسيحيين أو ما يعرف بـ شونغفوسي (Chonngfusi) [4]، وصار ممكنا لكنيسة الشرق أن تقوم بنشاطها بحرية في جميع أنحاء الصين، في سنة 1275م أقيمت أبرشية الشرق السريانية في بكين ترأسها البطريرك المار جورج، تحرَّرت كنيسة المشرق من الضرائب وحظت بمجموعة متنوعة من المزايا الأخرى من خلال المكتب المستحدث، كما تم الاحتفاظ أيضا بقوائم رواتب الموظفين [5].

1- Christopher P. Atwood, Religious Toleration, op. cit., p.250.

2- عيد الفصح (القيامة)، أحد أعظم الأعياد المسيحية وأكبرها، يدور الاعتقاد الأساسي فيه حول قيامة المسيح عليه السلام من بين الأموات بعد ثلاثة أيام من صلبه حسب العهد الجديد، وفيه ينتهي الصوم الكبير الذي يستمر في الغالب أربعين يوما. انظر: تادرس ملطي، المرجع السابق.

3- ماركو بولو، المصدر السابق، ج.1، ص.18.

4- Halbertsma, op. cit., p .66.

5- Baum, op. cit., pp .86-87.

يرى هالبرتسما أنّ قوبيلاي أدرك أهمية العامل الديني، وبالتحديد المسيحية في المعاملات الدبلوماسية مع أوروبا، وذلك من خلال طلبه من والد ماركو أن يطلب من البابا أن يبعث له حوالي 100 من العلماء المتمكنين من العقيدة المسيحية، وزيت المصباح الذي يحترق فوق قبر المسيح في القدس، بهدف أن يناقش هؤلاء العلماء أصحاب الديانات الأخرى، –ولعل الأمر هنا أشبه بالمناظرة الشهيرة التي أجراها سلفه مونكو خان بحضور وليام روبروك سنة 1250م بمشاركة مختلف الملل والنحل–، وأن يثبتوا له ولأتباع المعتقدات الأخرى، من خلال دحض حججهم والتأكيد على بطلانها، صحة العقيدة المسيحية، والاستعانة بالدلائل والبراهين العقلية على صحتها دون سواها عن باقي الملل [1].

في المقابل إذا تمكن هؤلاء من إثبات ذلك، فإنه يتحتم على الخان ورعيته بناءً على أوامره اتباع العقيدة الجديدة والتخلي عن القديمة، كما أنه سيصبح للمسيحية جراء ذلك أتباع كثر بالمنطقة، حتى بالمقارنة مع أوروبا وباقي أماكن انتشارها [2]. ومع ذلك، يبدو أنّ طلب قوبيلاي –حسب نفس المؤرخ– لم يكن بدافع الرغبة في اعتناق المسيحية، وإنما محاولة وضع موازنة بين مختلف الملل في بلاطه، والحقيقة أن العديد من المؤرخين يرون أن المصلحة هي الدافع وراء طلبه [3].

أثبتت مواقف وردود فعل قوبيلاي تجاه المعتقدات، حنكته السياسية –على الرغم من أنّه تصرّف بقسوة في بعض الأحيان–، ففي سنة 1287م خلال المواجهة التي جمعته مع أحد أقاربه الأمير "نايان المسيحي"، الذي تولى الحكم رغم صغر سنه على العديد من الولايات والمدن، ومكنه منصبه من اعداد جيش يبلغ عدده نحو 400 ألف فارس لمحاربة الخان، وفي سنة 1286م سعى جاهدا إلى ذلك من خلال محاولة إقامة حلف مع قايدو، غير أنّ مخطط الاثنان انكشف، وسارع

[1]- Halbertsma, op. cit., p .55.

[2]– ماركو بولو، المصدر السابق، ج.2، ص.20.

[3]- Halbertsma, op. cit., p.55.

الحاكم الصيني بناءً على الأخبار الواردة إلى أخذ الاحتياطات اللازمة، وباغت جيوش خصمه "نايان" وألحق بها هزيمة نكراء [1].

يقول ماركو بولو: " ورأى نايان، الذي تم له سرا مرسم التعميد، وإن لم يعلن تنصّره على الملأ أبدا، أنّ من الصواب في هذه المناسبة، أن يرفع علامة الصليب على راياته، وكان بين جنده عدد جم من المسيحيين، الذين سقط منهم كثيرون قتلى" [2].

بيّن موقف قوبيلاي الذي يتجلى من لحظة هزيمة نايان المسيحي ذكاءه ودهاءه السياسي، فحسب ماركو: "وعندما شهد اليهود والمسلمون أن راية الصليب قد غلبت، عيروا السكان المسيحيين بذلك قائلين: "انظروا إلى الحالة التي تنحدر إليها راياتكم ... وبناء على هذه السخرية، اضطر المسيحيون إلى تقديم شكواهم إلى الخان الأعظم، فأمرهم بمثول المسلمين واليهود بين يديه وعنفهم تعنيفهم حادا، قال: "لئن لم يعد صليب المسيح بالفائدة على حزب نايان، فإن هذه العاقبة توافقت والعقل والعدالة، من حيث أنه كان ثائرا متمردا وخائنا لمولاه، ولم يكن الصليب ليمكنه أن يشمل بحمايته مثل هؤلاء الحقراء، وبناء على هذا لا يجوز لأي فرد أن يتجرأ على اتهام رب المسيحيين بالظلم الذي هو في حد ذاته غاية كمال الصلاح والعدل" [3].

وعلى الرغم من أنّ بولو يقترح أن المسيحيين حظوا بمعاملة أفضل عن البقية، ومع أنّ النساطرة مارسوا معتقداتهم بحرية في أنحاء الإمبراطورية المغولية، وتم اعفاؤهم بناءً على سياسة جنكيز خان التي اتبعها خلفاؤه من الضرائب والأعمال القسرية، إلّا أنّه لا يوجد ما يشير إلى تلقيهم لمعاملة أكثر تفضيلا وتمييزا عن البقية من قبل الخانات، فقد تم السماح لجميع المعتقدات بالانتشار والازدهار ما لم تتحدَّ القوى الحاكمة، وهكذا، فإن النساطرة المؤثرين في البلاط المغولي مثل "تشينكاي"

[1]- ماركو بولو، المصدر السابق، ج.2، ص.16.

[2]- نفسه.

[3]- نفسه، ص ص.16-17.

و"بولجاي" و"خداغ" لاقوا حتفهم على أيدي الخانات المغول لأسباب سياسية، وخلال الغزوات المغولية لم يتم إنقاذ المجتمعات المسيحية التي قاومتهم [1].

ويرى بعض العلماء أنّ قوبيلاي مال إلى البوذية والكونفوشيوسية، ويلخِّص وصف مونتي كورفينو للقائه بالخان الموقف العام للحكام المغول تجاه المسيحيين في بلاطهم: "دعوت الإمبراطور نفسه لتلقي الإيمان الكاثوليكي برسائل من البابا، لكنه بقي مصرا على عبادة الأصنام. ومع ذلك، فإنه يتصرَّف بكرم شديد مع المسيحيين، وهذه هي السنة الثانية عشرة التي أمضيتها برفقته".

يلخِّص هالبرتسما سياسة الحكام بقوله: "كان للخانات المغول بالتأكيد حياة دينية، لكن لا يبدو أن لقاءهم بالمسيحية – من خلال الأمهات أو المرشدين أو المستشارين النساطرة – قد أثر عليهم كثيرا. مهما كانت الاهتمامات الشخصية للخانات المغول، لم يعتنق أي منهم المسيحية وفي النهاية مارسوا جميعا الشامانية ومزيجا من الديانات الأخرى. بدلا من ذلك، عاملوا المسيحية بالطريقة التي تعاملوا بها مع جميع الأديان الأخرى، وفي أفضل الأحوال، كأداة لتأسيس تحالفات جديدة. لم يلخص الكثيرون هذه الحقيقة بقوة أكبر من الباحث الروسي ألكسندر يورتشينكو. على السؤال عن سبب عدم اعتناق الإمبراطورية المغولية للمسيحية، أو البوذية أو الإسلام، أجاب المؤرخ ببساطة: "لأن الإمبراطورية المغولية كانت إمبراطورية السماء الأبدية" [2].

6. العلاقة بين مختلف الطوائف:

إنّ محاولة فهم طبيعة العلاقة بين مختلف المذاهب الممارسة في الدولة، يستدعي استحضار الروايات الواردة بشأنها، ومع أن بعضها يفتقر إلى المصداقية والأمانة، إلا أنها تكاد تكون المصدر الوحيد الذي بين أيدينا عنها.

1- Halbertsma, op. cit., p. 57.
2- Ibid.

علاقة المسيحيين بالمسلمين والطوائف الدينية الأخرى:

إنّ بعض جوانب علاقات المسيحيين مع المسلمين، نستشفها من خلال بعض الحوادث التي ورد ذكرها في كتب الرحالة، وروايات الرهبان، والمصادر الفارسية، ومن ذلك، ما ذكره رشيد الدين أنّه خلال عهد الوزير "سنكه" الذي خلف "أحمد"، أتى مجموعة من التجار إلى الخان خلال زيارتهم لبعض الولايات هناك، وقدَّموا له هدية ممثّلة في صقر، ففرح بذلك ودعاهم إلى طعامه، لكنهم رفضوا أكله، بحجة حرمته في الشريعة الإسلامية، ما أغضبه كثيرا، وأصدر أمراً بألّا يذبح المسلمون وأهل الكتاب الماشية منذ تلك اللحظة، وإنّما يشقون[1]صدورها وأكتافها حسب عادات المغول، وتطبيق العقاب على كل من يخالف المرسوم الإمبراطوري، ويذبح مثل الشاه؛ بل وتعاقب حتى عائلته وفق ما تراه الدولة [2].

على إثر ذلك سعى كل من " عيسى كلمجي" الذي سبق ذكره في الفصل الأول على أنه أحد المسيحيين الشرقيين، ومعه "ابن المعالي" و"بندق"، على الحصول على مرسوم يقضي بحظر الذبح وقتل كل من يخالف القرار، واستطاعوا ابتزاز أموال كثيرة من الناس ودسوا المكائد للمسلمين، فكانوا يتتبعون أثر غلمانهم ويغرونهم بتحريرهم مما دفع الغلمان إلى الافتراء على أسيادهم بغية خلاصهم وهكذا لم يتمكنوا من ختان أطفالهم طيلة أربع سنوات [3].

في المقابل يذكر الرحالة الشهير ماركو بولو شبيها للرواية المتعلقة بالقرارات بظروف مختلفة، وسببه أن الوزير أحمد الذي خلفه سنكة كان مقربا لدى قوبيلاي كثيرا فاستغل منصبه وأساء إلى

[1]- تنص إحدى ينود الياسا على ألا تذبح الماشية، ومع ذلك يرجع تاريخ السماح للمسلمين بالذبح عكس ما نصت به الياسا إلى عهد مونكو خان خلال حفل تتويجه. انظر: الهمذاني، المصدر السابق.

[2]- نفسه، ص.289.

[3]- نفسه.

السكان، فكاد له كارهوه إلى أن قتل في نهاية المطاف، واستدعى المسلمين وحرم عليهم مواصلة الكثير من شرائعهم وصولا إلى تطبيق أحكام الزواج وفق عرف المغول [1].

ماركو بولو هو الآخر يعكس لنا جانبا من نظرة المسيحيين، لكن من أتباع المذهب الكاثوليكي هذه المرة، وسعيه إلى تحميلهم أبشع الصفات، وإن كنت أميل إلى موافقته في بعض مما قاله حول الوزير بناء على ما قاله رشيد الدين إلى أن القارئ يلحظ مبالغته.

يمكن أن نفسر السماح للمسلمين بالذبح قبل صدور المرسوم الذي يمنع ذلك من جهة إما أن المغول سمحوا للمسلمين بإقامة شعائرهم، رغم مخالفتها لما تقتضيه "الياسا" شريطة ألا يكون ذلك علنا، ومن جهة أخرى يمكن تعليل ذلك بما ذكرته المصادر التاريخية من أن المسلمين في الصين رغم تبعيتهم إلى الحاكم إلا أنهم في الوقت مستقلون في أحكامهم عنه فكان لهم قاض خاص بهم وما إلى ذلك كما سبق ذكره.

أمّا بالنسبة لسياسة الخان فيعزى ذلك إلى حنقه الشديد تجاه الوزير المسلم أحمد الذي تقلد منصبه مدة طويلة قبل سنكة، وما ظهر منه بعد موته، كما تتّضح سياسته تجاه الأديان تحكم أصحاب المناصب العليا أنفسهم على اختلاف مذاهبهم وسعيهم إلى الكيد لبعضهم البعض على أن هذا موقفهم لا يعزى إلى خلفية دينية بقدر ما يعزى إلى مصالح سياسية.

يلخص "براودين"، حقيقة مبدأ التسامح الذي ادعى المغول تطبيقه، ويصف ردة فعل قوبيلاي تجاه ما يتعارض مع قناعاته بقوله: "كان لتسامح قوبيلاي حدود صارمة، ومن الخطر تجاوزها" [2].

على أنّ الخان أبطل قراره بمرسوم آخر يعيد للمسلمين حقهم في الذبح بعد أن بادر أكابر المسلمين بتلك الديار أمثال "بهاء الدين قندوزي" وغيره بتقديم خدمات كثيرة إلى وزير الخان سنكة عرض عليه قائلا "إن جميع التجار المسلمين نزحوا من هنا ولم يعد يأتي التجار من بلاد المسلمين وقد

[1]- ماركو بولو، المصدر السابق، ج.2، ص.41.

[2]- Prawdin, op. cit., p.332.

تضاءل الخراج وذلك لأنه قد مضت سبع سنوات دون أن يذبح المسلمون غنما فإذا أصدر قرارا بإباحة الذبح فسوف يروح التجار ويغدون ويحصل الخراج بأكمله " فصدر مرسوم ذلك [1].

وبناءً على زيارة ابن بطوطة، فإن القانون قد تم إبطاله فعلا؛ إذ يذكر أنه خلال ذهابه مبعوثا إلى الصين في عهد طوغان تيمور، استضافه أمير أمراء الصين "قرطي"، وأتى كبار المدينة، وأحضر الطباخين المسلمين الذين ذبحوا وطبخوا الطعام [2].

وعلى الرغم من التعايش الديني الذي كان في المنطقة، إلا أن النساطرة كادوا لـ برهان الدين البخاري [3]، الذي كان يمارس نشاطه الدعوي في خان باليق، وتسببوا في إقصائه إلى ناحية الجنوب الصيني، حيث توفي بها، مما دفع المسلمين في نهاية المطاف إلى مغادرة ولاية الخطا، ولم تقتصر مكائد النساطرة على المسلمين وحسب وإنما عدتهم إلى باقي الطوائف مثل اليهود والكاثوليك فكورفينو يذكر كيدهم له. ويبدو أن سعي البابوية إلى تنصير المغول صَحِبه في المقابل سعي المسلمين إلى نشر دعوتهم.

في رواية أخرى لرشيد الدين أن تعصب المسيحيين تجاه المسلمين –ولا نعلم إن كان يقصد هنا طائفة النساطرة أو طائفة أخرى والأرجح أنها كذلك دفعهم للذهاب إلى الخان وإخباره أن في القرآن الكريم آية تقول: **"اقتلوا المشركين كافة"** [4] فقال الخان مصحوبا بدافع الغضب: "من أين تقولون هذا" فأجابوا لقد وصلت رسالة من آباقا خان فطلب الخان تلك الرسالة ثم استدعى العلماء وسال أحد كبرائهم بهاء الدين البهائي فأجابه أن الآية موجودة فعل وان السبب في عدم قتلهم أن الوقت لم يحن بعد وليست لنا القدرة على ذلك فرد الخان بانه له القدرة وامر بقتله غير ان الأمير أحمد الوزير والقاضي بهاء الدين الذي كان له مرتبة الوزارة أيضا والأمير داشمن منعوه من تنفيذ حكمه بحجة

[1]– الهمذاني، المصدر السابق، جامع التواريخ، ص.289–290.

[2]– ابن بطوطة، المصدر السابق، ص.652.

[3] – برهان الدين البخاري هو أحد تلاميذ شيخ الإسلام سيف الدين الباخرزي. انظر: الهمذاني، المصدر السابق.

[4]– الأصل **"وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة"** الآية 36 من سورة التوبة.

وجوب سؤال الاخرين فاستدعوا حميد الدين سابق السمرقندي الذي كان قاضيا الذي كانت اجابته ذكية نوعا ما وقال له أنّك لست مشركا فأنت تكتب اسم الله في مقدمة الفرمان (المرسوم) فاعجب الخان بكلامه ونجا الاخرون من مصيرهم [1].

علاقة المذاهب المسيحية فيما بينها:

لم يتمكّن الفرنسيسكان من تنصير المغوليين أثناء وجودهم في الصين، ولا حتّى الصينيين. فغالبا ما حمل الكُتّاب اللاتين نبرة جدلية ضد النساطرة. وتم اعتبارهم عائقا رئيسيا أمام انتشار المسيحية الغربية في المنطقة، فوليام روبروك وصف حياة النساطرة بالمتفتّحة والبعيدة عن الصواب. ومع ذلك، أصبحت هاتان الطائفتان حليفتين مرتبطتين بمعتقداتهما وعلى اختلافهما مع الأديان الأخرى. تشارك أتباعها الاحتفالات الدينية مثل عيد الفصح وعيد العنصرة معا. وأكّد روبروك على أن للنساطرة وللمسيحيين الغربيين قضية مشتركة "تكريم الصليب" [2].

انعكست العلاقة المتبادلة المتناقضة بين مختلف المذاهب المسيحية وتحديدا بين الكاثوليك والنساطرة في أواخر العصور الوسطى في الصين في الكتابات التاريخية لسلالة يوان. فقد تمت الإشارة حسب المصادر المعاصرة إلى كلتا المجموعتين بنفس الاسم "يلكوين" (YeliKewen) وسجَّلت بعض العروض الليتورجية في هيكل الصليب. من الأصوب أن نفترض أن معبد الصليب كان مكانًا دينيًا جماعيًا للنساطرة وأتباع المذاهب المسيحية الأخرى، وبالأخص الكاثوليك، وأيضًا نقطة التقاء للثقافات البصرية لهاتين الطائفتين المسيحيتين. وقد أثَّر هذا التمازج الفريد إلى اكتساب معان جديدة في التكيف المستمر، يوفر رسم خرائط هذه العملية هو الآخر رؤى حول التفاعلات الاجتماعية بين المجموعات الثقافية المتنوعة خلال عهد أسرة يوان [3].

[1]- الهمذاني، المصدر السابق، ص ص.290-291.

[2]- Mengtian Bai, op. cit., p.33.

[3]- Ibid.

7. سياسة خلفاء قوبيلاي:

عرفت الفترة التي تلت موت قوبيلاي إلى غاية تولي آخر حكامها توغان تيمور أي من 1294م إلى 1333م باسم يوان الوسطى (Mid Yuan)، وقد تعاقب على الحكم خلالها تسع خاقانات، وخلال هذه الفترة تذبذبت سياسة الحكام تجاه الأديان بين تشدد وبين تسامح [1].

وعلى خلاف قوبيلاي الذي عرف بتسامحه الديني، نجد أنّ حفيده وخليفته "تيمور أولجايتو" يُظهر نوعا من التعصب والتزمّت، وذلك حين قام بإصدار مرسوم يأمر كل المغول والصينيين بعبادة "كونفوشيوس"، دون أية مراعاة لاختلافاتهم المذهبية[2].

ومن المواقف التي أكَّدت على ذلك، حادثة يرويها الهمذاني أنّ الخان أرسل بعضا من أتباعه المسؤولين عن الصيد إلى ابن عمه الأمير آنندة ليمنعوه من تأدية عباداته، بتحريض من سرتاق بعد أن قال للخان: "إنّ آنندة يلزم المسجد دائما ويؤدي الصلاة والصوم، ويعكف على قراءة القرآن وقد ختن أكثر أطفال المغول، وأدخل أغلب الجنود في الإسلام"، وبسبب فشل المسؤولين في إقناع الأمير بالتخلي عن ديانته أمر الخان بسجنه، لكن أمه كوكجين خاتون نهته عن ذلك لحداثة عهده بالحكم والمصلحة تقتضي الحذر بسبب أتباعه الكثر والذي من شأنه أن يحدث انقلابا عليه [3].

موقف الخاتون لم يكن الأول أو الأخير فقد عرف عنها فطنتها وحكمتها، ولا عجب أنّها كانت بمثابة المستشار في العديد من الأمور، وشافعا للعديد من الوزراء، وقد كانت وصية على الملك سنة قبل أن يتولى ابنها تيمور الحكم بسبب بعده [4]. وهذا ليس بالجديد فكما هو معلوم أنّ النساء

1- Herbert Franke, op. cit., p.478.

2- René Grousset, The Rise and Splendour of The Chinese Empire, Univ of California Press, 1953, U.N.S, p. 244.

3- الهمذاني، المصدر السابق، ص ص. 316،317.

4- نفسه، ص ص. 294-313.

المغوليات على وجه التحديد وطيلة فترة قيام الإمبراطورية إلى سقوطها كان لهن دور كبير في الأمور المتعلقة بالحكم.

تم اعفاء رجال الدين المسيحيين جنبا إلى جنب مع البوذيين والطاويين والمسلمين من الخدمة العسكرية والعمل الجبري لأنّ وظيفتهم كانت الصلاة من أجل الخان حتى يتمكّنوا من الحصول على البركات. عندما كان جنكيز خان لا يزال في السلطة، كان على كل شخص دفع الضرائب. ومع ذلك، خلال الفترة من غيوك إلى مونكو خان (1246 1260)، تم التنازل عن الضرائب العقارية والتجارية لجميع رجال الدين، في سنة 1283م أصدر قوبيلاي خان مرسوما لمنح أحكام رجال الدين المسيحيين، وصاروا في وقت لاحق مطالبين فقط مع العائلة بدفع ضريبة الأرض، لكن بعد سنة 1308م أصبح لزاما على جميع رجال الدين دفع الضرائب [1].

وفي عام 1311م قلّص الخان المغولي "بويانتو" (Buyantu) الذي حكم خلال (1311-1320م) الصلاحيات الممنوحة لرجال الدين المسيحي، بعد أن أصدر مرسوما يقضي بتحويل الأديرة المسيحية التي تم تأسّست حديثا إلى أضرحة بوذية [2].

لقد كان هذا الخاقان أحد المروّجين للبوذية، وأصبح طالبا جادا للغة اللامية، ودعمها متى تمكّن من ذلك، وفعل الشيء ذاته مع الكونفوشيوسية، ونتج عن دعمه للأديرة البوذية استياء واسع بين شعبه وانعدام الثقة بين الأدباء الكونفوشيوسيين [3].

وعلى خلاف سلالة "سونغ" التي أظهرت تحفظات تجاه التأثيرات الأجنبية، أظهر قوبيلاي وخلفاؤه تسامحا دينيا ميّز الحكم المغولي في أنحاء آسيا الوسطى، مع أنّ الروابط مع البوذية التبتية نمت بشكل متزايد بالنسبة لهم [4].

1- Christopher, op. cit., p. 250.
2- Baum, op. cit., pp. 86-87.
3- Ian Gillman, op. cit., p. 286.
4- Ibid., pp .285-286.

إنّ سياسة المغول الدينية التي تميّزت بالتسامح ظلّت علامة فارقة في تاريخ الأقوام الرعوية، وأثّرت إيجابا على الدولة من خلال استقطاب العلماء ورجال الدين على اختلاف مللهم، مع أنّها تغيّرت على فترات مختلفة، حتّى خلال عهد الحكام الذين عرفوا بتسامحهم الشديد، وذلك عندما يتعارض الأمر ومصلحة السلطة.

الخاتمة

وكما سبق ذكره في ثنايا البحث فإنّ السياسة الدينية للمغول قامت على أساس التعامل على قدم المساواة مع جميع الأديان وازدهر بذلك الجانب الديني، وكان لسياسة المغول عموما دور مهم، سواء الدينية القائمة على عدم اهتمامهم بدين معين، ما لم يتعارض مع مصالح دولتهم، أو التّجارية التي فتحت أبوابها للتّجار الأجانب وأمّنت لهم الطرقات، وسهّلت عليهم السفر والمعاملات التجارية حتى تم استعمال كلمة "السلام المغولي" على تلك الحقبة، ساهم هو الآخر في انتشار المسيحيين أكثر من العهد السابق، كان أغلبهم من النساطرة مع وجود وبنسبة أقل أتباع المذاهب المسيحية الأخرى.

ناهيك عن السياسة التي اتّبعها هؤلاء الخانات المغول، في هذا المضمار فإنّ الهول الذي أحدثته غزواتهم في كل من آسيا وأجزاء من أوروبا، والذي طال المسلمين أكثر من غيرهم، دفع أوروبا بقيادة البابوية إلى السعي إلى احتواء حكّام المغول وكسبهم حليفا أو حتّى درء شرهم، مستغلّين العديد من النقاط أبرزها تقدير الحكام أو لرجال الدين والعلماء أو بالأحرى استغلالهم، والسعي من هذا المنطلق إلى تغيير ملّتهم أملا في كسب ودهم.

على أنّ محاولة حمل المغول على الارتداد عن دينهم لم يكن مسعى المسيحيين وحدهم، وإنما ورد ذلك عن المسلمين والبوذيين، وكان ذلك بعد فترة طويلة من ظهور المغول على مسرح الأحداث، ومع ذلك لم تلق الديانة المسيحية النجاح الذي لاقته كل من الديانة الاسلامية والبوذية، إلا أن ذلك لم يمنع من تحقيقها لبعض النجاح والتأثيرات التي زالت بسرعة؛ إذ نجحت الارساليات المسيحية

الأوروبية التي ارتبطت أهدافها بالمصالح السياسية في المقام الأول، ثم نشر المسيحية بين المغول نسبيا، في تنصير بعض الجماعات التي تكونت في الغالب من النساطرة والآلان وبعض الوثنيين، في حين أنّها لم تغيّر شيئا مع المسلمين والمغول بناءً على شهادات الرهبان أنفسهم، وسرعان ما اندثرت باندثار السلالة الحاكمة.

ومع ذلك، فإنّ الجدير بالذكر أنّ نجاح البعثات التنصيرية كان على الصعيد الجغرافي أكثر منه على الصعيد الديني، حيث جمعت معلومات قيمة عن طبيعة الأماكن التي مرّ بها هؤلاء المبعوثون خلال رحلاتهم، وقد ساهمت هذه المعلومات فيما بعد إلى بعث حركة الكشوف الجغرافية، التي أسفرت عن اكتشاف العديد من المناطق.

ويمكن ارجاع الفشل الذريع للمسيحية وسقوطها السريع بالصين والمناطق التابعة لسلالة يوان إثر سقوط المغول، ناهيك عن عدم منطقيتها، إلى انتشار البوذية بين السكان المحليين، وإلى الدعم الذي نالته هذه الأخيرة من الحكام المغول أنفسهم الذين آثروها على بقية المعتقدات والأديان في بعض الأحيان.

وبناءً على شهادات الرهبان أنفسهم، فإنّ اعتناق المغول وغيرهم للمسيحية كان شكليا أكثر منه واقعيا، ففي الغالب اقتصر نجاح الرهبان على تعميد الأتباع الجدد، دون القدرة على تغيير عاداتهم ومعتقداتهم التي تتعارض ومبادئ المسيحية- وبالأخص المذهب الكاثوليكي باعتبار أن أتباعه ينظرون

إلى بقية المذاهب على أنّها هرطقة-، وهو أحد الأسباب التي عجلت بزوالها وعدم ثباتها بين أوساط مجتمع الشرق الأقصى في تلك الفترة وحتى اللاحقة.

يرتبط الأمر أيضا بتأسيس سلالة على أنقاض سلالة أخرى، ففي عهد تانغ تذبذب انتشار النسطورية بين حاكم معارض وحاكم مؤيد، وأمّا مينغ التي خلفت وتأسست على أنقاض يوان، فقد حاربتها بشدة باعتبارها أحد مخلفات الحكم المغولي الذي سخط عليه هؤلاء. ومع كل هذا، فإنّ أحد الأسباب الرئيسية لعدم انتشار المسيحية بمختلف مذاهبها بالمنطقة بالإضافة إلى ما ذكرناه، هو عدم مبالاة الشعب الصيني عموما بالدين وعدم إعطائه الأولوية.

وفي الأخير، الحمد لله الذي تتم بفضل نعمته الصالحات، وأعانني على انجاز هذا البحث الذي يعد بداية الطريق إلى دراسة المعتقدات الدينية في آسيا الوسطى والصين.

الملاحق

الخرائط والأشكال

خريطة التوسعات المغولية في العالم

خريطة لسلالة يوان بالصين

خريطة توضح طريق ماركو بولو

خريطة توضح التنظيمات الكنسية بالصين

شكل يمثل الشاهدة النسطورية بالصين

أشكال للصلبان النسطورية بمنغوليا الداخلية

شكل لبايزة مغولية لعبور أراضيهم

نقش مسيحي باللغة الصينية

الوثائق والنصوص

رسالة المبعوث كورفينو الثانية إلى البابوية بروما

رسالة البابا التي حملها المبعوث كورفينو إلى الخاقان قوبيلاي

رسالة الراهب بيرجرين إلى البابوية

رسالة الراهب أندرو أوف بيروجيا إلى البابوية

ترخيص بابوي لرئيس الأساقفة كورفينو للقيام بالمهام الكنسية

الصور

صورة لمرثية الرهب أندرو أوف بيروجيا

صورة للراهب أودوريك البوردينون

صورة لضريح كل من الأخوين كاترينا وأنطونيو: ايليوني"

صور لآثار مقابر نسطورية

الملحق رقم (01):

الغزوات المغولية في سنة 1206م [1]

[1]- الباز العريني، المرجع السابق، ص.33.

الملحق رقم (02):

حدود الإمبراطورية المغولية في سنة 1294م[1]

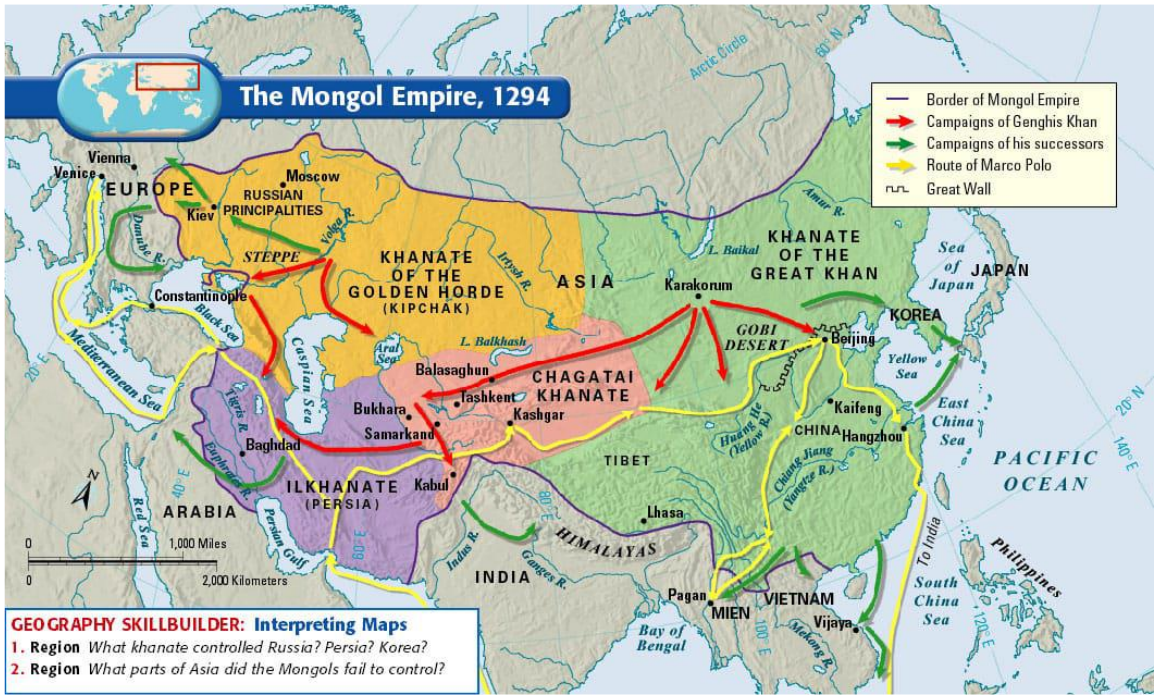

[1] -Mengtian Bai, op. cit., p. 51.

الملحق رقم (03):

الشاهدة النسطورية من سلالة "تانغ" [1]

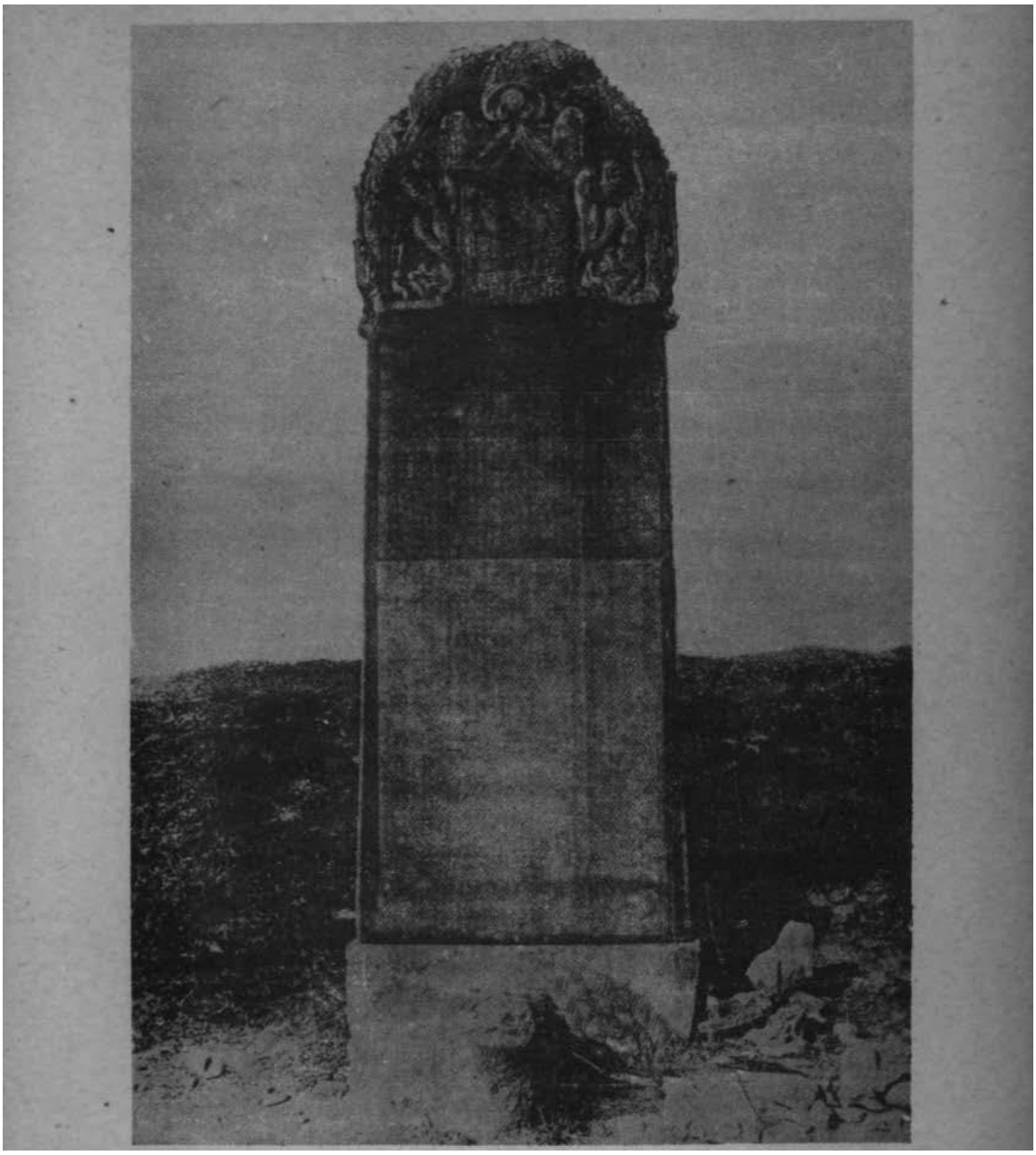

[1]- P.Y. Saeki, op. cit., p. 10.

الملحق رقم (04):

نقش صيني من الفترة المغولية باللغة السريانية التركية [1]

[1]- Lieu Sam, op. cit., p. 20.

الملحق رقم (05):

الكنائس المسيحية بالصين [1]

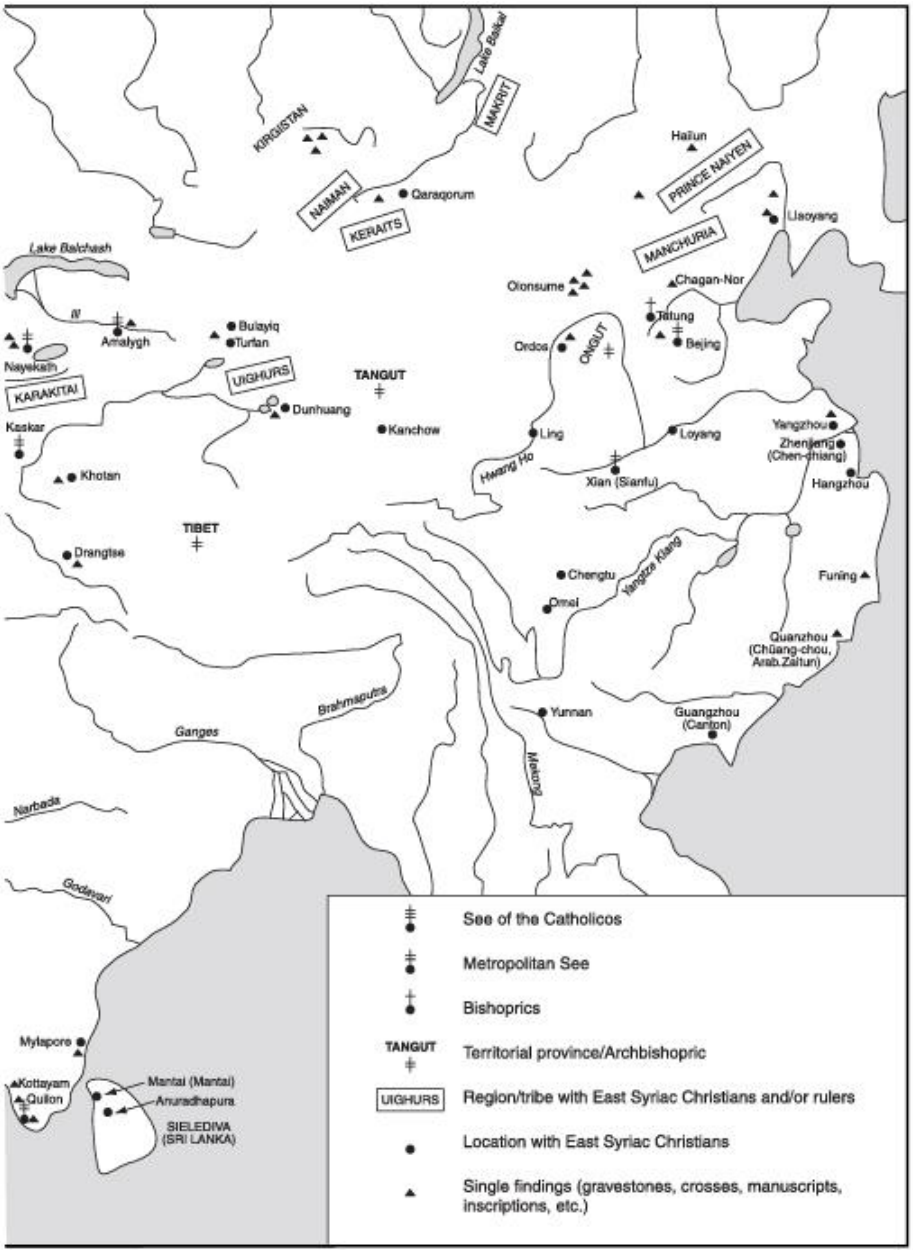

[1]- Baum and W. Winkler, op. cit., p. 99

الملحق رقم (06):

شاهدة قبر اليزابيث زوجة القائد المسيحي شيندو (xindu) في يانغتشو سنة 1317م[1].

[1]- Thomas Ertl, op. cit., p. 39.

الملحق رقم (07):

شاهدة قبر نسطوري من منغوليا الداخلية [1]

[1]- Halbertsma, op. cit., p. 139.

الملحق رقم (08):

مجموعة صلبان نسطورية-(أ)- [1]

[1] - Florian Knothe, op. cit., p. 61.

الملحق رقم (09):

مجموعة صلبان نسطورية–(ب)–[1]

[1]- Florian Knothe, op. cit., p. 62.

الملحق رقم (10):

رسالة يوحنا مونتي كورفينو الثانية إلى البابوية بتاريخ (8 جانفي 1305م)

"I, BROTHER JOHN of the Order of Friars Minor, departed from Tauris [Tabriz] a city of Persia, in the year of Our Lord 1291 and entered India and I was in the country of India and in the Church of St. Thomas the Apostle for 13 months. And there I baptized about one hundred persons in different places. And my fellow traveller was Brother Nicholas of Pistoia of the Order of the Friars Preachers, who died there and was buried in the same church. And going on further, I reached Cathay, the kingdom of the Emperor of the Tartars, who is called the Great Chan. Indeed I summoned the Emperor himself to receive the Catholic faith of Our Lord Jesus Christ with the letters of the Lord Pope, but he was too far gone in idolatry. Nevertheless he behaves very generously to the Christians and it is now the twelfth year that I have been with him. However the Nestorians, who call themselves Christians, but behave in a very unchristian manner, have grown so strong in these parts that they did not allow any Christian of another rite to have any place of worship, however small, nor to preach any doctrine but their own. For these lands have never been reached by any apostle or disciple of the apostles and so the aforesaid Nestorians both directly and by the bribery of others have brought most grievous persecutions upon me, declaring that I was not sent by the Lord Pope, but that I was a spy, a magician and a deceiver of men. And after some time they produced more false witnesses, saying that another messenger had been sent with a great treasure to the Emperor and that I had murdered him in India and made away with his gifts. And this intrigue lasted above five years, so that I was often brought to judgment, and in danger of a shameful death. But at last, by God's ordering, the Emperor came to know my innocence and the nature of my accusers, by the confession of some of them, and he sent them into exile with their wives and children.

Now I have been alone in this journeying without a confessor for eleven years, until there came to me Brother Arnold, a German of the Cologne province, more than a year ago. I have built a church in the city of Cambaliech [Khanbalik or Peking] where the chief residence of the long is, and this I completed six years ago and I also made a tower and put three bells in it. Morever I have baptized about 6,000 persons there up to the present, according to

my reckoning. And if it had not been for the aforesaid slanders I might have baptized 30,000 more, for I am constantly baptizing.

Also I have purchased by degrees forty boys of the sons of the pagans, between seven and eleven years old, who as yet knew no religion. Here I baptized them and taught them Latin and our rite, and I wrote for them about thirty psalters and hymnaries and two breviaries by which eleven boys now know the office. And they keep choir and say office as in a convent whether I am there or not. And several of them write psalters and other suitable things. And the Lord Emperor takes much delight in then : singing. And I ring the bells for all the Hours and sing the divine office with a choir of « sucklings and infants ». But we sing by rote because we have no books with the notes.

Of Good King George

A certain king of these parts, of the sect of the Nestorian Christians, who was of the family of that great king who was called Prester John of India, attached himself to me in the first year that I came here. And was converted by me to the truth of the true Catholic faith. And he took minor orders and served my Mass wearing the sacred vestments, so that the other Nestorians accused him of apostasy. Nevertheless he brought a great part of his people to the true Catholic faith, and he built a fine church with royal generosity in honour of God, the Holy Trinity and the Lord Pope, and 214nglish214d according to my name « the Roman church ». This King George departed to the Lord a true Christian, leaving a son and heir in the cradle, who is now nine years old. But his brothers who were perverse in the errors of Nestorius perverted all those whom King George had converted and brought them back to their former state of schism. And because I was alone and unable to leave the Emperor the Chaan, I could not visit that church, which is distant twenty days' journey. Nevertheless if a few helpers and fellow workers were to come, I hope in God that all could be restored for I still hold the grant of the late King George.

Again I say that 214nglis not been for the aforesaid slanders great results might have followed. If I had even two or three fellow coadjutors, perhaps the Emperor the Chan might have been baptized. I beg for some brethren to come, if any are willing to do so, so being as they are such as are anxious to offer themselves as an example and not to gain notoriety.

As to the road : I report that the way by the land of Cothay, the emperor of the Northern Tartars, is safer and more secure, so that, travelling with envoys, they might be able to arrive within five or six months. But the other route is the most long and perilous since it involves two sea voyages, the first of

which is about the distance of Acre from the province of Provence, but the second is like the distance between Acre and England, and it may happen that the journey is scarcely completed in two years. But the first was not safe for a long time on account of the wars, and for twelve years I have not received news of the Roman Curia, and of our Order and of the state of the West. Two years ago there came a certain physician, a surgeon from Lombardy, who infected these parts with incredible blasphemies about the Roman Curia and our Order and the state of the West, whereupon I greatly desire to know the truth. I ask the brethren who shall receive this letter that they should do their best to bring its contents to the notice of the Lord Pope and Cardinals and the Procurator of our Order hi the Curia. I beg the Minister General of our Order for an antiphonary, and the legends of the saints, a gradual and a noted psalter as an example, for I have nothing but a small breviary with shortened lessons and a small missal.

If only I had an example, the aforesaid boys could make copies from it.

Now I am hi the act of building another church, so that the boys can be divided among several places.

I have already grown old, and my hair is white from labours and tribulations rather than years, for I am fifty-eight years old. I have an adequate knowledge of the Tartar language and script, which is the usual language of the Tartars1, and now I have translated into that language and script the whole of the New Testament and the Psalter and have 215nglis written in beautiful characters. And I bear witness to the Law of Christ and read and preach openly and in public. And I planned with the aforesaid King George, if he had lived, to translate the whole of the Latin Office so that it might be sung through the whole land under his dominion. And while he lived Mass was celebrated in his church according to the Latin rite in their own script and language, both the words of the Canon and the Preface. And the son of the said king is called John after my own name and I hope in God that he will follow in the footsteps of his father.

Now from what I have seen and heard, I believe that there is no king or prince hi the world who can equal the Lord Chan in the extent of his land, and the greatness of the population and wealth" (1).

[1]- Dawson, op. cit., pp.224-228.

الملحق رقم (11):

رسالة البابا التي حملها كورفينو إلى قوبيلاي (13جويلية 1289م)

"We rejoice in the Lord, noble Prince, and give him devout and abundant thanks that he, in whose hand are the hearts of the princes of the Earth, preventing you, as we have heard with joy, with gentle piety by the gift of his grace has filled your inmost heart with such feelings that the desire of your 216nglish directed towards the enlarging of the boundaries of Christianity. For shortly after the beginning of our promotion we received in audience trustworthy messengers who had been sent by the magnificent Prince Arghun, famous king of the Tartars, who told us very plainly that your Magnificence bears a feeling of great love towards our person and the Roman Church and also towards the nation or people of the Latins.

And the said messengers earnestly begged on behalf of the king that we should send some Latin monks to your court.

But we, when we heard such pleasing and acceptable reports of so great and so sublime a Prince, rejoiced exceedingly in the Lord, sincerely desiring the increase of your health and the glory of your name and humbly beseeching the Father of Lights from whom is every good gift and every perfect gift that he will lighten your heart, ever proceeding from good to better, with the gift of his inspiration and will sprinkle you with the dew of his grace to the praise and honour of his glorious Name.

Wishing therefore to fulfil the king's desires in this respect and greatly longing that you may readily consent and be prepared and very eagerly agree to accept the Christian faith which the aforesaid Church holds and preserves ; since without his help accompanying none is able to please the Most High ; See, we have thought right that our beloved son brother John of Monte Corvino with his fellows of the Order of Minors, bearer of the present letter, should be sent to you, earnestly praying you to receive him and his aforesaid

companions with kindness (to whose teaching we desire that you may cleave close, since it tells of things meet for salvation) and to grant them the help of your royal favour for the healthful work committed to them, which has in view the salvation of souls, that trusting in its protection they may be able to conduct themselves with more advantage and effect in the same, and that you may win from the Lord, who repays the least service with great rewards, the prize of eternal blessedness "[(1)].

[1]- Moule, op. cit., pp . 168-169.

الملحق رقم (12):

ترخيص بابوي لكورفينو للقيام بالمهام الكنسية وتعيينه رئيس أساقفة (23 جويلية 1307م)

" Clement, Bishop, servant of the servants of God, to the beloved son in Christ Brother John of Monte Corvino of the Order of Minor Brothers, chosen and appointed by us to be Archbishop in Khan-baliq, health and Apostolic benediction, etc. . . . Below follows

It has quite lately been brought to the notice of us and of the Apostolic See by trustworthy report that you, fired I with love and with zeal for the orthodox Christian faith, I betook yourself once in person by command of the same ! See, with the previous consent and special permission of your Order and of the Minister General, to the very countries of the unbelievers of the East to gain for the living God the souls of the unbelievers ; and that in the lands of the dominion of the Tartars you have by the favour of the grace of the holy Spirit faithfully and diligently brought very many of the unbelievers through the washing of holy baptism to the true faith of Christ.

And afterwards reaching the upper regions as it were of the great prince, king of the Tartars, after many and various persecutions I and intrigues and injuries brought upon you by the Nestorian heretics and many false accusations added and innumerable strokes of trouble, you, like a faithful athlete and most brave champion of Christ (he by whose command kings reign and princes rule causing trust) when the truth , had been found out, because of love of the said faith came deservedly into the great favour of the said great king.41 I And so, the right hand of the Lord working wonders with you and healthfully guiding your acts, you obtained leave to have a church built to the honour of God and of the catholic faith in the city of Khan-baliq (Cabalech), where is the great and honourable [seat] of the kingdom of the said great king by the will of the same king.

In which, after a bell-tower had been built and bells put in the same, causing stories of the New and Old Testament to be painted to teach the unlearned [you have gathered] a congregation of boys whom you bought in their childhood with alms given you by the faithful and joined to the unity of the faithful by the sacrament of baptism, and whom, after they had been sufficiently taught by you in the Latin tongue and I the teaching of Latin letters, you have well and laudably instructed in the ecclesiastical Office according to the rules of the Roman church, and have at the motion of the

Lord healthily disposed [in two places]. And these brothers indeed or clerks, by the help of the divine grace fervently intent on keeping the commandments of God, bring praise to God in the same church, and sound and make resound in a strange land the melody of the songs of Sion. And you yourself not the less are doing in those regions many works of piety and love which increase the faith and promote a great fruit and advantage of souls.

We however, whom zeal for the salvation of souls stirs healthfully to promote this so pious business thus begun, extending the Apostolic eye of watchfulness to the merits of the opinion of the holy See sent to you before, and considering carefully that in the aforesaid regions must be placed the angel who is clothed with a cloud, namely of the scripture of the prophets, wears a rainbow on his head, that is to say, I mystically understood, having the gift of the holy Spirit, convinces all adversaries of the truth and confutes [them], and holding an open book in his hands, like a scribe instructed in the kingdom of the heavens, teaches the people committed to him for salvation ; and that through these other pious activities of your ministry, in which by the inspiration of God you are faithfully and diligently engaged in the same regions for the increase of the faith not without great (labours and detractions and attacks of mobs, when pernicious errors have been wholly removed, heresies in those very regions will be taken out, schisms uprooted, and great—nay even the very greatest—good will come to the said great king and to his kingdom and very many desirable things will follow, so that the glory of the orthodox faith, as we hope, will be fortified there with so much the more powerful strength as the king aforesaid and his kingdom aforesaid shall be adorned with happier truth to the praise of the divine Name ; ordain You, a professed member of the Order of Brothers Minor, whom trustworthy testimonials commend with regard to knowledge of letters, strictness in religion, cleanness of life, honesty of character, and gifts of other virtues, Archbishop and appoint you to be pastor in the aforesaid city of Khan-baliq by the advice of our ; brothers and fulness of Apostolic power, committing to you the full charge and care of the souls which live in the above- mentioned parts and in all others which are subject to the dominion of the Tartars, and granting you by the same authority in him who gives grace and bestows rewards full and free power to exercise all the rights which are recognized as belonging to Archbishops according as canonical permissions allow ; and also to your successors, Archbishops of Khan-baliq who shall be for the time, to use all and every gift and grant which by our letters we formerly thought

ought to be allowed by Apostolic authority to those of your Order of Brothers Minor who were setting out to the lands of the Saracens, pagans, and other unbelievers ; trusting that through the care of your prudence and the exercise of the work of prudence the people committed to you will chase away the darkness of their errors and will turn their hearts perfectly to Christ the living Lord and their Saviour, and being turned will be preserved from harm and will be made perfect both in spiritual things and temporal by the increase of wished for prosperity.

Take up therefore the light yoke of the Lord and submit the neck to his easy burden, and so study diligently to carry out the charge) aforesaid committed to your care that through these you 1 may be counted worthy to receive with the elect the prize of eternal blessedness. (1) "

[1]- Moule, op. cit., pp. 183-186.

الملحق رقم (13):

رسالة الراهب بيرجرين أسقف زيتون إلى البابوية (جانفي 1318م)

"To the Reverend Father in Christ, to Brother . . . Vicar of the Minister General, and to the other brethren of the Vicariate of the East, Brother Peregrine, made bishop of poverty in another world, sends homage and greeting, desiring to hear news from the world of the faithful.

For though I and my companions had acted like the prodigal son in flying to distant lands, as others have done, yet the Order like a good mother ought at least to remember the sons whom it has consigned to a strange exile. For a mother's heart does not treat a son with the rigour of justice. *And below,* and I am a bishop, however unworthy. *And below,* and I reached Ca[m]-baliech [Peking] with our father, Brother Andrew of Perugia the Bishop.

First of all I will speak of the Archbishop, Brother John. His outward life is good and hard and difficult. For as to that King George, it is certain that he converted him completely and worthily to the true faith, though previously he had mingled with the Nestorians. And the king himself in one day converted several thousands of his people. And had he lived, we should indeed have subdued his whole people and kingdom to Christ, and a change might even have been wrought with the Great Chan. For before the said Archbishop came to the empire of the Great Chan, no Christian of whatever nation or class could erect an oratory however small it might be, or a cross, on account of the power of the Nestorians, who prevented it. And 221nglish were compelled either to follow a schismatic and erroneous rite or to take the way of the unbelievers. But after Brother John came, with the help of God he has erected a number of churches, in spite of the Neslorians. And the other Christian peoples who hate the schismatic Nestorians have followed Brother John, especially the Armenians who are now building for themselves a remarkable church and intend to give it to him. Wherefore he is constantly with them and has left the Latin Church to the other brethren. Likewise there are good Christians, called Alans, 30,000 of whom are in the great king's pay, and these men with their families come to Brother John ; and he preaches to them and encourages them.

Nor do we see and we can preach to them and administer the Sacraments of the Church. But among the infidel we can preach freely and in the mosque *[moscheta]* of the Saracens we have preached often that they might be con-

verted, and to the idolaters likewise in their great cities by means of two interpreters. Many come together and wonder greatly and enquire diligently about these things. And now it is begun, we have good hopes, seeing the crowds eager to hear and running to where we preach. Truly we believe that if only we possessed their languages, God would show forth His wonders. Truly the harvest is great and the labourers are few and they have no sickle. For we brethren are few and quite aged and unskilled in the learning of languages. May God forgive those who hinder the brethren from coming. Of a truth I believe the enemy has done this for fear that we should invade his kingdom of which he holds undisputed possession.

In Cambaliech there are the Archbishop and Brother Andrew of Perugia and Brother Peter of Florence, the Bishop, and they lack nothing in temporal things. But in spiritual things they have never been so rich. For the Holy Spirit has fallen upon them and come on these two bishops, and they are so constant in prayer and in holy meditation and the Spirit so visits and consoles and animates them that they seem to forget all else, waiting day and night in holy vigils on the Lord.

Now I have been made Bishop of Cayton,1 and there I am free to serve God in peace and quiet with three devout brethren. And these servants of God are Brother John of Grimaldi, Brother

Emmanuel of Monticule and Brother Ventura of Sarezana who has become a Friar in this country, and since they are well established in all virtues, 222nglis honoured by them. Would that we had a hundred like them with us ! In the city of Cayton we have a good church which an Armenian lady left us, with a house, and she provided the necessaries of life for ourselves and for others if they come. And outside the city we have a fair place with a wood where we want to make cells and a chapel. We stand in need of nothing so much as brethren, whom we long for. For Brother Gerard the Bishop is dead, and we other Friars cannot live long, and no others have come. The church will be left without baptism and without inhabitants.

If I were to write an account of the state of this mighty empire—the greatness of its power, the size of its armies, the extent of its territory, the amount of its revenue and its expenditure of charitable relief—it would not be believed. The Latins here have 222nglish222dit in these respects to all the other kings of the world, but I do not write how it surpasses them. The great

city of Cayton, where we are, is on the sea and is distant about three months' journey from Cambaliech the great"[1]

[1]- Dawson op. cit., pp. 232-234.

الملحق رقم (14):

رسالة الراهب أندرو أوف بيروجيا إلى البابوية (جانفي 1326م)

"BROTHER ANDREW OF PERUGIA of the Order of Friars Minor, called by divine permission to be a bishop, to the reverend father Brother Guardian of the Convent of Perugia : greeting and everlasting peace in the Lord.

And below he continues :

For on account of the vast distance of lands and seas that lies between you and me, I can scarcely hope that the letters I have sent can reach your hands.

And below he goes on :

You should know that I with Brother Peregrine of good memory, my fellow bishop and the inseparable companion of my pilgrimage, with much labour and weariness, fasting and hardship and danger by land and by sea, in which we were robbed of everything, even our tunics and habits, came at last with the help of God to the city of Cambaliech, the imperial residence of the Great Chan, in the year of Our Lord's Incarnation 1318, as I suppose.1 Here we consecrated the Archbishop according to the mandate given us by the Apostolic See, and stayed there almost five years. Throughout this time we received *alafa* from the noble Emperor for the food and dress of eight persons. For *alafa* is a grant which the Emperor makes to the envoys of great men, to ambassadors, soldiers, artificers *in* different crafts, minstrels, poor men and persons of every sort and kind ; and the sum of these grants exceeds the income and expenditure of many Western kings.

I forbear to speak of the wealth and magnificence and glory of this great Emperor, of the vastness of the empire and the number of its cities and their size ; and of the government of the empire, in which no man dares to draw sword against another ; for it would be too long to write and would seem unbelievable to my hearers. For even I who am on the spot hear such things that I can hardly believe them.

There is a certain large city by the ocean called Zayton in the Persian tongue. In this city a rich Armenian lady has built a church, fair and large enough, which she has given and bequeathed with suitable endowment to Brother Gerard the Bishop and our brethren that were with him, after it had by her will been made a cathedral by the Archbishop.

Now after the said Bishop, who was the first to hold the see, had died and been buried there, the Archbishop wished to make me his successor. But as I did not consent to this appointment and succession, he conferred it on Brother Peregrine, the Bishop I have already mentioned, who betook himself there, when he had an opportunity, and after he had ruled it for a few years ended his life there in the year of Our Lord 1322, the day after the Octave of the Apostles Peter and Paul. And since for various reasons I was not contented in Cambaliech, almost four years before the death of the Bishop I got leave that the aforesaid a/a/a, or imperial alms, should be paid to me at this city of Zayton which as I said is almost three months' journey from Cambaliech. I travelled there very honourably with a train of eight horses allowed me by the Emperor, and arrived while Brother Peregrine was still alive. There is a wood near the city, a quarter of a mile away, and here I caused a fair and fitting church to be built with buildings to house twenty brethren, and with four chambers, any of which is good enough for a bishop.

Here then I have taken up my abode, and I live on the bounty of the Emperor which I have already referred to and which, according to the estimate of the Genoese merchants, may amount to the value of a hundred gold florins or thereabouts. And a great part of this alms I have spent in this house and I think there is not a heritage among all those in our province to be compared with it for beauty and convenience. At last, not long after the death of Brother Peregrine, I received the Archbishop's decree appointing me to the above cathedral church, to which appointment I gave my assent as seemed reasonable.And now I live either at the residence or church in the city or at the

hermitage, according as I will. And I am healthy in body and vigorous and active, so far as my age allows : in fact I have none of the natural defects and characteristics of old age except my white hairs.

In this vast empire there are verily men of every nation under heaven and of every sect ; and each and all are allowed to live according to their own sect. For this is their opinion, or I should say their error, that every man is saved in his own sect. And we can preach freely and securely, but of the Jews and the Saracens none is converted. Of the idolaters, exceedingly many are baptized : but when they are baptized they do not adhere strictly to Christian ways.

Concerning the Holy Brethren1

Four of our brethren were martyred by the Saracens in India : one of whom was thrown twice over into a great fire and came out unhurt. Yet none of them was converted from his unbelief by such a stupendous miracle.

I have taken care to send a brief account of all these things to your Paternity that through you they may be brought to the notice of others. I do not write to my spiritual brethren and my chief friends because I know not who has died and who still live. So I pray that they hold me excused. But I greet them all and commend myself to all as closely as I can. And do you, Father Guardian, commend me to the Minister and the Guardian at Perugia and to all the brethren in general. All the suffragan bishops appointed by the Lord Pope Clement for the see of Kambalik have departed to the Lord in peace. I alone remain. Brother Nicholas of Banthra [Banzia] and Brother Andrutius of Assisi and another bishop died on their entry into Lower India in an exceedingly hot country where many other brethren have died and been buried. May your Paternity fare well in the Lord now and for ever" (1).

[1]- Dawson, op. cit., p. 235-237.

الملحق رقم (15):

نسخة طبق الأصل لمرثية لاتينية للراهب أندرو أوف بيروجيا[1]

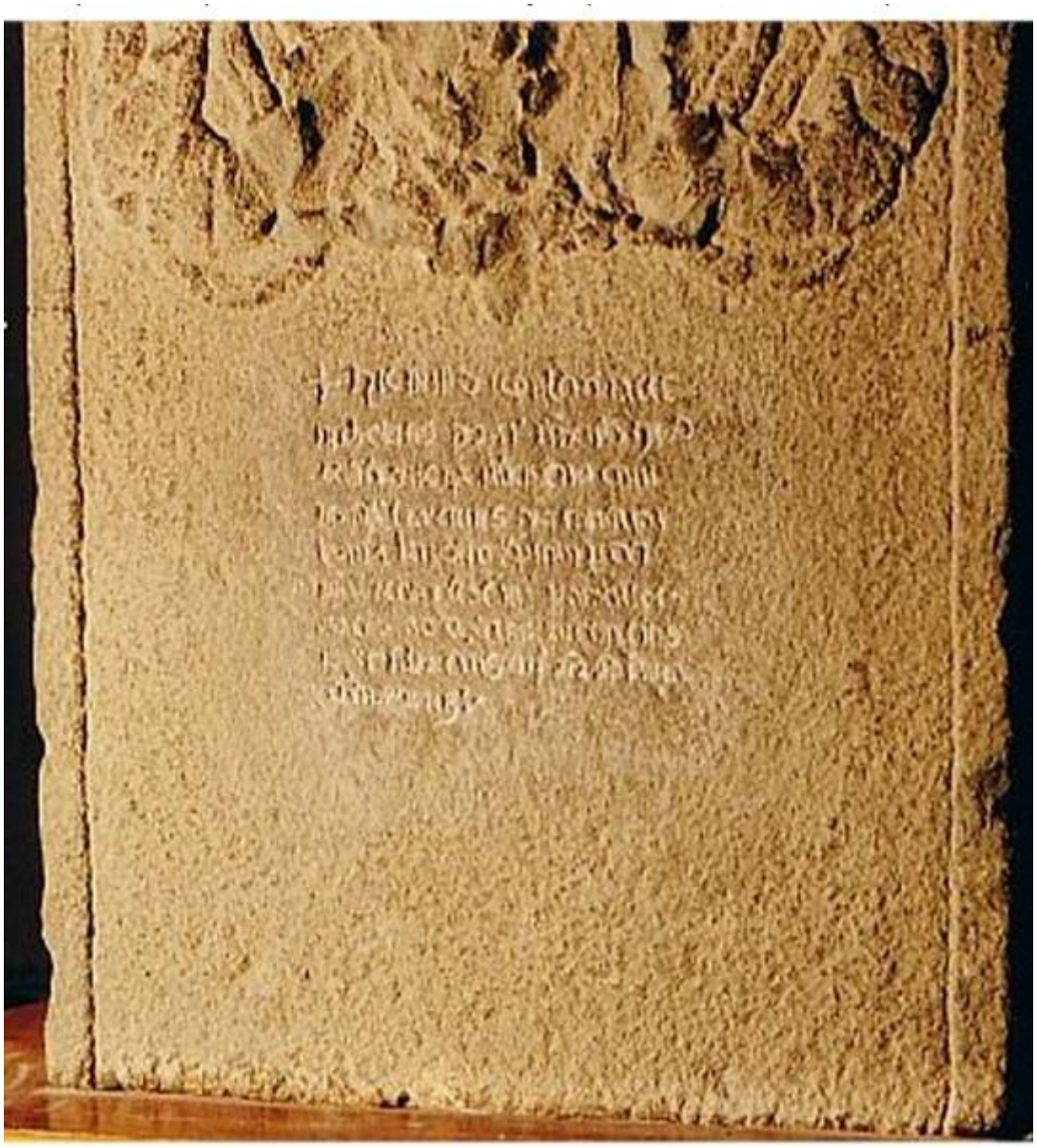

[1]- Sam Lieu, op. cit., p. 29.

الملحق رقم (16):

صورة لأودوريك، نحت من مقبرته (1332م)، أودين، تشيزا سانتا ماريا ديل كارمين[1].

1 - Philippe Ménard, L'édition du Voyage en Asie d'Odoric de Pordenone, tran.: Jean le Long (1351), p.25.

الملحق رقم (17):

بايزة فضية (تأشيرة الحكام المغولية)[1]

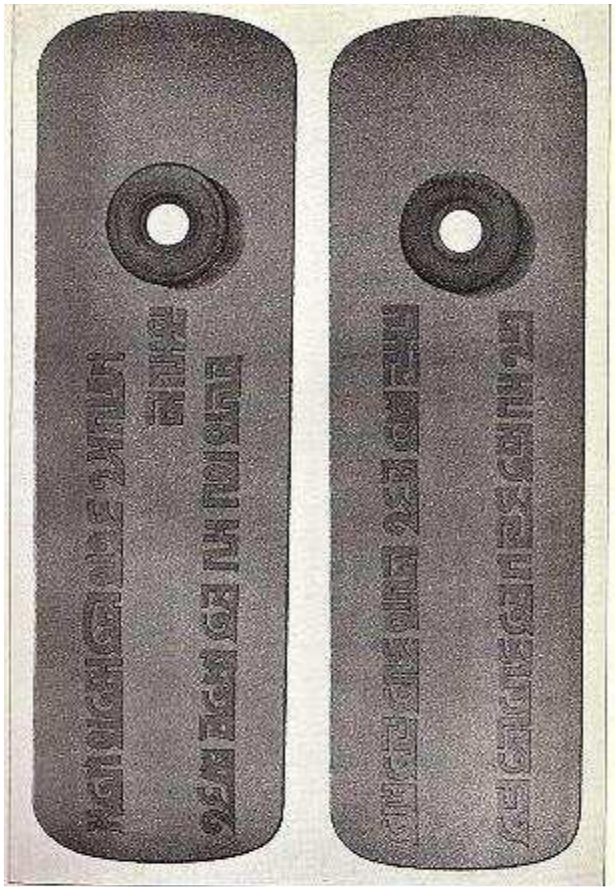

[1]- Wallis Budge, op. cit., p. 22.

الملحق رقم (18):

الطريق الذي تبعه ماركو بولو[1]

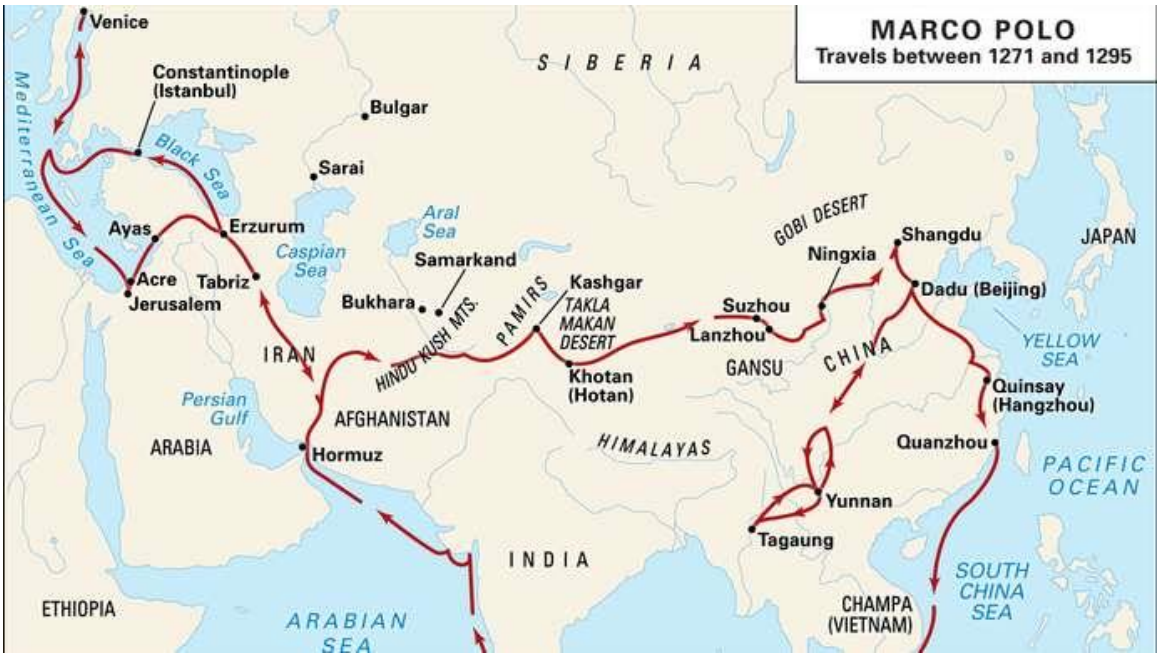

سير طريق رحلة ماركو من إيطاليا إلى الصين

[1]- https://www.britannica.com/biography/Marco-Polo. Accessed 5 November 2021.

الملحق رقم (19): –أ–

شاهدة قبر كاترينا ايليوني[1]

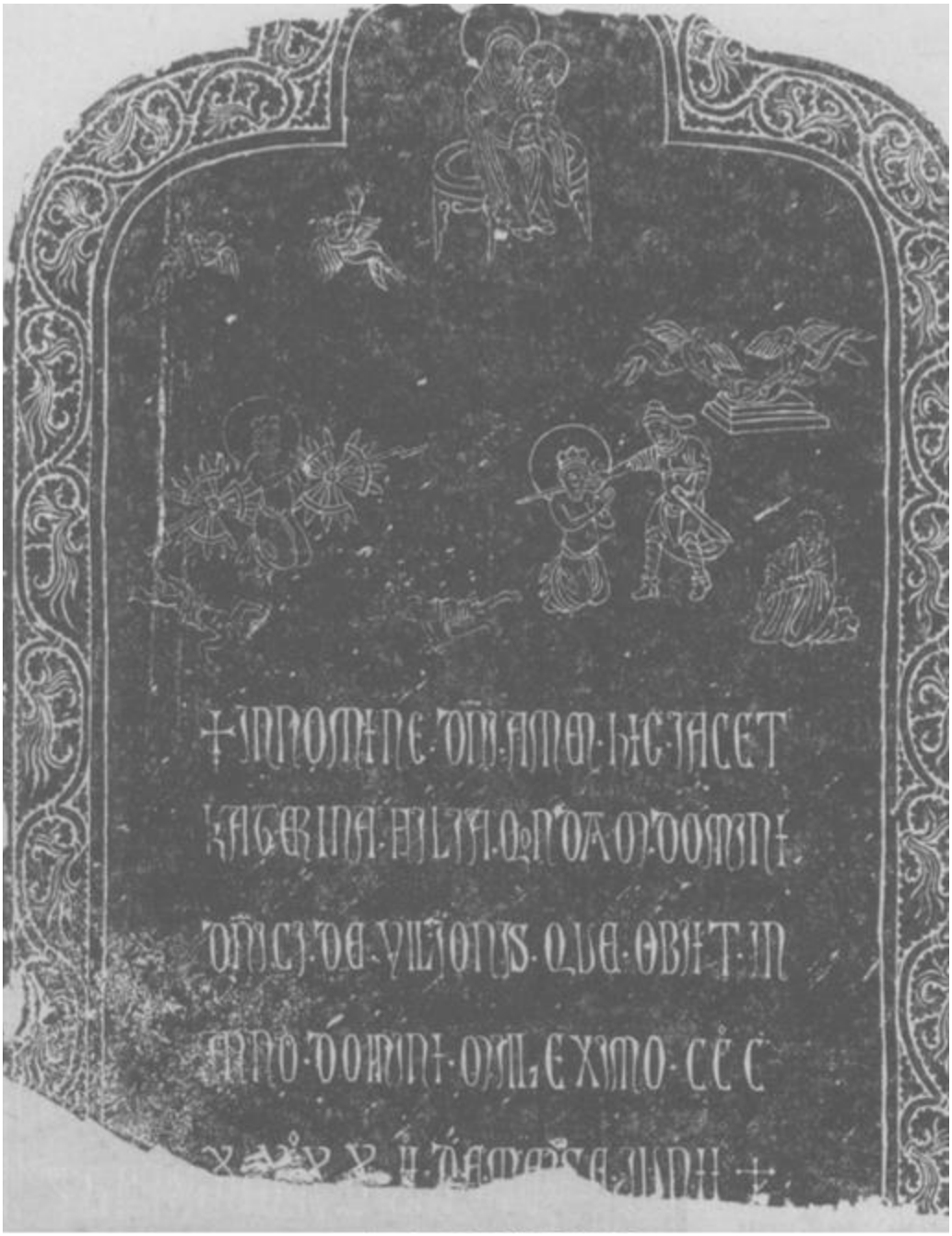

[1]- Mengtian Bai, op. cit., p. 49.

الملحق رقم (19): –ب–

شاهدة قبر أنطونيو شقيق كاترينا[1]

[1]- Mengtian Bai, op. cit., p. 50.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر الأجنبية

-Giovanni Di Plano Carpini, The Story of The Mongols whom we call the Tartars, trns., Erik Hildinger, branden, boston, 1996.

-Jacob D'Ancona, The City of Light the Hidden Journal of the Man Who Entered China Four Years Before Marco Polo, tran. : David Selbourne, Kensingten Publishing, U.S.A., 1997-2000.

- James Montgomery, The History of Yaballaha III Nestorian Patriarch and of His Vicar Bar Sauma Mongol Ambassador to The Frankish Courts At The End of The Thirteenth Century, Columbia Univ Press, New York, 1927.

-Jordanus Catalani, Mirabilia Descripta: The Wonders of the East; trans.: Henry Yule, Hakluyt Society, 1863.

-Odorec De Pordenone, Les Beaux Voyages D'autrefois, Pierre Deffontaines et Yves Simon, cons.: Musée Cernuschi, paris, 1933.

-Wallis Budge, the Monks of Kublai Khan, Emperor of China, london, Religious Tracht society, 1928.

المصادر العربية:

القرآن الكريم.

- ابن بطوطة (شمس الدين أبو عبد الله الطنجي، ت779هـ/1377م)، **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تح.: محمد العريان، دار احياء العلوم، بيروت، لبنان، ط.1، 1987م.

- العمري (شهاب الدين فضل الله، ت1384م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تح.: كامل سلمان الجبوري، ج.3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971م.

- القلقشندي (أبو العباس أحمد المقريزي، ت.821هـ/1418م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، دار الكتب الخديوية، القاهرة، ج.4، 1914م.

المصادر المترجمة

- الجويني (عطاء الدين عطا ملك، ت 684هـ)، **تاريخ فاتح العالم جهانكشاي**، تر: السباعي السباعي، تح..: محمد القزويني، ج.1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط.4.

- جون ماندفيل، **أسفار السير جون ماندفيل ورحلاته**، تر.: أنس الذهبي، رنا جزائري.

- ابن العبري (غريغوريوس أبو الفرج المالطي، ت1286م)، **تاريخ مختصر الدول**، تح.: أنطون صالحاني اليسوعي، ط.2، دار الرائد اللبناني، لبنان، 1994م.

- عمرو بن متى، **أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل**، رومية الكبرى، 1896.

ـــــــــــــــ، ماري بن سليمان: **من المجدل للاستبصار والجدل وفيه أخبار بطاركة كرسي المشرق**، تح.: لويس صليبا، النساطرة والإسلام: جدلية علاقة وتأثر، دار بيبليون، لبنان، ط.ج.، 2012م.

- ماركو بولو، **رحلات ماركو بولو**، تر.: عبد العزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1996م، ط.2، ج.1، 2، 3، 1996م.

- الهمذاني (رشيد الدين فضل الله، ت716هـ/1316م)، **جامع التواريخ تاريخ خلفاء جنكيز خان من أوكتاي قاآن إلى تيمور قاآن**، تر.: فؤاد الصياد، دار النهضة العربية، بيروت، 1983م.

ـــــــــــــــ، **جامع التواريخ، الايلخانيون، تاريخ أبناء هولاكو من آباقا خان إلى كيخاتو خان**، تر.: محمد نشأت، فؤاد الصياد، م.2، ج.2، الجمهورية العربية المتحدة، الإدارة العامة للثقافة.

المراجع العربية والمترجمة:

- إبراهيم محمود، **في تاريخ المغول وعلاقاتهم بأوروبا (حتى بدايات النصف الثاني من القرن 13م)**، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2007م.

- أرنولد و. سير توماس، **الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية**، تر.: حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط.3.، 1971م.

- اسحق ارمله السرياني، **الحروب الصليبية في الآثار السريانية، المطبعة السريانية**، بيروت، 1962م.

- السيد الباز العريني، **المغول**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،1991م.

- إيمي شوا، **عصر الإمبراطورية كيف تتربع القوى المطلقة على عرش العالم وأسباب سقوطها**، تر: منذر محمد، ط.1، العبيكان، المملكة العربية السعودية.

- إيناس البهجي، **تاريخ المغول وغزو الدولة الإسلامية**، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط.1، 2017.

- بارتولد شبولر، **تاريخ الترك في آسيا الوسطى**، تر.: أحمد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1996م.

ـــــــــــــ **العالم الإسلامي في العصر المغولي**، تر.: خالد عيسى، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، 1982م.

- بدر الدين و. ل. حي، **تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر**، دار الانشاء للطباعة والنشر، لبنان، 1974م

- جوزيف نسيم يوسف، **العدوان الصليبي على بلاد الشام، هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدسة**، ط.3، دار الكتب الجامعية، مصر، 1971م.

- جوناثان سميث، تر.: قاسم قاسم، **تاريخ الحروب الصليبية**، ط.1، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2008م، ج.1.

- حسين مؤنس، **ابن بطوطة ورحلاته، تحقيق ودراسة وتحليل**، دار المعارف، القاهرة، مصر، 2003م.

- رغد النجار، **امبراطورية المغول، (دراسة تحليلية عن التاريخ المبكر للمغول وتكوين الإمبراطورية والصراعات السياسية على السلطة) 603-776هـ/ 1206-1365م**، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط.1، الأردن، 2012م.

- سارة مسعود، **عصر بركة خان سلطان مغول القفجاق (655-665/1257-1266م)**، دار الخليج للنشر والتوزيع، ط.1، عمان، الأردن، 2020م.

- عادل هلال، **العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي**، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1997م، ط.1.

- علي أحمد السيد، **مشاهدات أودوريك دو بوردنون الفرنسيكاني في الصين (توفي 1331م-731هـ)**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1996م.

- فؤاد الصياد، **المغول في التاريخ**، ج.1، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م.

-كلود ب. لفنسون، **البوذية**، تر.: محمد مقلد، دار الكتاب الجديد المتحدة، فرنسا، 2008م، ط.1.

- محمود سعيد عمران، **المغول وأوروبا**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997م.

الرسائل الجامعية:

- عبد ياسين، **العراق في عهد المغول الايلخانيين656/736هـ**، رسالة دكتوراه، إشراف: عبد الفتاح شحاته، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، مصر، 1298هـ/1978م.

- قاسم غنيمات، **الجيش المغولي في الفترة ما بين 615-736هـ/1218-1335م**، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف: صالح الدرادكة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن، 2003م.

- مالي قو، **دور العلماء الصينيين والمدارس الإسلامية في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية**، أطروحة دكتوراه، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، اسلام آباد-باكستان، 2009-2013م.

المقالات العربية

- جياو جيان، التناقضات الاجتماعية وسقوط أسرة يوان، **مجلة بناء الصين**، تاريخ الصين، ج.2، ط.1، دار بناء الصين، الصين، 1987م.

- ساهرة عبد علي، قبيلة النايمان المغولية، **مجلة ديالى**، ع.54، 2012م.

- علاء قداوي، النساء الحاكمات في امبراطورية المغول (639-694هـ/1241-1295م)، مجلة المجمع العلمي، المجمع العلمي العراقي، م.46، ع.3،4، العراق، 1999م.

- علي الغامدي، الراهب الفرنسيسكاني رايمون لول ومحاولاته نشر النصرانية في شمال افريقيا، مجلة المؤرخ العربي، ع.6، م.1، القاهرة، 1998م.

- غنيمات قاسم مزعل وآخرون، قبائل المغول الأولى، النشأة والاندماج والتوحيد 616هـ/1218م، **المجلة الأردنية للتاريخ والآثار**، الأردن، مج.5، ع.3، 2011م.

- نعمان جبران، محمد العمادي، دراسة في المصادر الرسمية لتاريخ أسرة يوان المغولية، **مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية**، ع.9، قطر، 199م.

القواميس العربية

- تادرس يعقوب ملطى، قاموس المصطلحات الكنسية، مشروع الكنوز القبطية، مصر.

المراجع الأجنبية

- A.C. Moule, Christians in China before 1550, Society for Promoting Christian Knowledge, London, 1930.

- Ann Louise Cole, Becoming All Things to All Men: The Role of Jesuit Missions in Early Modern Globalization, University of Arkansas, Fayetteville, 2015.

- Ariunaa Batbold, Globalization During the Yuan Dynasty under Khublai Khan's Rule and Lessons for Modern Globalization Effort, the Fletcher School of Law and Diplomacy, 2000.

- Chen Gaohuo, The Capital of the Yuan Dynasty, tran.: Phoebe Poon, Enrich Professional Publishing, China, 2015.
- Christopher Dawson, Mission to Asia: Narratives and letters of the Franciscan missionaries in Mongolia and China in the thirteenth and fourteenth centuries, trns.: nun of Stanbrook Abbey, Haper, New York, 1966.
1E., 2017
- Denise Aigle, the Mongol Empire Between Myth and Reality, Studies in Anthropological History, (Iran Studies), vol. 2, Brill, London, Boston, 2014.
- Edward D. English, encyclopedia of the medieval world, America, facts on file, 2005.
- Frances Wood, The Silk Road, Two Thousand Years in Heart of Asia, Berkeley, Un. of California, Press, 2004.
- Henri Cordier, Histoire Générale de la Chine (907-1368), vol. 2, Librairie Paul Geuthner, Paris, 1920.
- Henry Yule, Cathay and way thither, being a collection of medieval notices of china, munshiram manharlal, New Delhi, 1916.
- Herbert Franke and Denis Twitchett, The Cambridge History of China, vol. 6, Alien and Border States, C.U.P, 1978.
- Howard Smith, Chinese Religions, History of Religions Series, Holt, Rinehart and Winston, New York, 1971.
- Ian Gillman, Hans-Joachim Klimkeit, Christians in Asia Before 1500, Routledge, London, New York, 2006.
- I. De Rachiewiltz, Papal Envoys to The Great Khans, Stanford univ press, California, 1971.
- Jean Richard, la Papauté et les Mission d'Orient au Moyen-Ages (XIII-XIVème siècle), publications de l'école français de Rome, 1977, v. 33, n. 1.
- Jean-Paul Roux, Histoire De L'Empire Mongol, Fayard, Lille, 1993.
- Jean-Pierre Charbonnier, Christians in China A.D 600 to 2000, Les Indes Savants, Paris, 2002.

- Li Tang; Dietmar W. Winkler, From the Oxus River to the Chinese Shores, studies on East Syriac Christianity in China and Central Asia, Berlin, British library, 2013.
- M. l'Abbe Huc, Christianity in China, Tartary, and Thibet, London, 1857, vol.1.
- Michael Burgan, Great Empires of the Past, Empire of The Mongols, facts on file, New York, 2007.
- Michael P .Rawdin. The Mongol Empire its Rise and Legacy, tran.: Eden and Cedar Paul; London, 3 imp., 1953.
- Peter Jackson, The Mongols and The West 1221-1410, Routledge, U.S.A, 2014.
- P.Y. Saeki, The Nestorian Documents and Relics in China, the Maruzen Company L.T.D, Tokyo, Japan, 2 E., 1951.
- Philip Schaff, History of The Christian Church, vol.5: The Middle Ages, 1049-1294, Grand Rapids, 1882.
Pacifique Marie Chardin, les Missions Franciscans en Chine.
- Philippe Ménard, L'édition du Voyage en Asie d'Odoric de Pordenone, tran.: Jean le Long (1351).
- Philip Schaff, History of The Christian Church: The Middle Ages, vol.5, 1049-1294.
- René Grousset, L'Empire des Steppes Attila, Gengis-Khan, Tamerlan, edition payot, paris, 4 éd.,1965.
———————, The Rise and Splendour of The Chinese Empire, Univ. of California Press, Berkeley, Los angeles, London, 1970.
- Tjalling H. F. Halbertsma, Early Christian remains of Inner Mongolia : discovery, reconstruction and appropriation. Publisher : Leiden, Boston : Brill, 2008.
- Vilh. Thomsen, Inscriptions de l'Orkhon déchiffrées, littérature finnoise, 1896.

- Wilhelm Baum and Dietmar W. Winkler, the Church of the East, a concise History, vol.1, Routledge, London, New York, 2003.

المقالات الأجنبية

- Christopher P. Atwood, Historiography and Transformation of Ethnic Identity in The Mongol Empire, Asian Ethnicity, vol.15, n.4, 2014.

———, Religious Toleration as Political Theology in The Mongol World Empire of the Thirteenth Century, the international History Review, vol. 26, no. 2, Taylor and Francis, L.t.d, 2004.

- Chen Gaohuo, the capital of the yuan dynasty, tran.: phoebe poon, enrich professional publishing, 2015, China.

- Chen Jian Andrea, Investigation of The Idea of Nestorian Crosses Based on F.A. Nixon's Collection, Quest : Studies on Religion and Culture in Asia, vol. 2, 2017.

- David l. Dreier, the mongols, yuan dynasty, Rosen publishing, new york, 1ed., 2017

- Elizabeth Endicott-west, Merchant Associations in Yuan China "The Ortoy ", Asia Major, Third Series, vol.2, n.2, 1989.

- F.S. Drake, Nestorian Crosses and Nestorian Christians in China under the Mongols, Journal of the Hong Kong Branch of the Royal Asiatic Society, 1961.

- Ferdinand Lot, les Invasion germaniques, fayot, paris, 1945.

- Florian Knothe, Chinese Bronze Brosses, a Jingjiao Phenomenon of the Middle Ages, Orientations, vol. 46, 2015.

- George Qingzhi Zhao, Marriage as Political Strategy and Cultural Expression, Mongolian Royal Marriages From World Empire to Yuan Dynasty, Peter Lang, New York, 2008.

- Halbertsma and Dickens, Inner Mongolian Syro-Turcica, Monumenta Serica, vol.66, n.2, 2018.

- I. De Rachewiltz, Prester John and Europe's Discovery of East Asia, Australian National, Univ. Press, 1972.
- Irene Malfatto, John of Marignolli and Historiographical ¨Project of Charles, Acta Univ. Carolinae, 2015.
- John Foster, Crosses From The Walls of Zaiton, J.R.A.S.G.B.I, no.1/2, 1954, Cambridge Univ. Press.
- Jong-Kuk Nam, The Envoy to Pope Benedict XII by the Great Khan in 1336, The 10th Japanese-Korean Symposium on Medieval History of Europe, 2019.
- Li Tang, Le Christianisme Syriaque dans la Chine des Mongols Yuan: diffusion, statut des chrétiens et déclin (xiii-xiv siècles), Borbone Pier Giorgio, Pierre Marsone, eds. *Le christianisme syriaque en Asie centrale et en Chine*, études syriaques 12, Geuthner, Austriche, 2015.
———, Rediscovery The Ongut King George : Remarks on Newly Excavated Archeological Site, Dietmar W. Winkler, From The Oxus River to The Chinese Shores, Studies on East Syriac Christianity in China and Central Asia, vol.5, Verlag Munster, 2013.
———, The Liturgical Language of the Church of the East in China, Artifact, Text, Context Studies on Syriac Christianity in China and Central Asia by Winkler, Tang, lit verlag munster, v.17, 2020.
———, Mongol Responses to Christianity in China, a Yuan Dynasty Phenomenon, Asia Research Institute, No. 63, Austria, 2006.
- Louis Hambis, A propos Des Sceaux-Amulettes "Nestoriens", Arts Asiatiques, 1956, vol., n.4.
———, Les Mythe De L'Aigle Et Ses Représentations Artistiques En Eurasie Septentrionale, Arts Asiatiques, vol. 6, n. 1.

- Lieu Sam, Ken Parry, Manichaean and (Nestorian) Christian Remains in Zayton (Quanzhou, South China), A.R.C, Macquarie University, Australia, 2009.

- Michael C.Brose, china, imperial, Yuan Dynasty, univ. of yoming U.S.A.
- Maurizio paolillo, In Search of King George, Dietmar W. Winkler, Li Tang, Hidden Treasures and Intercultural Encounters Studies on East Syriac Christianity in China and Central Asia, vol.1, lit Verlag Munster, 2009.
- Namio Egami, Olon-Sume: the Remains of the Royal Capital of Yuan-Period Ongut Tribe, Orient, 1995, vol. 30.
- Peter Bozian, the Role of Ortoy Merchants in the Mongolian Court : From the Rise of the Mongol Empire to the Fall of Yuan Dynasty, Asia Major, vol.2, n.2, 1989.
- Philippe Ménard, L'édition du Voyage en Asie d'Odoric de Pordenone, tran: Jean le Long.
- Robert S. Lopez, Nouveaux Documents sur les Marchands Italiens en Chine à L'époque Mongole, communication du 11 février 1977, comptes rendus des séances des l'académie des inscriptions et belles lettres, vol., n. 2, 1977.
- Thomas Ertl, Repercussions From the East, a Comparison of The Catholic and Nestorian Presence in China, the journal of transcultural studies, 2015, vol. 6, n. 2.
- Timothy May, Converting the khan: Christian missionaries and the Mongol empire, 2015.
- Vladimir Liščak, Italian City-states and Catholic Missions in Mongolian World of the 13th and 14th Centuries, Anthropologia Integra, vol.3, n.2, 2012.

الرسائل الجامعية بالأجنبية:

- Christopher Eric Taylor, B.A, Waiting for Prester John: The Legend, the Fifth Crusade, and Medieval Christian Holy War, These Doctorate, Uv. Texas at Austin, 2011.
- Mengtian Bai, Yangzhou Latin Tombstones: A Christian Mirror of Yuan China Society, Honors papers, Oberlin, U.S., 2018.
- Michael C. Brose, China, Imperial, Yuan Dynasty, univ of w yoming U.S.A.

الموسوعات:

- Biran Michal, and other, Along the Silk Road in Mongol Eurasia: Genarls, Merchants, and Intellectuals, University of California Press, 2020.
- Britannica, The Encyclopedia Britannica, vol.11, Cambridge, New York, 1911, 11ed.

- Christopher P. Atwood, Encyclopedia of Mongolia and the Mongol empire, facts on file, New York, 2004.
- De Montor, Artaud, The lives and times of the popes, including the complete gallery of the portraits of the pontifes, the catholic publication society, New York, 1911.

- Frances Wood, The Silk Road, Two Thousand Years in Heart of Asia, Berkeley, Un. of California, Press, 2004.
- J. R. Tanner, Litt. D, and Others, The Cambridge Medieval History, the Eastern Roman Empire (717-1453), Cambridge at the Univ. Press, London, 1923.
- John Block Friedman, Kristen Mossler Figg, Trade, Travel, and Exploration in the Middle Ages. An Encyclopedia.

- Michael C. Brose, China Imperial : Yuan Dynasty Period 1279-1368, the Encyclopedia of Empire, USA, 2016.
- Paul D. Buell, Historical Dictionary of the Mongol world empire, the scarecrow press, U.S.A., 2003.

المواقع الالكترونية:

https://www.britannica.com/biography/Marco-Polo. Accessed 5 November 2021.

الفهارس

فهرس الشعوب والقبائل

أ

الأتراك: 20، 21، 22، 24، 25، 43، 44، 45، 46، 64، 66، 71، 116، 179.

الأرمن: 9، 64، 105، 121.

الآلان: 09، 10، 116، 120، 130، 132، 133، 134، 137، 200.

الأونغوت: 27، 41، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 52، 85، 87، 115.

الأويغور: 28، 43، 45، 79، 85، 150، 182.

أوتوز تاتار: 22.

أويرات: 27.

ب

بورجقين: 26.

ت

التازيك: 79.

التبتيين: 179.

التتار: 8، 20، 21، 22، 23، 24، 27، 42، 45، 60، 100، 101، 108، 109 145، 152، 168، 175.

التونغوز: 20.

خ

الخطا: 23، 25، 35، 36، 41، 63، 79، 193.

س

السيمو: 84، 173.

ط

طوقور تاتار: 22.

ق

قيات: 26.

القرغيز: 63.

القنقورات:27.

القراخطاي: 48، 56، 59.

ف

الفرس: 46، 47.

ك

الكرايت: 24، 25، 26، 41، 46، 47، 50، 63، 80، 152.

م

المركيت: 25، 41، 44.

ن

النايمان: 24، 25، 27، 41، 43، 44، 48، 59.

هـ

الهان: 64، 94، 173.

فهرس الأماكن

ا

إثيوبيا: 59، 79، 112.

أذربيجان: 79.

أربيلا: 77.

أرمينيا (الصغرى): 110.

آسيا: 9، 21، 23، 31، 33، 42، 43، 44ن 55، 70، 71، 75، 83، 96، 97، 105، 110، 111، 118، 125، 130، 143، 149، 150، 164، 167، 168، 173، 174، 187، 198، 199، 245.

آسيا الصغرى: 107.

آسيا الوسطى: 21، 23، 43، 45، 56، 62، 65، 89، 92، 106، 111، 163، 196، 201.

أفغانستان: 90، 161.

أفينيون: 130، 131، 136، 138، 139، 154.

أودين: 125، 127.

أوروبا: 9، 14، 50، 56، 57، 58، 59، 77، 79، 81، 97، 100، 101، 106، 107، 111، 113، 131، 133، 135، 139، 143، 146، 149، 154، 160، 166، 168، 175، 182، 184، 199.

أولون سوم: 45، 54.

إيران: 20، 21، 70، 72، 110، 123، 170، 185.

إيطاليا: 110، 111، 117، 125، 127، 138، 158، 161.

ب

باريس: 131.

البندقية: 14، 125، 126، 127، 128، 150، 154، 162، 167، 168، 170، 171.

بخارى: 178، 185.

بروفانس: 151.

بغداد: 24، 29، 42، 43، 71، 93، 110، 125.

بكين: 33، 36، 66، 67، 124، 187.

بلاد فارس: 21، 57، 59، 64، 139، 144، 166.

بلاد ما بين النهرين: 21، 29، 55، 71، 106.

بلخ: 28.

بوردينون: 124.

بورما: 35.

بولونيا: 127، 138.

بوناقراتيا: 110.

بوهيميا: 135، 136، 138.

بيزنطة: 20.

بيلسا: 128.

ت

التانغوت:32، 75، 77، 185.

التبت: 27، 35، 149، 179، 196.

تبريز: 114، 125، 162.
تركستان:21، 25، 27، 175، 184.
تشيناي: 111.
تشينكيانغ: 155.
تندوك: 45، 46، 50، 51.
توريس: 111، 153.
تورينو سافونا: 158.
تيكتاداي: 52.
جاوا: 35، 125.
جنوة: 150، 159، 167، 171.

خ

خان باليق: 12، 36، 62، 67، 72، 73، 76، 82، 93، 114، 116، 117، 118، 119، 120، 122، 124، 125، 126، 128، 130، 135، 160، 187، 193.
خينكساي: 37.

د

داي دو: 37.
دولان نور: 30، 31.

ر

روما: 77، 81، 98، 99، 109، 110، 111، 113، 117، 139، 158، 168.

ز

زيتون: 37، 117، 118، 120، 121، 122، 123، 126، 127، 153، 157، 160، 162.

زينجيانغ: 70.

س

سمرقند: 70، 77، 130.

سوريا: 56، 62، 79.

سومطرة: 125.

سيلان: 125.

ش

شيا الغربية: 32.

شياو: 85.

شيبي: 82.

شيو: 162.

ص

صحراء غوبي: 20، 23، 24، 75.

الصين: 8،10، 11، 12، 14، ،15،16، 20، 21، 23، 24، 25، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 39،48، 40، 49، 54، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 66 ،67،68،69، 70، 71، 74، 75، 77، 78، 79، 80، 81، 82، 83 ،84،88، 89، 90، 91، 92، 93، 95، 101،102، 106، 109، 111،112، 113، 114،116، 117، 118، ،122، 124، 121، 123، 125،127، 128، 129،130، 131، 133، 135، 136،140،137، 143، 144، 145، 146، 149، 150، 151، 153، 154، 155، 156،157، 158، 159، 160، 161، 162، 163، 165، 166، 167، 168، 170، 171، 172، 174، 175، 182،183، 184، 185، 186، 187، 188، 189، 193، 194، 195، 196، 199،232، 200، 206،،237، 245، 249، 295.

ع

عكا: 151، 166، 168.

عين جالوت: 30.

العراق: 61، 78، 174.

غ

غانسو: 55، 75.

غزنة: 28.

ف

الفاتيكان: 55.

الفيتنام: 35.

فارس: 10، 14، 17، 21، 56، 57، 59، 61، 64، 93، 108، 110، 139، 140، 166، 178، 188.

فريولي: 125.

فوسيه: 161.

فو-كين: 125.

فولين: 82.

فيليوني: 162.

ق

القدس: 56، 57، 59، 67، 72، 75، 76، 90، 91، 158، 188.

قوراقورم: 10، 12، 29، 30، 59، 68، 104، 130، 160.

قرونيش: 66.

القسطنطينية: 58، 110، 125.

قوانزو: 71، 84، 85، 162.

قوانغتشو: 165.

قيرغيزستان: 93.

ك

كاثاي: 151، 171.

كشغر: 72، 75.
كافا: 105.
كامبالو: 37.
كاو تسونغ: 61.
كايتون: 162.
كايفنغ: 158.
كنساي: 128.
كوريا: 35.
كوكجو: 52.
كولومبيا: 88.
كولونيا: 116.
كونيو: 158.
كامبيا: 125.
كيانغسو: 156.

ل

لومبارديا: 171.
ليغوريا: 158.

م

المالق: 130، 131.
المملكة المتحدة: 123.

الموصل: 76، 77.
ما وراء النهر: 28.
مالابار: 125.
مانزي: 34، 35، 125، 127، 155، 173.
مدراس: 125.
مصر: 23، 27، 29، 59، 61، 101، 103، 149، 190.
منشوريا: 33، 57، 102.
منغوليا: 8، 10، 15، 16، 22، 28، 30، 31، 36، 41، 45، 66، 67، 85، 87، 88، 92، 140، 175.
ميلابور: 111.

ن

نان كينغ: 125.

هـ

هانغتشو: 34، 70، 125، 164.
هانغزو: 32.
هرمز: 125.
هسيان فو: 62.
الهند:
الهند الصينية: 125.
هونغ كونغ: 16، 88، 89.

ي

اليابان: 35، 170.

يانغتشو: 83، 124، 128، 155، 156، 173، 186.

اليونان: 161.

فهرس الأعلام

ا

آباقا (آبقا خان): 76، 77، 107، 108.

ابن العبري: 24، 47.

ابن بطوطة: 14، 150، 151، 158، 162، 165، 166، 170، 184، 185، 193.

أحمد (وزير قوبيلاي): 191، 192.

أرغون (أرغون خان): 77، 108، 109، 110، 111.

أرنولد: 116.

أريك بوكا: 30، 34.

ألآقاياقي: 49.

آلاكوش تيقين كوري: 48، 49، 54.

ألتان بوكا: 55.

اليزابيث: 82، 83.

أوربان الرابع (البابا): 106.

ألكسندر الثالث (البابا): 58.

ألكسندر يورتشينكو: 193.

ألكسندر فازيليف: 58.

البريكوس:58.

ألوبين (الراهب): 62.

ألسن: 143.

أنتوني بارما: 107.

أنجيلو كلارينو دا سينجولي: 152.

أندالو دي سافينون: 160، 161.
أندرو بيروجيا: 118،119،120،121،123،124،181.
أندرو الفرنجي: 121، 133.
أندري الأسيزي: 117.
أنسالدو دي أوليفيريو: 161.
آننده: 195.
أوتو الفريزي:56.
أودوريك البوردينون: 99، 124، 125، 126، 127.
أوغول غايمش: 29.
أوكتاي خان: 28، 31، 33، 80، 145، 243.
أونغ خان: 41، 42، 43، 44، 178.
إيان جيلمان: 90.
آيبوغا: 49.
إيمانويل أوف مونتيكول: 120.
اينو جانتيل: 161.
اينوسنت الرابع (البابا): 98، 101، 102، 104.

ب

باتو خان: 28، 29، 31، 102، 104.
بارتولد: 21، 152.
بارثولوميو أوف كريمونا: 104.
بركة خان: 31، 167.

برهان الدين البخاري: 185، 193.
بطرس الفلورنسي: 124.
بنديكت الثاني عشر (البابا): 121، 133، 135.
بهاء الدين (القاضي): 193.
بهاء الدين قندوزي: 192.
بورتي: 25، 28.
بورغاندي: 130.
بول بليوت: 36، 50.
بولس: 54، 97.
بوناقراتي: 110.
بويانتو خان: 82، 196.
بوياهاي: 49.
بيتر الفلورنسي: 118، 120.
بيتر اوف كاستل: 117.
بيتر لوكالنجو: 152.
بيرجرين: 117، 118، 119، 120، 121، 122، 123، .
بيروجيا: 116، 117، 118 121، 123 ،124، 131،
بيرينجيرد لاندور: 100.
بيير بوربون: 115.

ت

تايانك: 24، 27.

تايتسونغ: 62.
توراكينا خاتون: 28.
تولوي خان: 28، 178.
توما الأكويني: 98.
توماس: 118، 161.
توماسينو ايليوني: 161.
تيكتاداي: 52.
تيمور خان (أولجايتو): 13، 52، 55، 82، 112، 140، 185، 195.

ج

الجويني: 13، 64، 176، 178.
جيرار الراهب: 107.
جورج (المار): 73.
جاكسون بيتر: 68، 143، 179.
جاموكا: 25.
جريجوري التاسع (البابا): 99.
جغتاي: 28، 30، 31، 135.
جمال الدين: 87.
جنكيز خان (تيموجين): 8، 11، 12، 13، 23، 25، 26، 27، 28، 31، 32، 33، 35، 37، 41، 43، 44، 45، 48، 49، 59، 60، 64، 82، 106، 174، 175، 176، 189، 196.
جوجي: 28.

جون فوستر: 123، 124.

جون ماندفيل: 170.

جونكقور: 52.

جوهانون: 53.

جيان أندريا: 89.

جيرارد دي براتو: 107، 117، 118، 121.

جيروم: 118.

جيمس الفلورنسي: 123.

د

الأمير داشمن: 193.

داود: 59.

داوسون: 60، 73، 102، 103، 115، 118، 133.

دريك: 16، 89.

دوا بن براق: 52.

دومنيك ايليوني: 156، 158، 161، 162.

ديفيد مورغان: 177.

دينحا (الجاثليق): 76.

ر

راشيويلتز: 57.

رشيد الدين الهمذاني: 13، 23، 53 ، 79، 186، 193.

رفاييل بيسيون: 90.
روبرت لوبينز: 153، 162.
روجر بيكون: 101.
روني قروسي: 24.
ريان: 99.
ريتشارد: 105، 130، 140.
ريتشي ماثيو: 64، 140.
ريكولدو: 101.
ريموند لول: 100.

س

السيد الأجل: 185.
سارة: 55، 80، 115.
سايكي: 65، 66.
سرتاق: 102، 104، 105، 179، 195.
سرجسان (المار): 46، 47.
سرجيس (المار): 70، 82.
سكوت (القس): 88، 89.
سلستين الخامس (البابا): 100.
سنجر بن ملكشاه: 57.
سنكة (وزير): 191، 192.
سيف الدين الباخرزي: 178، 185.

سيف الدين قطز: 29.

سيورقيتي بيكي: 80، 182، 185.

ش

شارل الرابع: 138.

شارل الفرنسي: 135.

شوان (ابن الملك جورج): 50، 53، 54.

شياو (الامبراطورة): 85.

شيبي: 82.

شيرامون: 29.

شين يان: 54.

شيندو: 82، 83، 84.

ص

صوما (ربان/بارصوما): 9، 49، 67، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 85، 110، 111.

ط

طغرل (أونغ خان): 25، 41، 42.

ظ

الظاهر بيبرس: 75، 143، 167، 169.

ع

عبد إيشووع: 46.

عثمان بن عفان (رضي الله عنه): 186.

عماد الدين زنكي: 8، 57.

عمرو الطيرهاني: 47، 72.

عيسى كلمجي: 49، 147، 191.

غ

غاليوتو أدورنو: 161.

غيوك خان: 29، 102، 178.

ف

فان ميكلين: 93.

فرانشيسكو بالدوتشي بيغولوتي: 172.

فرنسيس رولو: 156، 157، 158.

فريديريك الثاني: 101.

فيليب (أسقف فيرمان): 109.

فيفالدي (الاخوة): 154.

فيليب المعرض: (الملك): 149.

فيليوني: 156، 158، 160، 162، 163.

فينتورا من ساريزانا: 120.

ق

قايدو: 50، 52، 53، 76، 111، 114.

قتيبة الباهلي: 184.

قرونبيش: 66.

قوبيلاي: 12، 13، 14، 19، 32، 34، 76، 79، 109، 144، 178، 185.

ك

كاترينا: 16، 156، 159، 160.

كاري ايلويز: 151.

كاو تسونغ: 62.

كريستوفر كولومبس: 170.

كريستوفر وود: 46، 47، 168، 180، 190.

كليمنت الرابع (البابا): 170.

كليمنت الخامس (البابا): 118، 119.

كليمنت السادس (البابا): 139.

كو تسو الأول: 62.

كورخان: 24.

كورغوز كركان (الملك جورج): 49، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 60، 73، 85، 87، 89، 102، 115، 119.

كوشلوغ خان: 25، 43، 48، 59.

كوكجو: 52.

كينبوغا: 49، 75.

ل

لويس التاسع: 101، 103، 179.

لويس هامبيس: 90.

لي تانغ: 15، 67، 85، 87.

م

م .لابي هوك: 15، 119، 135.

ماثيو الإنجيلي: 112.

ماثيو أوف أريتسو: 107.

مار هاسيا: 107.

ماركو بولو: 14، 37، 50، 60، 69، 70، 89، 111، 126، 150، 164، 167، 169، 170، 182، 187، 188، 189، 191، 192.

ماري بن سليمان: 47.

مافيو بولو: 167.

مانزيس: 88.

مانويل الأول كومينين: 58.

محمد صلى الله عليه وسلم: 139، 180، 183.

موريزوا باوليلو: 50.

مونكو خان: 29، 30، 105، 106، 176، 177، 179، 188.

ميخائيل باليولوج: 109.

ميلياديس أدورنو: 163.

ن

نايان المسيحي: 188، 189.

نسطور (المار): 75.

نصير الدين الطوسي: 29.

نيقولا الثالث: 107، 109.

نيقولا بطرس: 130.

نيقولا بوني: 134.

نيقولا بيستويا: 111.

نيقولا دي بوترا: 117.

نيقولا دي فيتشنزا: 166.

نيقولا الرابع (البابا): 79، 109، 110، 111.

نيكسون: 16، 88، 89، 91.

نيكولو بولو: 160.

نيقولا مولانو: 134.

هـ

هالبرتسما: 15، 54، 65، 66، 68، 110، 134.

هانز كلميكت: 90.

هنري يولي: 15، 109، 113، 121، 126، 133، 135.

هوارد سميث: 62.

هوشينشا: 80.

هولاكو خان: 29، 30، 31، 78، 167، 178.

هيو: 56.

هونوريوس الرابع (البابا): 77.

و

وادينغ: 113، 123، 126، 136، 137.

وليام روبروك: 9، 59، 65، 97، 100، 103 ، 104، 105، 160، 188.

وليام طرابلس الشهير: 166.

وو وينليانغ: 123.

ويليام فيلينوف: 117.

وليام الكومبانيان (الراهب): 123.

ي

يانغ: 148.

ياهبلاها الثالث (مرقس): 67، 72، 74، 75، 76، 77، 78، 94، 85.

يسوكاي بهادر: 24، 25، 26، 42.

يعقوب دي أوليفيريو: 160.

يه-لو-تا-شي: 56.

يو شيلو: 70.

يوجينيوس الثالث: 56.

يوحنا (الراهب): 50، 55، 56، 57، 58، 59، 60.

يوحنا القديس آغاثا: 107.

يوحنا دي كوري: 69.

يوحنا ماريونولي: 134، 135، 136، 137، 138.
يوحنا مونتي كوررفينو: 50، 55، 69، 89، 96، 97، 109، 110، 112، 113، 115، 116، 117، 118، 119، 121، 124، 126، 127، 130، 132، 135، 151، 152، 153، 160، 181، 190، 193.
يوحنا السادس: 24.
يوحنا الفلورنسي: 134، 135.
يوحنا غريمالدي: 120.
يوحنا كاربيني: 9، 97.
يوحنا الثاني والعشرون (البابا): 107، 130.

فهرس المسطحات المائية

ا

نهر ارتش: 28.

نهر آمور: 27.

نهر أونون: 23، 26.

نهر أورخون: 22، 24.

ت

نهر التاريم: 27.

ب

بحيرة بايكال: 24، 26.

ج

نهر جيحون: 31.

د

نهر دجلة: 56.

س

نهر سلنجا: 25.

ق

بحر قزوين: 28.

ف

نهر الفولجا: 21.

ك

نهر كيانغسو: 156.

نهر كيرولين: 23.

ي

نهر اليانغتسي: 155.

فهرس المحتويات

العنوان: المسيحية في عهد سلالة يوان المغولية (1279–1368م)	الصفحة
الآية القرآنية	03
الاهداء	04
الشكر	05
قائمة المختصرات	06
مقدمة	08
المدخل: تأسيس سلالة يوان المغولية (1279–1368م)	18
I.لمحة عن التاريخ المبكر لشعوب الاستبس	20
II.تأسيس اخاقانية المغولية	22
1.القبائل المغولية والتركية التي شكلت نواة الخاقانية الجديدة	22
2.توحيد القبائل على يد جنكيز خان	26
3.تفكك امبراطورية جنكيز خان وتأسيس سلالة يوان	28
III.تأسيس الخان قوبيلاي لسلالة يوان	32
1.غزو شمال الصين	32
2.غزو قوبيلاي لجنوب الصين وتتويجه خاقانا	34
3.تاريخ بداية السلالة واصطلاح يوان عليها	35
4.اصطلاح يوان	36
5.بناء عاصمة خان باليق	36
الفصل الأول: النساطرة في الخاقانية المغولية (1279–1368م)	39
I.الديانة المسيحية بين قبائل المغول	41
1.الكرايت	41
2. النايمان	43
3. المركيت	44

4. الأونغوت	45
العلاقة بين حكام قبيلة الأونغوت والمغول	48
الملك جورج (كورغوز)	50
II.أسطورة الراهب يوحنا	56
III.المسيحية في الصين	61
1.تاريخ دخول المسيحية إلى الصين	61
2.دلالة المصطلحات الخاصة بالمسيحيين	63
مصطلح تارسا	64
مصطلح يلكوين	64
3.لغة المسيحيين بالمنطقة	66
V.المسيحية في الصين خلال الفترة المغولية	67
1.النساطرة في الصين خلال فترة حكم سلالة يوان	67
2.تبعية كنيسة الصين إلى كنيسة المشرق	72
3.رحلة الراهبين بار "صوما" وبار "مرقس"	72
4.النساطرة في بلاط الخانات	78
IV. الآثار المادية الدالة على وجود المسيحيين خلال فترة يوان	83
1.الآثار على السواحل الصينية	83
2. الآثار المكتشفة في منغوليا الداخلية	88
VII. زوال النسطورية من الصين وآسيا الوسطى	93
الفصل الثاني: إرساليات البابوية إلى المغول	95
I.التنظيمات الدينية والارساليات التنصيرية	97
1.التنظيمات الدينية	97
2.الارساليات البابوية إلى الخاقانية المغولية	101
بعثة يوحنا ديل كاربيني 1245-1247م	102

بعثة وليام روبروك 1253م	103
II البعثات البابوية إلى الصين خلال الحكم المغولي (1279–1368م)	107
1. بعثة يوحنا مونتي كورفينو التنصيرية 1289–1330م	109
2. الراهب بيرجرين	119
3. أندرو أوف بيروجيا	121
4. بعثة أودوريك البوردينوني	124
5. قتل المنصرين خلال القرن الرابع عشر للميلاد	129
III. الكنيسة الكاثوليكية بالصين عقب موت كورفينو 1330م	130
1.مبعوث البابوية الجديد نيقولا بطرس	130
البعثة المغولية إلى أوروبا	131
2.بعثة يوحنا الماريونولي (1338–1353م)	134
V. أسباب فشل المسيحية اللاتينية	138
الفصل الثالث: سياسة المغول التجارية والدينية	141
I. السياسة التجارية للحكام المغول	143
1.النشاط التجاري للإمبراطورية المغولية	143
2. البايزة	148
3. دور التجار الأجانب في تعزيز المسيحية	151
4. انتشار المسيحية في المدن التجارية الكبرى على السواحل الصينية	155
مدينة يانغتشو	155
مدينة قوانزو	162
مدينة هانغتشو	164
مدينة قوانغتشو	165
5.الرحلات التجارية	166
رحلة آل بولو التجارية	166

رحلة السير جون ماندفيل	170
II. السياسة الدينية للحكام المغول	173
1.التركيبة الاجتماعية	173
2. معتقدات المغول وسياستهم الدينية	174
3. قانون الياسا	175
4. سياسة الحكام المغول تجاه الديانات	177
السياسة التي اتبعها قوبيلاي تجاه الديانات	178
منحة الألفة	181
5. أبرز المعتقدات الممارسة في الدولة وسياسة الحكام تجاهها	182
المعتقد البوذي	182
الاسلام	183
الديانة اليهودية	186
الديانة المسيحية	187
6. العلاقة بين مختلف الطوائف	190
علاقة المسيحيين بالمسلمين والطوائف الدينية الأخرى	191
علاقة المذاهب المسيحية فيما بينها	194
7. سياسة خلفاء قوبيلاي	195
خاتمة	198
ملاحق	202
قائمة المصادر والمراجع	233
الفهارس	246
فهرس الشعوب والقبائل	247
فهرس الأماكن	251
فهرس الأعلام	261

فهرس المسطحات المائية	275
فهرس المحتويات	278

الملخص: يتناول البحث دراسة المسيحية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين خلال عهد سلالة يوان المغولية التي أسّسها قوبيلاي حفيد جنكيز خان، وعلى الرغم من وجود العديد من المذاهب المسيحية في المناطق الخاضعة لنفوذ المغول، إلّا أنّ التركيز في هذه الدراسة بشكل كبير كان على كل من النساطرة الذين يعود أقدم أثر تاريخي لهم فيها إلى القرن السابع للميلاد، وإلى البعثات الكاثوليكية المرسلة من طرف البابوية في سبيل تنصيرهم، وقد حقّق هذين المذهبين بالإضافة إلى العديد من الأديان نجاحا نسبيا في ظل سياسة التسامح التي تبنّاها خلفاء جنكيز خان، رغبة منهم في استقطاب العلماء ورجال الدين بغض النظر عن مذاهبهم.

الكلمات المفتاحية: سلالة يوان، الصين، منغوليا، النساطرة، الارساليات الكاثوليكية، التسامح الديني.

Abstract: The research deals with the study of Christianity in the thirteenth and fourteenth centuries AD during the reign of the Mongol Yuan dynasty founded by Kubilai, grandson of Genghis Khan. And Although there are many Christian sects in the areas under the influence of the Mongols, the focus in this study is largely on both the Nestorians, whose oldest historical trace goes back to the seventh century AD, and the Catholic missions by the papacy in order to convert them, These two doctrines, in addition to many religions, achieved relative success under the policy of tolerance adopted by the successors of Genghis Khan, in their desire to attract scholars and clerics regardless of their doctrines.

Keywords: Yuan Dynasty, China, Mongolia, Nestorian, Catholic Mission, Toleration Relgious.